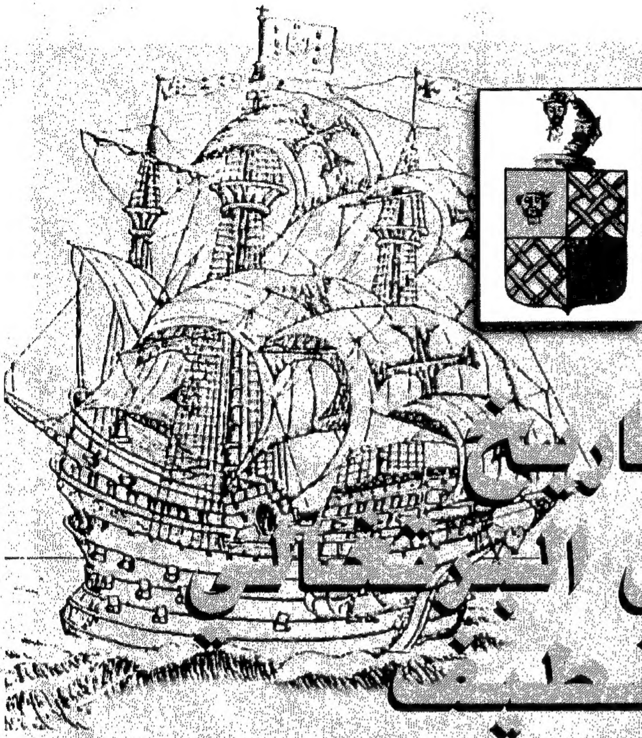


تاريخ الاحتلال البرتغالي للقطيف

927-978 هـ / 1521-1572م

علي بن إبراهيم الدرورة



اصدارات المجمع الثقافي

تاريخ
الاحتلال البرتغالي للقطيــف
١٥٢١ - ١٥٧٢م

علي بن إبراهيم الدرورة

٩٥٣/١٣٥
ع ل ت ا
علي إبراهيم الدرورة، ١٩٥٩ -
تاريخ الاحتلال البرتغالي للقطيف ١٥٢١ - ١٥٧٢م/ علي بن إبراهيم الدرورة.- ابوظبي: المجمع الثقافي، ٢٠٠١.
٣٥٠ص.
ببليوجرافية: ص ٤٦١ - ٤٧٨.
١- القطيف - تاريخ - الاحتلال البرتغالي (١٥٢١-١٥٧٢).
أ- العنوان.

ابوظبي-الإمارات العربية المتحدة
ص.ب: 2380- هاتف: 6215300
Email:nlibrary@ns1.cultural.org.ae
http:/www.cultural.org.ae

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي المجمع الثقافي



تاريخ الاحتلال البرتغالي

للقطيــف

تقديم

يستعرض هذا الكتاب تاريخ الاحتلال البرتغالي للقطيف، من خلال ما وقف عليه المؤلف الكريم من وثائق وكتب وبحوث باللغات العربية والانجليزية والبرتغالية.

وهو جانب مهم من جوانب تاريخ القطيف بخاصة وتاريخ الخليج العربي بعامة،في حقبة من الزمن كادت تكون من تاريخ ما نسيه التاريخ، لولا ما كُتب عنها في اللغات غير العربية، وتُرجم شيء منه إلى اللغة العربيةفكان الحافز للمؤرخين العرب إلى القيام بتدوين تاريخ هذه الحقبة المومى إليها.

وحافز آخر دفع إلى الكتابة فيها هو وجود الجامعات العربية في بلدان هذا الخليج،حيث وجود أقسام التاريخ، التي من أهم موادها الدراسية تاريخ منطقة الخليج العربية .

كما أن لانشاءمراكز لدراسات ما يرتبط بالخليج من شؤون جغرافية وتاريخية وما إليها دوراً في حفز الباحثين لذلك.. وهذه أمثال:

١ـ مركز دراسات الخليج العربي في جامعة البصرة.

٢ـ مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية وغيرهما.

وفي البين مؤرخون خارج الجامعات والمراكز وقفوا أقلامهم لتاريخ بلدانهم، متناولين ما دار في الحقبة المشار إليها من حوادث تاريخية بالبحث والاستعراض أداء للواجب الوطني .

ومنهم مؤلف هذا الكتاب الاستاذ علي بن إبراهيم الدرورة القطيفي، فقد أصدر أكثر من جانب مما يتعلق بشؤون القطيف،ونشر أكثر من بحث في دوريات مختلفة تتعلق أيضا بشؤون القطيف.

وفي هذا الكتاب يؤرخ لاحتلال البرتغاليين للقطيف،ذلكم الاحتلال الذي حدث في القرن العاشر الهجري ،السادس عشر الميلادي ،وهذا القرن هو جزء من الحقبة الزمنية التي امتدت لعدة قرون مروراً بالقرن المذكور، تعاقبت فيها على حكم القطيف مشيخات عربية، وحكومات استعمارية غير عربية.

وأود قبل أن اذكر ما له علاقة بالكتاب وموضوعه أن أتناول مفهوم الاحتلال في التعريف اللغوي والمصطلح العلمي ،ذلك أن المصطلح العلمي من المعاني في قديم لغتنا العربية،وما يرادفه من المصطلح العلمي الحديث .

إن كلمة (احتلال) في لغتنا العربية المعجمية تفيد معنى الحلول في المكان، أوقل :معنى النزول فيه وشغله، ففي معجم (الصحاح) : « احتل أي نزل » وفي (قاموس الياس) « احتل المكان : نزل فيه وشغله To occupy » .

فالكلمة لم تكن تعني ما تعنيه الآن من مصطلح علمي وإنما كانت تستعمل بمعناها اللغوي الذي أشارت إليه بعض المعجمات العربية،وهو المذكور أعلاه .

وبسبب الترجمة من اللغات غير العربية إلى اللغة العربية، وضعت كلمة (احتلال) فيما يقابل كلمة (Colomialism) وكلمة (imprialism) الإنجليزيتين .

وأصبحت بهذا ترادف كلمة (استعمار) في معناها الجديد ،فهي مثلها، فقد كانت تعني في القديم (الإعمار)، ومنه ما جاء في التنزيل العزيز:﴿ وإلى ثَمُودَ أَخاُهم صَالِحاً قالَ يا قَومِ اعبُدُوا اللَّهَ مَالَكُم مِنْ إلهٍ غَيرُه هُوَ أنشَأكُم مِنَ الأَرضِ واستَعْمَرَكُم فِيهَا فاستَغْفِرُوه ثُمَّ تُوبُوا إليَه إنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ [1]،ثم أضيف إليها المعنى الإصطلاحي الحديث، وهو الاستيلاء القهري .

والكلمة العربية التي كانت تستعمل في القديم بمعنى الاستيلاء بالقوة،هي كلمة(غزو) . والآن ـ وفي قرننا العشرين هذا ـ رادفها، أو قل :حل محلها، وبمعناها القديم، كلمتا (احتلال) و(استعمار) .

وأدخل هذا المعنى الاصطلاحي إلى المعاجم اللغوية الحديثة، أمثال (المعجم الوسيط) لمجمع اللغة العربيـة بالقاهرة،فقد جاء فيه :« الاحتلال :استيلاء دولة على بلاد دولة أخرى أو

---

(١) سورة هود ١١ / ٦١.

جزء منها قهراً ـ محدثة ـ» وفيه أيضاً : «استعمرت دولةٌ دولة أخري: فرضت عليها سيادتها واستغلتها ـ محدثة ـ» وفي معجم الصحاح للمرعشليني: «استعمار :استعمال دولة حق السيادة على إقليم خارج عن حدود أراضيها ». ومنه ننتهي إلى أن الكلمة (احتلال) معنيين، هما:

١–النزول بالكلمة وشغله.

٢– استيلاء دولة على بلاد دولة أخرى أو جزء منها قهراً وفرض سيادتها عليه.

والمعنى الأول هو المعنى اللغوي،والثاني هو المصطلح السياسي والعسكري والقانوني.

ويطلق على هذا اللون من الاحتلال الذي هو بمعنى التسلط القهري اسم الأستعمار القديم،وهو ذلك الغزو العسكري الذي تمثل في نزعة الدول القوية للتسلط والهيمنة على الدول الضعيفة سياسياً، واستغلال ثرواتها اقتصادياً،ومن ثم تحقيق أحلامها في أن تكون إحدى الامبراطوريات في العالم.

وقد عَرَفَ العالم قديماً أمثال: الإمبراطورية البابلية والإمبراطورية الآشورية،والفارسية، والرومانية.

وبعد هذه الإمبراطوريات القديمة جاءت موجه الامبراطوريات الأوربية،متمثلة في أمثال: الاحتلال الفرنسي والاحتلال البريطاني والاسباني والبرتغالي للعديد من بلدان العالم،وكانت الامبراطورية البرتغالية «أعظم امبراطورية قامت في الغرب»[1]،كما أنها كانت «الدولة التجارية الأولى في العالم[2] ويعود هذا إلى ما قام به الرواد الأوائل من القادة الملاحيين البرتغاليين من مغامرات في عرض البحار وطولها لاكتشاف المدن ذات الثروات المهمة، والمرافيء ذات المواقع الجغرافية التي تعطيها أهميتها من حيث التجارة، والمعابر التي

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة:مادة البرتغال.

(٢) م.ن

(٣) مادة :البرتغال

تستطيع الامبراطورية أن تتحكم فيها بغية تعزيز نفوذها السياسي.

ففي (الموسوعة العربية العالمية)[٣]: «وخلال القرنين الخامس عشر والسادس عشراستهل المكتشفون البرتغاليون المغامرون ما يمكن وصفة بالعصر الذهبي للاكتشافات الأوروبية، فقد قاد(بارلوثولو ميو دياز) الرحلة البحرية الأولى حول رأس الرجاء الصالح في الطرف الجنوبي لأفريقيا، وأبحر فاسكو دي جاما حول الرأس ،واكتشف طريقاً بحرياً إلى آسيا كما أبحر (بدرو الفاريز كابرال) الى ما يعرف اليوم باسم البرازيل.

ومصدر الرحلات البحرية وغيرها أدت الى تأسيس إمبراطورية برتغالية شاسعة اشتملت على مستعمرات في أفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية» وفي (موسوعة أوكسفورد العربية)[١]: «ففي القرن الخامس عشر و السادس عشرأبحر ملاحون (برتغاليون) جريئون بعيداً في عرض البحر،بغية استكشاف مناطق في العالم كانت ولّما تزل مجهولة، فدار (برطو لوميو دياس)حول رأس الرجاء الصالح، ونزل (بدرو كابرال) في البرازيل، واكتشف(فاسكو دي غاما) طريق البحر باتجاه الهند عبز افريقيا».

وفي (الموسوعةالعربية العالمية)[٢] أيضاً: «كان التجار صيادو السمك البرتغاليون قد أبحروا بعيداً عن موطنهم في عمق المحيط الأطلسي قبل القرن الخامس عشر الميلادي.وما إن حل هذا القرن حتى تجمع لدى البرتغاليين قدر كبيرمن المعلومات عن البحر.وما كانوا قد أتقنوا مهارات الملاحة البحرية والمقدرة على بناء سفن قادرة على الإبحار بعيداً.

برز اسم هنري الملاح ابن الملك جون الأول كشخصية قيادية في بروز البرتغال، ولم يذهب بنفسه في رحلة بحرية، لكن دراساته أسهمت في خبرات البرتغاليين البحرية،فقد كان يشجع ويدعم كثيراً من الاكتشافات.

وصل البحارة البرتغاليون إلى جزر ماديرا عام ١٤١٩م والآزور عام ١٤٣١هـ، وعند وفاة هنري الملاح عام ١٤٦٠م كان البرتغاليون قد اكتشفوا الساحل الافريقي الغربي وتوغلوا الي

---

(١) ٣٥/٣

(٢) ٣٠٧،٣٠٦/٤

الجنوب حيث وصلوا إلى ما يسمى اليوم سيراليون، في عام ١٤٨٨م أبحر مركب برتغالي يقوده (بارتلو ميودياز) حول رأس الرجاء الصالح، في الطرف الجنوبي لأفريقيا. كانت الرحلة أول عمل يقوم به الأوربيون في الدوران حول هذه النقطة. أصبح (مانويل) الأول المسمى ما نويل المحظوظ ملك البرتغال. وفي عام ١٤٩٥م قرر زيادة قوة بلاده وأهميتها بأن يدعم رحلة بحرية جريئة للدوران حول جنوب أفريقيا، حتى آسيا. تسلم (فاسكو دي جاما) هذه المهمة عام ١٤٩٧م وقاد أربع سفن حول الرجاء الصالح، ووصل الهند عام ١٤٩٨م، وأرسل مانويل بعدها بدور ألفاريز كابرال ليتبع طريق دي جاما،ولكن كابرال خرج عن المسار. في عام ١٥٠٠م ، فوصل أسطوله إلى الساحل الشرقي لما يسمى اليوم البرازيل. وصل البرتغاليون أيضاً إلى شواطئ أفريقيا وشبه الجزيرة العربية والجزر الماليزية، وجزر الهند الشرقية وإلى الشرق.

اندفع المستوطنون والجنود البرتغاليون المكتشفون يؤسسون المستعمرات. وما إن جاء منتصف القرن السادس عشر حتى كان تحت سيطرة البرتغاليين إمبراطورية شاسعة فيما وراء البحار، شملت مستعمرات ما يعرف اليوم بالأقطار الأفريقية: أنجولا،وكيب فيرو،وغينيا بيساو، وموزمبيق، وساوتومي، وبرنسيب، وشملت البرازيل، وماليزيا، وإندونسيا، والصين.

كسبت البرتغال ثروة كبيرة من مصادرها في المستعمرات، فقد ربحت من تجارة البهارات في آسيا،وحصلت على الذهب من أفريقيا، واشتركت في تجارة الرق،وحصلت الإمبراطورية البرتغالية على أراضٍ جديدة. أنتج المزارعون البرتغاليون في البرازيل وأفريقيا وفي الأماكن الاخرى الحاصلات التي أضافت قوة إلى اقتصاد البلاد»،وفي (موسوعة المورد)[1]: «ولم يكد القرن السادس عشر ينتصف حتى أنشأت البرتغال إمبراطورية واسعة، ضمت البرازيل،وأجزاء من أفريقيا الشرقية، وجزر الهند الشرقية».

وفي السواحل العربية للخليج الأخضر احتلت البرتغال جزيرة هرمز ثم احتلت البحرين

---

(١) مادة:portugal

فالقطيف.

وكان احتلال البرتغاليين للقطيف عام ٩٢٧هـ ١٥٢١م ، إذ ترجع دوافع هذا الاحتلال الى ما كانت تتمتع به بلاد القطيف من مواصفات مميزة، من أهمها:

١- موقعها الجغرافي، فهي من أهم موانئ الخليج آنذاك.

٢- استقرارها الاستيطاني، فقد كانت إحدى حواضر شبه جزيرة العرب.

٣- عراقتها الحضارية،فمنذ القدم تعاقبت عليها حضارات شتى تركت بصماتها في مظاهر التمدن وظواهرالتفكير، وآفاق النظرة الواعية للحياة، حيث يسر التعامل معهم، والاعتماد عليهم في التبادل المالي.

٤- وفرة وتنوع ثرواتها من منتجات حيوانية، ومحصولات زراعية، ومستخرجات بحرية من لؤلؤ و سمك، ومصنوعات يدوية كالسيوف والرماح الخ. مما ساعدها على أن تكون مرسى للمراكب التجارية الآتية من البحار فيما وراء الخليج إلى البصرة، والطالعة منها إلى تلكم البحار.

- وان تكون محطةً للبضائع التجارية الواردة إليها ومنطلقاً للأخرى الصادرة منها.

- وان تكون سوقاً تجارية يرتادها أبناء قبائل بوادي الجزيرة العربية القريبة منها يبيعون منتوجاتهم الزراعية والبحرية، وواردتها من بضائع تصل إليها من وراء البحار.

- وان تكون معبراً بين شمال الخليج وجنوبه.

إن هذه الأسباب جعلتها مطمعاً للدول القوية التي تنشد فتح الأسواق لتجارتها، ومعبراً تنفذ منه إلى السواحل البحرية فيما وراء البحار، وتسد المنافذ بوجه الآخرين ومصدراً للثروة تفيد منها في دعم إمبراطوريتها ومركزها الأم.

وفي عام ٩٨٧هـ-١٥٧٢م انتصر أهالي القطيف على البرتغاليين فأخرجوهم من ديارهم.

واذا حاولنا أن نعرف العوامل التي دفعت أهالي القطيف إلى التخلص من الاحتلال البرتغالي فانها لا تعدو العاملين التاليين:

---

(١) النساء ٤/١٤١.

١– الدين :

ويتمثل هذا في أن أهل القطيف مسلمون ملتزمون،ينطلقون من مبدأ عدم تسلط غير المسلم عليهم استناداً إلى قوله تعالى :(وَلَنْ يَجعَلَ اللَّهُ للكَافِرِينَ عَلَى المُؤمِنيَن سَبِيلاً)[١].

يضاف اليه : أن خضوع المسلم لغير المسلم سلب للعزة التي جعلها الله سبحانه وتعالى للمؤمنين :(ولِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِه والمُؤْمِنِينَ)[١].

وكان الدين أقوى شعار طرحه القطيفيون لإخراج البرتغاليين من بلادهم .

٢– التحرر الوطني :

ويرجع هذا إلى قوة ارتباط أبناء القطيف بوطنهم، فمن حقهم الطبيعي أن يكون وطنهم لهم يحكمونه بأنفسهم أو من يرتضونه لذلك. ومع وجود هذه المسافة التي باعدت بين أهالي القطيف والبرتغاليين دينياً ووطنياً أفاد القطيفيون من البرتغاليين في المجالات التالية :

١– التقارض اللغوي، فقد خلف البرتغاليون شيئاً من لغتهم دخل ضمن لهجات القطيف، ولا سيَّما العامية منها.

٢– التجارة،حيث أفاد القطيفيون من تجارب البرتغاليين في هذا المجال، فزادوا خبراتهم التجارية.

٣– الاعتداد بالشخصية، ذلك الاعتداد الذي يعدّ من أهم أبرز الظواهر في الشخصية القطيفية الفردية والاجتماعية، فقد نميّ وضاعف من هذا الاعتداد موقفهم من الاحتلال البرتغالي المتمثل بانتصارهم على البرتغاليين عن طريق إخراجهم من القطيف، وكرد فعل لذلك .

٤– الاحتياطات لتأمين المستقبل، وهو أمر طبيعي يأتي تلقائياً، وبخاصة من اناس عرفوا باعتدادهم الشديد بشخصيتهم هويتهم القطيفية.

---

(١) المنافقون ٦٣/٨ .

وسيقف القاريء الكريم على تفصيلات تاريخ الاحتلال البرتغالي للقطيف في هذا الكتاب، فقد استعرض فيه مؤلفه (الدرورة) كل ما يرتبط به مما استطاع الوقوف عليه في المصادر المتوافرة لديه، والأخرى التي وصل إليها.

ولأن الاحتلال المذكور حدث تاريخي يرتبط بأحداث سبقته وأخرى لحقته عرض المؤلف لذلك ليحدد موقع الاحتلال البرتغالي تاريخياً،وليعرف القارىء بمدى تأثر الاحتلال بالحوادث المحيطه به وتأثيره فيها.

وقد وقف عند بعضها معللاً، حيث اقتضت طبيعة الموضوع ذلك، وسندا لبعض أقوال المؤرخين في بعض قضايا هذا الاحتلال. والعرض والتحليل والنقد من أهم السمات التي ينبغي للمؤرخ أن يتحلى بها.

وأخيراً:

أسأله تعالى أن يوفقه لاستمراره في السير على طريق اختطه لنفسه يوفّي فيه وطنه العزيز حقه، إنه سبحانه ولي التوفيق وهو الغاية.

الدكتور عبد الهادي الفضلي

الدمام في شهر أغسطس **2000** م.

مقدمة المؤلف

تحوي آلاف الصفحات التاريخية أحداثاً وصراعات عن تاريخ القطيف المجيد لم يتم تحقيقها ونشرها بعد، وآلاف الوثائق مازالت في طي النسيان. لقد عفا عليها الزمن حتى تراكمت عليها طبقات من الغبار فلم يَجْلُها أي مؤرخ، وأبناء اليوم لا يعرفون إلا النزر اليسير عن تاريخ هذه المنطقة ذات العراقة التاريخية ومنها تاريخ البرتغاليين واحتلالهم لمنطقة القطيف، وبالرغم من أن تاريخ البرتغاليين في الخليج قد كُتِبَ وحُلّلَ ودُرِسَ وأشارت تلك الدراسات كثيراً إلى القطيف في تلك الحقبة، إلا أن هذه البحوث لم يشأ لها أن تنشر فالمنطقة وكما هو معروف عنها رفضت الاحتلال الأوربي الذي بدأه البرتغال وقاومه أبناؤها البواسل وذادوا عن حياض وطنهم القطيف، وحتى تلك الصفحات المشرقة من النضال والبطولة لم يشأ لها التدوين حتى اليوم، لما في ذلك من معوقات أحجمت المؤرخين عن الخوض فيها.

وبالرغم من أن البرتغاليين ومنهم : دوارثي بار بوسا وجون هيوفان لينخوتن و تشارلز بوكسر وكوستنيتينو، وبادجر وبيدرو تيخسيرا وصموئيل برجاس ووليام فوستر و (الهيدالجو) دون جراسيا دي سلفيا فيجورا ولويز مارينهو ولورينسو كراسبيك وبيثرو ديلا فال قد كتبوا مذكراتهم عن الملاحة والقتال والتجارة وغيرها من الأمور في الخليج إلى جانب قائمة طويلة منهم سواء من القادة أو المقاتلين أو الملاحيين و أن هناك كتباً كثيرة لم تصل إلى أيدينا بالرغم من أنها طبعت في تلك الفترة الزمنية أي في القرون : الخامس والسادس والسابع عشر الميلادية، فخلال هذه القرون الثلاثة أصدر (البرتغاليون) أو (البرتغاليون / الإسبان) أو (البرتغاليون / الهولنديون) هذه الكتب ولا نشك في أن بعضهم قد كتب مذكراته عن مشاهداته في البحرين والقطيف وغيرهما من مناطق الخليج، إلا أن تلك المذكرات حملت بين طياتها في الغالب تمجيداً للأمة البرتغالية، ومع هذا فهي تحتوي بعض

المعلومات عن بلادنا وعن تلك الأحداث التي عاصروها ودونوها، ومما يؤسف له أن أبناء المنطقة في تلك الفترة لم يدونوا أحداث زمانهم ولو تم ذلك لأعطينا صورة واضحة لمجريات الأمور كلها من خلال التحليل التاريخي فحسب .

وهذا الكلام لاينطبق على الفترة البرتغالية فحسب بل ينطبق على ما قبلها وما بعدها، ولعلها كانت مدونة من قبل المؤرخين أو الشعراء ولكنها لم تصلنا لسبب أو لآخر، خصوصاً أن المنطقة مرت بأحداث وفتن ومعارك وغزوات وغيرها من حوادث الدهر ونكباته، فلم يبق بيت في القطيف إلا وناحت فيه نائحة ولم يسلم طريق أو زقاق إلا وقتل فيه بريء ولم تبق نخلة إلا ولطخت بالدماء وهذا هو سبيل الأشراف في وطنهم .

وإذا كنتُ – شخصياً – أعتقد بأن هناك مئاتٍ أو آلافاً من الصفحات التي كتبت عن المنطقة منذ أن أرسل ملك البرتغال الدون جوان (١٤٨١–١٤٩٥) بعثاته البرتغالية المتعددة بهدف البحث عن بلاد التوابل ولكن تلك الصفحات لم تصل إلينا وكذلك الوثائق وفيها كشف صريح لما كان يدور حيث إنها لابد من أن تحتوي على معلومات مهمّة تضم أهدافاً ومقدمات لما يساور البرتغاليين من آمال في تحطيم عزة المسلمين وتدنيس لمقدساتهم والسيطرة على بلدانهم واقتصادهم، إلى جانب استمرار البعثات التدميرية لبلاد المسلمين وغزوهم في عقر دارهم، و الوضع الذي استمر إلى آخر جندي وآخر سفينة ترسو في الخليج.

إن الصفحات المفقودة عن تاريخ القطيف والدويلات الأخرى المعاصرة لتلك الأحداث في القرن العاشر الهجري لابد لها من أن ترى النور يوماً ما، ولكن حتى يأتي ذلك اليوم لا بد لنا من أن نقدم هذه الصفحات القليلة لعلها تفي بموضوع تاريخي مهم لم يطرق لعدة أسباب أهمها: عدم وجود المصادر المتخصصة في هذا الموضوع التي هي أساس البحث العلمي وكذلك عدم وجود الوثائق التي تشير بوضوح إلى الأحداث، وكما هو معروف تاريخياً أن البرتغال ضعفت في فترات حكمها، فقد ضمتها إسبانيا في حكمها سنة ١٥٨٠ حتى أخذت استقلالها سنة ١٦٤٠ م، ومع هذا لم يتأثر أسلوب البرتغاليين في الخليج فهم الغزاة الذين يرفعون علم البرتغال لا إسبانيا ولهذا كانوا حتى آخر يوم لهم في مياه الخليج

يحاربون ويغزون ويقتلون دون رحمة تحت لواء البرتغال .

ولعل القطيف هي المنطقة الوحيدة التي كان الاحتلال فيها أقل فترة من بين دويلات شمال الخليج والذي استمر أكثر من أربعة عقود متقطعة، على أنها عرفت الاحتلال البرتغالي على خمس فترات هي :

١ ـ الاحتلال الأول كان من سنة ١٥٢١ ـ ١٥٣٧ م .

٢ ـ الاحتلال الثاني من سنة ١٥٤٥ ـ ١٥٤٩ م.

٣ ـ الاحتلال الثالث من سنة ١٥٤٩ ـ ١٥٥٠ م.

٤ ـ الاحتلال الرابع سنة ١٥٥٢ م .

٥ ـ الاحتلال الخامس سنة ١٥٥٣ م .

وبعد طردهم عام ١٥٥٣ م أو بعد الاحتلال الخامس عادوا الكرة تلو الأخرى لإعادة احتلال القطيف، حيث إن البرتغاليين مكثوا فترة أطول في احتلال البحرين، ولكن تلك المحاولات كلها لم تنجح وكان الفشل حليفها، إلا أن التهديد كان مستمراً عند البرتغاليين يقابله الاستعداد عند القطيفيين فغيابهم لا يعني عدم الغزو مرة أخرى، وفي كل احتلال لم يرض القطيفيون به حيث كانوا يقاومونه أشد المقاومة، فقد ضحّوا بالأرواح والممتلكات خلال كل احتلال ولم تضعف عزائمهم في ترميم قلاعهم وأخذهم العدّة على الرغم من أن استعدادهم الدائم لأمثال هؤلاء الغزاة، إلى جانب أن التاريخ يذكر أن أبناء القطيف مسالمون إلى حد كبير فهم يقبلون بالحاكم المسلم حتى لو لم يكن من أهالي القطيف نفسها، ولم يذكر لنا المؤرخون بأن أحد الحكام أزيل بسبب أو لغيره على أيدي القطيفيين أنفسهم وهذا دليل تاريخي صريح وواضح لما يتمتع به هؤلاء الناس من عدم اكتراثهم بأمور الحكم والسلطة وأنهم مسالمون إلى أبعد حد لا يمكن لغيرهم أن يتصوره. وهذا لايعني أنه لا توجد شخصيات تاريخية ذات دهاء سياسي عبر التاريخ.

وإن أي مطلع على تاريخ القطيف يجد أن أغلب الحكام سواء قبل العصر البرتغالي أو أثناءه أو بعده مسلمون ومن أبناء المنطقة ا .

وقد تكون هناك هوّة بين صفحات هذا الكتاب عن بعض الأحداث، أو أن تلك السنوات اكتنفها الغموض فلعل الأيام كفيلة بإماطة اللثام عنها، وبالرغم من دراسة الشواهد والشوارد في معظم موارد تاريخنا في تلك الفترة الزمنية قدر الإمكان وتحليل ذلك، ولم نتمكن من سد تلك الثغرات سواء كانت أحداثاً تأريخية أو أعمالاً معمارية أو اجتماعية أو غيرها من الأمور الاصلاحية لهؤلاء الحكام الذين تقلدوا زمام السلطة في المنطقة وعرفنا بعضهم تباعاً، ولا شك أن لهم الأعمال الخيرية ولكن سيرتها أو تخليدها اكتنفه الغموض فلم يستطع أحد المؤرخين تدوين ذلك تاريخياً فيصل إلينا عبر الوثائق أو الكتب أو الاشعار ومن تلك السنوات، حوادث ما بين عامي ١٥٢٧ – ١٥٢٨ م، وبين عامي ١٥٣٢ – ١٥٣٦ م، وعامي ١٥٦٣ – ١٥٧١ م.

إن قلة المصادر لتلك الفترات هي العامل الرئيس في جعلها فترات مجهولة. والملاحظ على المؤرخين اختلاف ذكر الأعوام ومن المفترض أن الأساس هو تحويل الأعوام الميلادية إلى هجرية فيكون هناك عامان هجريان في أول السنة الميلادية وفي آخرها، إلى جانب اختلاف الإحصائيات، ومع هذا فقد أشرت إلى كل ما مرَّ بي من اختلافات حتى يكون القارئ على بينة من دقة المعلومات .

والملاحظ أن البرتغاليين واجهوا ست ثورات من أهالي القطيف هي كما يلي :

١ – ١٥٢١ م . وهي المعروفة بثورة الجمارك على مستوى الخليج .

٢ – ١٥٢٢ م .

٣ – ١٥٢٣ م .

٤ – ١٥٢٦ م .

٥ – ١٥٢٩ م . وهي الثورة التي قتل فيها سيمون دي كونها؛ أخو نائب الملك في الهند .

٦ – ١٥٣٧ م . وهي من أنجح الثورات التي أطاحت بالبرتغاليين وسلمت القطيف

للعثمانيين .

ومن خلال التدقيق في الأحداث وتسلسلها تباعاً، وعاماً بعد عام فقد رأيت أن هناك ثغرات بقيت فراغاً ولم يُعرف ماذا حدث فيها وهي على التوالي :

١ – ٩٣٧ هـ – ١٥٣٠ م .

٢ – ٩٣٩ هـ – ١٥٣٢ م .

٣ – ٩٤٠ هـ – ١٥٣٣ م .

٤ – ٩٤٢ هـ – ١٥٣٥ .

٥ – ٩٤٣ هـ – ١٥٣٦م .

٦ – ٩٤٧هـ – ١٥٤٠ م

٧ – ٩٤٨ هـ – ١٥٤١ م .

٨ – ٩٥٠ هـ – ١٥٤٣ م .

ولا ندري إذا كان الهدوء فعلاً ساد أجواءها أم ان احد المؤرخين أو كلهم لم يصل إلى أسماعهم حدث يمكن تدوينه، وقد تكون الأيام كفيلة بإخبارنا عن ذلك من خلال بحث ما أو مخطوطة أو وثيقة .

وإذا كانت القطيف لم تحظ بتدوين تاريخها في فترة الاحتلال البرتغالي وبقي فراغاً فلعلي أدركت ذلك واسهمت بهذا البحث المتواضع راجياً ان اكون موفقاً فيه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

علي بن إبراهيم السليمان الدرورة

جزيرة تاروت – ١٤١٩ – ١٤٢٠ هـ

الباب الأول

القطيف جغرافياً وتاريخياً

الموقع – الخرائط – التسمية التاريخية – المدن

موقع القطيف :

تمتاز القطيف بموقع جغرافي استراتيجي، إذ تقع في منتصف الخليج بين العراق وعمان وهي تتمة للمثلث الزراعي (القطيف – البحرين – الأحساء) والمثلث الملاحي (القطيف – البحرين – قطر) ومثلث شمال الخليج (الأحساء – القطيف – البصرة)، وموقعها الملاحي وإنتاجها الزراعي جعلا منها موقعاً مهماً، فهي للقادم من البحر الملاذ الآمن، وللقادم من الصحراء جنة عدن، وتجارتها بلغت الآفاق منذ عصور موغلة في القِدَم، فهي كثيرة المدن الساحلية وهذا يعني تعدد الموانئ فيها إلى جانب المدن الداخلية المنتشرة بين غابات النخيل، وكانت خيراتها لا تحصى عبر الحضارات القديمة وعندما جاء الإسلام كانت من الأمصار المعروفة في مجال الاقتصاد والثقافة، فاقتصادها المتين كان أحد دعائمها عبر كل الدويلات والمشيخات التي أقيمت على ترابها إلى جانب أنها أنجبت الكثير من العلماء والشعراء وكانت تمتاز بكلتا الصفتين (الاقتصادية والثقافية) عبر حضارات عديدة[1] .

فأي باحث في العلوم الاقتصادية لابد له من أن يشير إلى القطيف عبر حقب التاريخ سواء في العهود الغابرة أو العصور الإسلامية، وكذلك مكانتها الحضارية فهي مهد العلم والفلاسفة والفقهاء والشعراء حتى إنها سميت بالنجف الصغرى وهي صفة لم تطلق على أي مدينة في الخليج سواها وذلك للمكانة العلمية التي اشتهرت بها، وكثرة العلماء فيها حتى ذُكِرَ أنه كان في إحدى فترات التاريخ يوجد فيها أربعون مرجعاً دينياً في آن واحد، إلى جانب مدينة علمية تدعى (المدارس) وما زالت هذه التسمية تطلق على تلك الناحية من القطيف، وتعتبر في يومنا هذا حياً شعبياً يقع غرب القطيف وكان حياً علمياً فيه الكثير من المدارس التي ينهل منها طلاب العلم ومن مختلف الأقطار .

خرائط القطيف في العصر البرتغالي :

أكد كثير من الرحالة وربابنة البحر وكذلك الجغرافيون على أن الخليج العربي كان يدعى

---

(١) انظر معلومات وافية في المراجع التالية : تقويم البلدان، ص ٩٩، وتحفة الأنظار، ص ٢٨٠، وساحل الذهب الأسود، ص ٢٠١، والتجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي، ص ١٠٣ .

بحر القطيف وأثبتوا ذلك في خرائطهم كثيراً؛ وبين يدي القارئ صور لتلك الخرائط تبين أن الخليج كان يعرف باسم بحر القطيف ،إلا أن الصفويين في تلك الفترة أي فترة الاحتلال البرتغالي كانوا يسمونه خليج فارس والفرس حتى اليوم يسمونه بهذه التسمية بينما العرب على ضفافه الغربية يسمونه الخليج العربي،و لقد ظل الخليج يعرف ببحر القطيف[1] وكذلك ببحر البصرة في بعض الفترات وهي تسمية عثمانية. والواقع – والحق يُقال – أنَّ ضفاف الخليج الغربية كانت دولاً ومشيخات وإمارات عربية منذ القدم حتى اليوم إلى جانب أن الضفَّة الشرقية للخليج كانت ذات إمارات عربية أو ملحقات سيطر عليها العرب بدأً من المحمرة[2] في الشمال والتي تعرف اليوم عرب ستان امتداداً إلى مكران وجوادر في باكستان، إذ كانت تتبع الإمبراطورية العمانية لمدة ثلاثة قرون مّما يعني أنَّ الخليج كله إمارات عربية وقد أثبت ذلك التاريخ .

بحر القطيف أم الخليج الفارسي ؟

يقول قدري قلعجي : كان الاسم الذي يطلق على الخليج في العصور القديمة، كما دلت النقوش الأكادية البحر الأدنى أو المر Lower or Bitter Sea ويقابله فيها البحر الأعلى Upper Sea وهو البحر الأبيض المتوسط[3] والراجح أن الاسكندر الأكبر المقدوني كان يطمح إلى أن يحمل لقب (ملك العالم) وهو أول من سماه (الخليج الفارسي) فقد أرسل الإمبراطور المقدوني أسطوله بقيادة أمير البحر نياركوس من الهند إلى العراق سنة ٣٢٦ – ٣٢٥ ق . م . عن طريق الخليج لسبر أغواره واكتشاف مصب نهر الفرات، ثم تبع بأسطوله مجرى نهر قارون ليحط رحاله عند مدينة سوزه حيث كان الاسكندر في انتظاره .

ثم يضيف قلعجي عن سبب التسمية (بالفارسي) فيقول : وهكذا لم يتعرف الأميرال المقدوني في رحلته هذه إلا إلى الساحل الشرقي للخليج، أي (الساحل الفارسي)، وظل

---

(١) يسميه ابن خلدون الخليج الأخضر.

(٢) وهو ما يعرف بخوزستان أو منطقة الأهواز.

(٣) الخليج العربي بحر الأساطير ص ٧ نقلاً عن العرب والملاحة في المحيط الهندي لجورج فضلو حوراني ص٣٠٩ .

الساحل العربي مجهولاً لديه [١] .

مما دعا الإمبراطور إلى أن يطلق على الخليج ذلك الاسم ! ! وبقي متداولاً بطريق التواتر. وفي العصور الأخيرة أي في أثناء الاحتلال البرتغالي وهي البدايات التي يؤرخ لها هذا الكتاب، أطلق العثمانيون على الخليج اسم (خليج البصرة)، أما سكان الاحساء فكانوا يسمونه (خليج القطيف)[٢] و يضيف قدري قلعجي : أن المؤرخ الروماني بليني Pliny الذي ولد سنة ٦٢ م وتوفي سنة ١١٣ م يسمي الخليج باسمه الصحيح (الخليج العربي)[٣].

ولكي نعرف المسميات كما جاءت في كتاب الخليج العربي بحر الأساطير فهي نورد الآتي :

١	البحر المر	نقوش اكادية	العصر الاكادي
٢	البحر الأدنى	نقوش أكادية	العصر الأكادي
٣	الخليج الفارسي	الاسكندر الاكبر	القرن الرابع قبل الميلاد
٤	خليج البصرة	العثمانيون	القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي
٥	خليج البصرة	الاحسائيون	غير محدد
٦	الخليج العربي	الروماني بليني	القرن الاول الميلادي

إن الذي سمى الخليج خليج القطيف ليس الاحسائيين، بل ما أورده قدري قلعجي[٤] نقلاً عن كتاب (ساحل الذهب الأسود) للمؤرخ محمد سعيد المسلم حيث يقول:

ويذكر (الدكتور عبد الوهاب عزام) أن هذا الساحل كان يسمى القطيف قبل أن يغلب

---

(١) المرجع السابق ص ٨ نقلاً عن Le golfe Persique

(٢) المصدر السابق ص ٨ .

(٣) المصدر السابق ص ١٠ وقد أسهب في ذكر القطيف أو الخط وهي التسمية الثانية والأقدم لمدينة القطيف وكذلك ذكر اسم ساحل الخط الممتد من البصرة إلى رأس الخيمة .

(٤) المصدر السابق، ص٨ ، نقلاً عن المسلم ص١٧ .

عليه اسم الخط، ويذكر صاحب (التعريفات الشافية) أن الخليج العربي كان يسمى (بحر القطيف)، أما (شبرنكر) فينص على أنه كان يسمى (خليج القطيف) قبل أن يعرف بأي اسم آخر[1] .

لعل قدري قلعجي قد أخطأ بقوله : إن الاحسائيين هم الذين سموه بخليج أو بحر القطيف ولا أظن أن قلعجي قاصد وقد أسهب في الحديث عن المفارقات بين المسميين العربي والفارسي لبحر القطيف ووضع الأدلة المقنعة بأنه عربي على امتداد سبع عشرة صفحة وقد أجاد في حديثه ،ولكنه لم يتطرق إلى التسميتين، البصرة والقطيف، فالبصرة حديثة، بنيت سنة ١٥ للهجرة، وأن الذي سمى الخليج بخليج البصرة أو بحر البصرة هم العثمانيون سواء بعد أن تنازل لهم راشد بن مغامس أو بعد أن طردوه أو فر هارباً واحتلوا البصرة بأنفسهم . على أن هذا المسمى لم يستمر طويلاً، وقد بقي مسمى القطيف خليجاً أو بحراً قبل البصرة وبعدها ولم يطلقه العرب، على الرغم من تداولهم له . وهناك كثير من الجغرافيين الذين وضعوا الخرائط وهم يشيرون إلى أنه بحر القطيف أو خليج القطيف وهذه الخرائط غير محددة بجنسية ما أو أمة معينة بل هي حقائق جغرافية تركها علماء الخرائط حسبما كانوا يرونه صواباً في تلك الأزمنة .

الموقع والمساحة :

على مساحة مغمورة بالمياه، تقدر بسبع وتسعين ألف ميل مربع أي ما يعادل ٢٥٠ ألف كيلومتر مربع، يمتد الخليج العربي على شكل ذراع بحري في جنوب غرب آسيا، يحده من الشرق الساحل الإيراني الذي تقطنه قبائل عربية وفارسية، ومن الغرب شبه الجزيرة العربية، حيث جون الكويت في الشمال وفيه جزيرة بوبيان ويمتد حتى مضيق هرمز، حيث مسندم

---

(١) ساحل الذهب الأسود، وقد رجع المسلم رحمة الله عليه إلى : تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٨، ص ١٤٠ ومعجم البلدان ج ٣، ص ٤٤٩ و ج ١ ص ١٤٠ من تاريخ العرب قبل الإسلام وكذلك مهد العرب لعبد الوهاب عزام .

أو منطقة رؤوس الجبال، ثم ينفتح على خليج عمان جنوباً والذي كان يوماً يدعى – سابقاً – خليج أو بحر هرمز. وأما من الشمال فيحده سواد العراق أو منطقة بلاد الرافدين حيث الأنهار والبحيرات أو المصطلح العلمي (الأهوار) ولذلك يرى الباحثون على أن الخليج كيان واحد (من الهور إلى الجبل) .

وتبلغ أبعاد الخليج ٨٠٠ كيلومتر طولاً، ويتراوح عرضه بين ٢٩٠ كيلومتراً في قسمه الجنوبي و ٤٧ كيلومتراً عند مضيق هرمز، ومتوسط هذا العرض ١٥٠ كيلومتراً، يقع بين خطي طول ٤٨ و ٥٧ شرقاً، وخطي عرض ٢٤ و ٣٠ شمالاً [١] .

ويضم الخليج المئات من الجزر المأهولة والمهجورة ، بعضها كان مسكوناً قديماً، وقد هُجرت لأسباب عديدة، كما كان لبعضها أهمية تاريخية مثل هرمز وقيس وتاروت ودلما وأبو ظبي وكمزار وفيلكا وخَرْج وغيرها وما زالت هذه الجزر كلها عامرة في يومنا هذا، بينما كانت هناك مجموعة من الجزر هُجِرّت وظلّت أطلالها دالّة على حضارتها، ومنها كران وكربّن وجنا وجريد والمسلمية والزخنونية وغيرها .

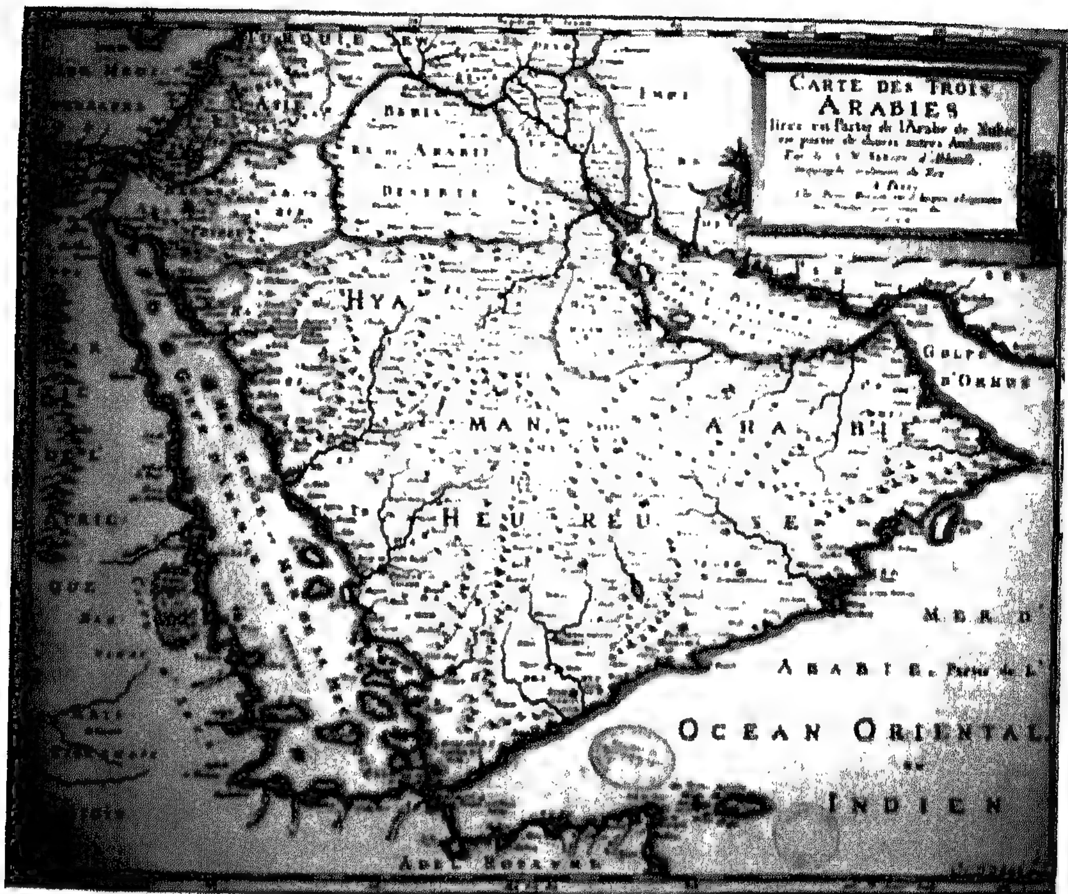
---

(١) The World al Manac, P.518 والجزيرة العربية ص ٢ /٩٧ الخليج الفارسي، الخليج العربي – بحر الأساطير ص٢٦ .

نماذج من خرائط القطيف في العصر البرتغالي :



خريطة الجزيرة العربية، رسمها الجغرافي الفرنسي نيكولاس سانسون (N. (Sanson ونشرت عام ١٦٥٢ ، وقد أوردها سلوت في كتابه منوّهاً على أنها من مجموعة الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي حاكم إمارة الشارقة.



إحدى الخرائط التي تضم ثلاثة مسميات للخليج :

١ – بحر القطيف Mer Del Catif .

٢ – خليج البصرة Golfe De Basera .

٣ – خليج فارس Golfe De Perse .



خارطة بحر القطيف (الخليج العربي من أطلس فان هونديوس ، تعود إلى قرابة عام ١٦٦٥ م) .



بحر القطيف، خارطة برتغالية تعود لعام ١٦٥١ - ١٦٥٤ م



The Turkish Empire بحر القطيف (الخليج العربي) من خلال خريطة The Sea El Catif



نسخة مزخرفة وضعها أبراهام أورتيليوس عام ١٥٧٦ من إحدى خرائط بطليموس وقد كتب عن الخليج (خليج البصرة وأسفله بحر القطيف) .



إقليـم العروض من خريطة الرحالة الإسلامي (الإدريسي)، وتبدو فيها المدن القديمة :

القطيـف، الأحسـاء، الخط، الزارة (وضعـهـا أمام شبـه جـزيرة قطر)، برقـة، كـاظمـة، القرعاء .

مصطلح القطيف (Qatif) عبر الخرائط :

جاء في معجم البستان : قَطَفَ الثَّمرَ يقطفه قطفاً :جناهُ وجمعهُ واقطف الكرم: دنا قطافهُ و-القوم حان قِطاف كرومهم ،والقِطاف والقَطاف أي حضر وقتهُ والقُطافة ما يسقط من الثمر والقِطْف :العنقود ساعة يقطف،والقطيف هو العنب الذي قطف توّاً والقطيف : الثمر المقطوف .[1]

وقد كتبت القطيف في الخرائط بعدة أوجه منها : Qatif و Katifو Qateef و Catifa وغيرها من المصطلحات باختلاف الحرف الأول (ق) فيورد ((K) و (Q) و (C) على أن (T) قد تكررت أحياناً ، مثل:kattif أو Qattif .

(١) البستان (معجم لغوي مطول، ص٨٩٣ (ق ط ف) جزءان في مجلد واحد، العلامة الشيخ عبد الله البستاني – مكتبة لبنان، ط١ ،س ١٩٩٢م.

الأطلس / الجغرافي	الجنسية	السنة	المصطلح
لازارو لويس	برتغالي	١٥٦٣	DE CATIFA
نيكولاس سانسون	فرنسي	١٦٥٢	D'ELCATIF
نيكولاس سانسون	. فرنسي	١٦٥٢	ELCATTIF
	–	١٦٥٤	DEL CATTIF
	–	١٦٥٤	EL CATTIF
فان هونديوس	–	١٦٦٥	EL CATIF
بلاو	–	١٦٦٢	ELCATIF
ابراهام اورتيليوس	–	١٥٧٦	DEL CATTIF
جان لنشوتن	هولاندي	١٥٩٦	القطيف ELCATIE-CATIFFA - الخط
الاخوان R. & J. ottens	–	قبل ١٧٣٧	امامها قلعة CATIF
	–	–	امامها قلعة TAROUT
	–	–	PORTUS CATIF
Herauli	فرنسي	–	ELHATIF
	–	–	لعله يريد بحرف Hحرف K
جورج دي روي ا	فرنسي	١٧٥٨	ELKATIF
كارستن نيبور C. Niebuhr	هولاندي	١٧٦٥	TARUD - KATIFتاروت - القطيف طبعت الخارطة ١٧٧٢م
نشرها لونجمان وشركاه A. Arrowsmith	انجليزي	١٨٢٩	KATIF
جمعية نشر المعلومات النافعة	لندن	١٨٤٠	ELKATIF ,RASTANURA
هول بريHall Bury نشر A & C BLACK	انجليزي أدنبرة	١٨٥٦	ELKATIF ,RASTANURA
كارل ريتر C. Ritter اعاد نشرها كيبرت R.Kiepert سنة ١٨٦٧م	الماني	١٨١٨	ELCATIF

مدن وقرى القطيف :

لو ألقينا نظرة من الجو على واحة القطيف ومدنها وقراها لتراءى لنا شريط أخضر يمتد على الساحل من الجنوب إلى الشمال ، ووجدنا كتلاً بيضاء تتخلل هذا الشريط تارة تكون على مقربة من الشاطئ وتارة متناثرة في وسطه ، ونرى – إلى الشمال من هذا الشريط – قطعة منفصلة منه وأجزاء أخرى صغيرة متفرقة من الناحية الغربية وقطعة أخرى تتوسط خليج كيبوس ، وتقع في الجهة الشرقية .

أما الشريط الأخضر فهي الواحة ببساتينها الغناء وظلالها وعيونها وسواقيها الجارية ، وأما البقع البيضاء التي تختلف في كبرها وصغرها ، والتي تتخلل هذا الشريط فهي مدنها وقراها، حيث تقع سيهات على الساحل في الطرف الجنوبي ، تليها عنك ، ثم مدينة القطيف، أما القرى فتقع في قلب الواحة وهي الملاحة والجش وأم الحمام وحلة محيش والجارودية والخويلدية والتوبي والبحاري والقديح والعوامية ، وأما الجزء المنفصل فهي مدينة صفوى وواحتها والتي تفصلها عن الشريط سبخة صفوى ، وتقع إلى الغرب بعض الواحات الصغيرة كأم الساهك وابو معن والدريدي ومشعاب والآجام وغيرها. وأما الجزء العائم وسط البحر فهي جزيرة تاروت [١].

مدينة القطيف :

تُعدُّ القطيف من أعرق المدن التاريخية ، وقد أطلق عليها اسم القطيف من قبيل إطلاق اسم الكل على الجزء ، كما يطلق اسم الشام على دمشق ، ومصر على القاهرة ، فهذا الاسم يشمل جميع الواحة بما فيها من مدن وقرى، شأنه شأن اسم الخط الذي يطلق على المنطقة الساحلية الممتدة من البصرة الى مسندم وعلى هذه المدينة بالذات. وذكر الطبري، أنَّ أردشير بن بابك (٢٢٦ – ٢٤١ م) مؤسس الدولة الساسانية قد بنى مدينة بهذا الموقع ، وهي من جملة المدن التي بناها للتحصينات العسكرية وتدل على أن تلك المدينة هي

---

(١) واحة على ضفاف الخليج ص ٢٥ و ٢٦ ، وانظر أيضاً (القطيف) الصفحات ٢٧ و ٢٨ و٣١ و ٣٣ .

القلعة ذاتها، كما توحي بذلك الأسماء التي علقت بها حتى قبل أن تهدم[1]، فالدروازة كان يطلق على كل بوابة فيها، كما أن اسم الخان الذي هو بمعنى النزل أو بيت الضيافة كان يطلق على أحد أحيائها، وهو الواقع في الجهة الغربية منها، ويبدو من تخطيطها السابق أن البلاط الملكي كان يحتل الرقعة الجبلية التي تتوسط القلعة، يليه في الجانب الغربي الجنوبي قصور الضيافة (حارة الخان)، كما تقع حظائر المواشي في الجهة الغربية الشمالية (حارة الزريب)[2]، وتحيط الحدائق الغناء ودوالي العنب بالبلاط الملكي[3] بدءاً من مجرى (الكريدي)[4] المجاور لجامع المنارة وانتهاء بفريق الوارش في الجهة الشمالية .

ويبدو أن القلعة التي تسمى جبارو Jippro قد اتخذت منذ أن أُسست قاعدة عسكرية ثم اتخذت مستودعاً للبضائع ومخزناً للعطور والتوابل الواردة من جزيرة تاروت لمناعتها ولاتصالها مباشرة بالسوق، ثم اتخذت في وقت لاحق مقراً للسكنى وأصبحت حاضرة لمنطقة القطيف، وكان لها سور منيع، يرجع بناؤه إلى عهد بعيد ، لم يحدده أحد المؤرخين متى أو في أي عصر، وقد وصفه أبو الفداء الذي عاش في القرن الثامن الهجري طبقاً للصورة التي رأيناها[5]، وقد جدد بناؤه في عهد السلطان سليم الثاني في غرة المحرم سنة ٩٦٨ هـ كما تخبرنا لوحة حجرية، وجُددّ بناؤه أيضاً في عهد أحد ولاة الأتراك (علي باشا)

---

(١) انتزعت ملكيتها من الأهالي عام ١٤٠٥ هـ ، وازيل منها ثلاثة احياء ، وهي فريق الخان وفريق السدرة وفريق الوارش ، وبقي الحي الرابع وهو فريق الزريب ثم ازيل لاحقاً سنة ١٤٠٨هـ ، ولو بقيت القلعة باسوارها وابنيتها ومنارتها والجامع القديم وأصلح ما تهدم من تلك الاثار لاضحت مرفقاً سياحياً على غرار القلاع الأثرية .

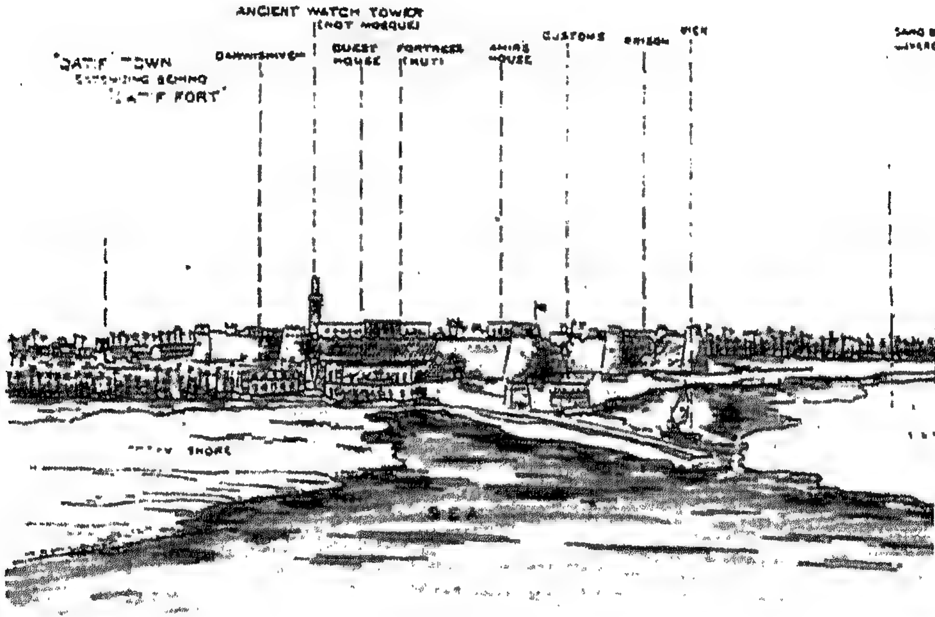
(٢) الزريب تصغير زرب : حظيرة المواشي .

(٣) جمع دالية ، ويطلق على كل بستان داخل القلعة ، وربما كانت في الأصل مزارع عنب ، وتتميز ارضها بالخصب ولا تحتاج إلى تسميد .

(٤) هو المجرى الأصلي ، حيث ويرفد الماء إليه خلال قناة تخترق جدار السور من ساب الدوبج، ليسقي بساتين القلعة مرتين في الاسبوع، مرة صباح يوم الخميس والأخرى ليلة الثلاثاء ، وبعض أشجار النخيل كانت قائمة بجواره .

(٥) ساحل الذهب الأسود ص ٤٤ والقطيف واحة على ضفاف الخليج ص ٢٧ .

سنة ١٠٣٩ هـ، كما تذكر اللوحة الحجرية التي كانت معلقة بدروازة باب الشمال وأرخت بحساب الجمل بكلمة (محفوظة) [١]، وكان بالقلعة أحد عشر مسجداً وأشهرها جامع المنارة ومسجد الراجحية ومسجد الخان ومسجد السدرة ومسجد البرودة، وأقدمها جامعا المنارة والسدرة الذي يرجع بناؤهما إلى القرن الثامن الهجري كما تخبرنا لوحة حجرية كانت مثبتة بمدخل منارته التي يبلغ علوها ٣٠ متراً [٢].حيث يثبت باب مسجد السدرة ذلك.

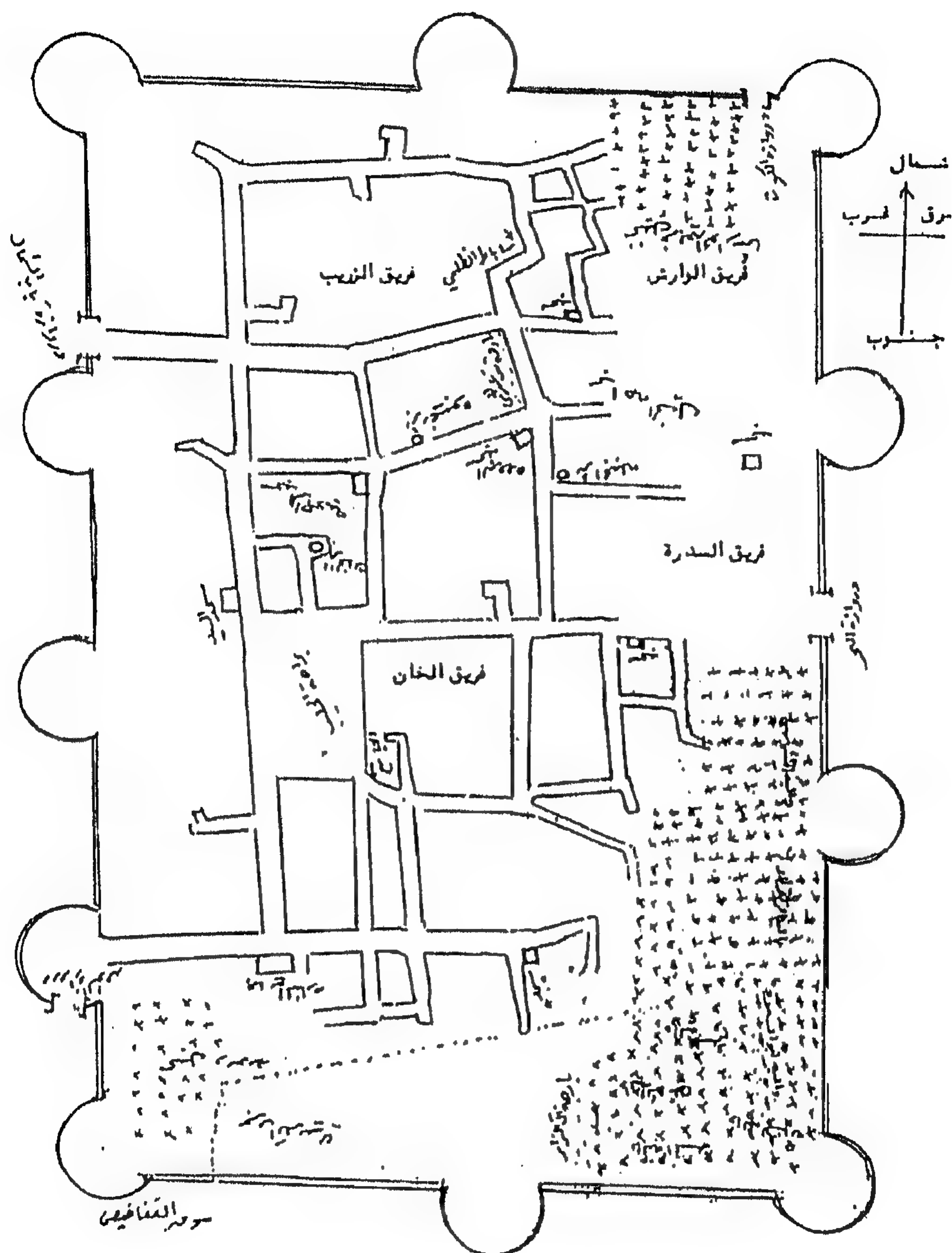


القلعة من الجهة البحرية في العصر البرتغالي

---

(١) وهي بحساب الحروف م ٤٠ ا ح ٨ ا ف ٨٠ ا و ٦ ا ظ ٩٠٠ ا هـ ٥ = ١٠٣٩ هـ.

(٢) أصيبت بقذيفة مدفع فانتثر جزؤها العلوي سنة ١٨٧١ م في أثناء الاحتلال التركي .



مخطط تقريبي للقلعة وطرقاتها وأسوارها وأبراجها

وكانت مدينة الخط معروفة حتى بعد ظهور الإسلام، كما تحدثنا به أخبار الردة [١]، وتسمى أيضا الفرضة، وكان يسكنها بنو عامر بن الحارث بن عبد القيس كما يذكر ياقوت الحموي، ولعل مركز الثقل انتقل إليها بعد أن دمرت عاصفة هوجاء مدينة القطيف القديمة، التي كانت تبعد عن الساحل مسافة كبيرة، فانتقل سكانها إلى هذا الموقع الذي يسمى محلة الصيادين سابقا، فعمروه وارخوا هجرتهم بكلمة (حجرة) اي سنة ٢١٦ هـ[٢]، ثم تركزت هجرة السكان فيها بعد تدمير الزاره [٣]، أي سنة ٢٨٣ هـ، فغدت حاضرة لمنطقة الواحة بأجمعها .

ولمدينة القطيف مدخلان رئيسان، أحدهما في الناحية الجنوبية وهو الذي يتجه إلى الدمام ماراً بعنك وسيهات، وثانيهما من الناحية الشمالية يخترق الواحة ماراً بالعوامية وصفوى باتجاه راس تنورة والجبيل، كما يوجد لها طريق ثالث يتجه غرباً حيث يتصل بالطريق السريع وهو المؤدي إلى قرية الآجام .

ومدينة القطيف تتألف من عدد من الأحياء القديمة والحديثة، متصل بعضها ببعض، فالأحياء القديمة كانت تعتبر سابقاً بحكم الضواحي، لوجود فواصل وأسوار بينها وبين القلعة وهذه الضواحي هي الأحياء الموجودة حالياً بمحاذاة شارع الملك عبد العزيز وهي الشويكة والدباببة والكويكب والشريعة وميّاس والمدارس، والجراري وباب الشمال، وجميعها في منطقة السوق .

أما الأحياء الجديدة فقد امتدت من جميع الجهات، لاسيما في الناحية البحرية. وقد كان للانفجار السكاني بالإضافة إلى ازدهار الوضع الاقتصادي وإنشاء صندوق التنمية العقارية ومشاريع تملك البيوت في بعض الشركات أكبر الأثر في امتداد العمران وانبثاق الأحياء

(١) الطبري ج ٢ ص ٥٢١ ذكر ان الحطم بن ضبيعة استغوى الخط ومن فيها من الزط والسيابجة .

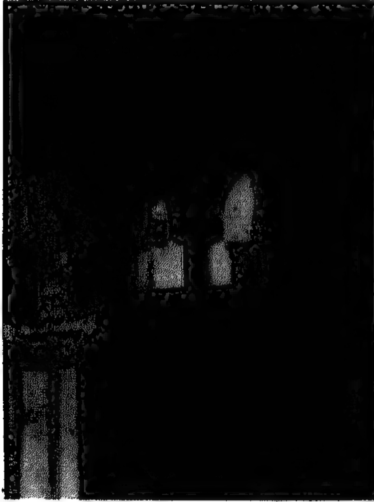
(٢) وهي بحساب الابجدية ح ٨ + ج ٣ + ر ٢٠٠ + هـ ٥ = ٢١٦ .

(٣) مدينة الزاره مشهورة في التاريخ الإسلامي وكانت حاضرة القطيف و تقع بالقرب من العوامية وقد خربها ابو سعيد الجنابي في القرن الرابع الهجري نكاية باهل القطيف المعارضين لحكمه ومبادئه .

الجديدة، إلى البساتين المجاورة في أول الأمر، الأمر الذي دعا المسؤولين إلى أن يضعوا له حداً، خشية التهام الرقعة الزراعية، فعمدوا إلى شق شارع المحيط غرباً لتحديد الرقعة المسموح بها في البناء فانبثقت أحياء جديدة باسم البساتين التي تحيط العمران، كحي البستان والبديعة، وباب الساب والشماسية والوسادة والمدني والدوبج والجعيلي والشبيبي والحر والفلاتية ودار الإمارة وغيرها . وحين ضاقت تلك الرقعة عن استيعاب حركة العمران عمدت الدولة إلى دفن البحر، فنشأت مناطق جديدة، كالمنطقة البحرية الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة والدخل المحدود بالإضافة إلى مناطق بحرية أخرى دفنت وهي في طريقها إلى العمران، كالمزروع وحي الحسين والناصرة والمنيرة ومشاري والتركية، حيث اتصلت القطيف بجزيرة تاروت .

وتعتبر مدينة القطيف المركز الإداري لجميع مدن الواحة وقراها، ففيها فروع الوزارات الحكومية .

سيهات :



من الجوامع القديمة في مدينة القطيف

بفتح السين وهو من الأسماء القديمة ومن الأسماء ذات النظائر في الخليج كبنكات التي كانت تقع بالقرب منها وقلهات في عمان وسيهات تقع على الساحل مباشرة، على طريق الدمام وعلى بعد ٨ كم من مدينة القطيف، وقد أكسبها موقعها استراتيجية مهمة،

فنمت نمواً سريعاً فانتشر فيها العمران، وتحولت هذه البلدة إلى مدينة كبيرة [(١)] حتى اتصلت من الناحية

(١) للاطلاع على جغرافية مدينة سيهات يمكن الرجوع الى كتاب : من تاريخ مدينة سيهات، حسن حسين آل سلهام ، تقديم علي الدرورة في طبعته الأولى – بيروت – ١٤١٨ هـ ، ويمكن أيضاً الاطلاع على كتاب (سيهات والبحر) للمؤلف نفسه.

الجنوبية بالدمام بعد دفن البحر، أما من الناحية الشمالية فاتصلت بعنك، وفي الجهة الغربية تقع سيحتها المسماة باسمها، فتحميها من رمال الصحراء [1] .

وبحكم موقع هذه البلدة كان لها تاريخ سياسي حافل، لاسيما في القرن الثالث عشر الهجري، وكانت من المدن المهمة المزدهرة منذ القدم، ومن أبيات قالها الشاعر جعفر الخطي المتوفى سنة ١٠٢٨ هـ ،وكان مهنئاً فيها أحد أشراف القطيف سنة ١٠١٧هـ [2]

هلاَّ سألت الرَّبع من سيهات — عن تلكُمُ الفتيان والفتيات

ومجرّ أرسان الجياد كأنّها — فوق الصَّعيد مساربُ الحيّات

حيثُ المسامعُ لا تكاد تفيقُ من — ترجيع نوتيّ وزجر حُداة

وحتى في أوائل هذا القرن كانت مزدهرة اقتصادياً، فقد وصفها لوريمر [3] بأنها أغنى منطقة في الواحة، تملك ثلاثين قارباً لصيد اللؤلؤ، وبيوتها تتكون من ٦٠٠ منزل، منها ٤٠٠ داخل السور و ٢٠٠ كوخ تقع خارجه وتملك حدائق النخيل .

وفي أيام ازدهارها كانت تلحق بمركزها جملة من القرى كالظهران و هناك وثائق عديدة، منها وثيقة قديمة تتضمن تملك احد مواطنيها نخلاً بالظهران وموقّعة من قاضيها التابع لسيهات . وإلاّ هناك وثائق أخرى تذكر انها من توابع الظهران [4] . غير أن هذه المدينة ضعفت أخيراً بفعل الغارات المتتالية عليها، التي شنّها الغزاة فتحولت إلى قرية فيما بعد، ولكنها بعد اكتشاف البترول انتعشت من جديد وازدهرت اقتصادياً واتسع عمرانها بسبب

---

(١) لكل قرية مجموعة من البساتين ملحقة بها تسمى سيحة (لريها سيحا من العيون) ولا تفصلها عن السيحة الاخرى إلا فواصل وهمية وهذا الاصطلاح متعارف عليه حتى في السجلات الرسمية للدولة وهو تقليد قديم.

(٢) ديوان أبو البحر جعفر بن محمد الخطي ،علق عليه واخرجه الخطيب علي بن الحسين الهاشمي ،طهران ،س ١٣٧٣هـ ص ١٦

(٣) دليل الخليج ج ٥ ، ص ١٨٨٠ .

(٤) القطيف واحة على ضفاف الخليج ص ٣٣ وانظر ساحل الذهب الاسود ص ٤٩ القطيف ص٣٦ ، وانظر صوراً لبعض هذه الوثائق في كتاب :(من تاريخ مدينة سيهات) آنف الذكر.

انفتاحها وقربها من الدمام، وأصبحت من المدن المهمة ونشأت فيها أحياء جديدة كحي الفردوس وحي السلام وحي النمر وتبعاً لتقدمها العمراني اكتسبت أهمية، وتتبعها أربع قرى في الوقت الحاضر، ومجموع سكانها وصل إلى ٢٢٣٣١ نسمة وهو إحصاء عام ١٣٩٤ هجرية .

عُنَك :

بضم أوله وفتح ثانيه وهو من الأسماء المرتجلة كما يقول ياقوت الحموي أي التي لا ترجع إلى اشتقاق لغوي، ويبدو أنه من الأسماء الكنعانية الموغلة في القدم كسَيهات، وتاروت وتوبي وغيرها من الأسماء القديمة التي حافظت على صيغها الأصلية، والتي لها نظائر في القطيف ومنطقة الخليج. ويعتقد بعض المؤرخين أن اسم (عُنَك) جاء من اسم إنكي وهو إله الماء عند الدلمونيين، وعنك مدينة قديمة تقع على ساحل البحر مباشرة، وتحيط بها الواحة من جميع جهاتها الأخرى، وكانت تتمتع بشهرة تاريخية، ذكرها المسعودي واصفاً إيّاها، بأنها من مدن القطيف[١] وفيها يقول الراجز :

طعن غُلام لم يَجِئكِ بالسَّمَكْ ... وَلَم يُعلَّل بِخَيَاشِيم عُنَكْ

كما ذكرها الشاعر جعفر الخطي :

فَسَقَى الغَمَامُ إذا تحمَّلَ ركبُه ... تلكَ الرِّحابَ الفيحَ والعَرَصَاتِ

واجتَازَتِ المُزنُ العِشَارُ فطبَّقت ... بالسَّقي مِن عُنكِ إلى بَنْكَاتِ

ويستدل بما حولها من مرتفعات وآثار عمران قديم على بقايا تلك المدينة المندثرة، حيث كانت فيها قلعة حصينة على البحر، اتخذها الأتراك مقراً لحاميتهم ومركزاً للضبطية تعزيزاً لحاميتهم في القطيف[٢] .

---

(١) القطيف واحة على ضفاف الخليج، التنبيه والأشراف، ٢٤١، وانظر أيضا ساحل الذهب الأسود ص ٥٠ ، وانظر كذلك كتاب : القطيف ص ٣٧ وديوان أبو البحر الشيخ جعفر الخطي (المرجع السابق) .

(٢) دليل الخليج ج ٥ ، ص ١٨٨٠ .

ولكن هذه المدينة تضاءل حجمها، وتحولت إلى حي صغير، يتكون من ٢٠ منزلاً تسكنه عائلة العليوات، التي تحترف صيد الأسماك، وهي كما رأيناها مطابقة لوصف لوريمر في أواخر القرن التاسع عشرمن أنها حيٌّ صغير على الساحل، وخلال أشهر الصيف يقطن بجوار العليوات بنو خالد وبنو هاجر ومعهم قليل من آل مرة والعجمان[1] وعند حلول فصل الخريف يرحلون إلى الصحراء.

وتقع عنك على بعد ٤ كم من مدينة القطيف و ٣ كم من سيهات، إلا أن هذه المسافات تضاءلت هذه الأيام بعد امتداد العمران، فاتصلت بمدينة سيهات، والميل الذي يفصل بينهما وبين مدينة القطيف في طريقه إلى العمران ، وقد ساعد وقوعها على طريق الدمام الرئيس، انتشار العمران فيها فضلاً عن الكثافة السكانية من القبائل التي استوطنتها وعلى رأسهم بنو خالد، وقد كانوا قبلاً يحلون فيها صيفاً هرباً من لهيب الصحراء، وحين تحضروا امتلكوا أراضيها وعمروها، وأقاموا فيها بصورة دائمة، ابتنوا البيوت والفلل والعمارات كما تطورت حياتهم الاجتماعية والاقتصادية من بدو رُحَّل يمارسون رعي الأغنام والإبل إلى الاشتغال بالأعمال المدنية من تجارة ومقاولات ووظائف حكومية وأهلية إلى غيرها من الأعمال الحديثة .[2]

الشويكة :

تصغير شوكة، إذ كانت قرية مسوَّرة يحيط بها النخيل من كل جانب على بعد كيلو متر من القلعة، وهي كما وصفها لوريمر ، تتكون من ٢٠٠ منزل ومعظمها من الأكواخ، ويعمل أهلها بالفلاحة، كما يوجد فيها بعض أنوال النسيج، وتلحق بها سيحة تسمى باسمها، تروى من السيبان[3] وأشهرها ساب أبو خمسة وساب حميدة .

---

(١) المصدر السابق ج٥،ص١٨٨٦

(٢) المصدر السابق ج٥،ص١٨٨٦ ،وانظر كتاب: القطيف ص٣٩.

(٣) جمع ساب ، وهو نهر صغير ترفده بساتين النخيل التي تسقى من العيون .

أما الآن فقد تغيرت معالمها، وامتد إليها العمران واختلطت بالحاضرة وأصبحت تشكل الحي الجنوبي لمدينة القطيف، وقد أقيمت فيها العمارات والمتاجر كما يوجد فيها مستشفى القطيف العام الذي افتتح سنة ١٣٧٦ هـ .

الملاّحة :

بفتح الميم وتشديد اللام منبت الملح كما يقول الفيروزبادي، وهي قرية صغيرة محاطة بالنخيل، تقع إلى الشمال الغربي من سيهات ووصفها لوريمر بأنها تتألف من ٥٠ منزلاً مبنية بالطين والحجارة[١] ثم تدهورت فتضاءلت، ولكنها في السنوات الأخيرة اتسعت فانتشر فيها العمران .

الجش :

بكسر الجيم، ولعل صوابها الجش بفتح الجيم كما وردت في معجمات اللغة[٢]، وهي مشتقة من جش القوم أي اجتمعوا أو تفرقوا، أو أجش المكان اجتمع نبته وحشيشه [٣] وهذا أقرب إلى معناها، إن لم تكن من الأسماء المرتجلة القديمة وما أكثرها في المنطقة وقيل إنها كانت مركزاً للجيوش التي تخرج من القطيف عبر الحكومات القديمة ثم كانت مقراً للجيش التركي .

وتقع هذه القرية في الطرف الجنوبي الغربي من الواحة على مقربة من الملاحة وأم الحمام، ويخترقها الطريق المؤدي إلى الشارع الرئيس السريع، وكانت قرية مسوّرة تتكون من ٢٥٠ منزلاً كما وصفها لوريمر- بعضها من الحجارة والطين وبعضها خارج [٤] السور،و فيها ثلاثة

---

(١) المصدر نفسه ج ٥ ، ص ١٨٨٤ ، وانظر كتاب : القطيف ص ٤٠ .

(٢) وفي الخليج : الجشه بالأحساء ، والجشة بالبحرين ، وجشة في لنجة، بايران .

(٣) القطيف واحة على ضفاف الخليج ، ص ٣٦ ، وانظر أيضا ساحل الذهب الأسود ص ٥١ ، وانظر كذلك كتاب : القطيف ص ٤٠ .

(٤) دليل الخليج ج ٥ ، ص ١٨٨٢ .

ينابيع عذبة بجوار المسجد خارج سور القرية وتحصل على مياهها من ينبوع يسمى كعبة[1].

أم الحَمَام :

بالحاء المهملة، وكانت تسمى إلى عهد قريب بأم الخمام بالخاء المعجمة أو بأم خمام حتى في السجلات الرسمية، وكما جاء في كتاب دليل الخليج. ويبدو أن هذا الاسم حديث العهد، ولقصة هذه التسمية حكاية، فيقال إن الشعير كان يزرع في أرضها بكثرة، حيث ينقل المحصول إلى القرية ويدرس على أرضها الجبلية، فكانت تتراكم في طرقاتها الأوساخ والقش، فيأوي إليها الحمام ليلتقط الحب المتخلف ولكثرتها سميت بأم الحمام .

وكانت مسورة – كما وصفها لوريمر – على بعد ٣ أميال في الجنوب الغربي من القطيف، تتكون من ٢٥٠ منزلاً من الحجر والطين، أما خارجها فمن الأكواخ [2] وقد اتسعت هذه القرية في الوقت الحاضر على حساب البساتين التي حولها من جميع الجهات وأصبحت مترامية الأطراف واتصلت بفريق الزويكية والقوع، على الطريق الريفي [3] ، وقد اشتبكت اليوم مع قريتي الجش والملاحة ، فصارت البلدان الثلاث مدينة واحدة .

حِلة محيش :

اسم مركب من مضاف ومضاف إليه وحلة بكسر الحاء معناها في اللغة المجلس والمجتمع أو مجموعة من البيوت لا تتعدى مئة بيت، ومحيش تصغير محش بضم أوله وفتح ثانيه ومعناها المكان الكثير الكلأ والخير، كما في القاموس، وقد يكون اسم (عَلَم)، وهي قرية تقع وسط النخيل على بعد ميلين عن مدينة القطيف، يربطها طريق معبد متفرع من الشارع

---

(١) المصدر السابق ج ٥ ، ص ١٨٨٣

(٢) القطيف واحة على ضفاف الخليج ، ص ٣٩ ، وانظر أيضا ساحل الذهب الأسود ص ٥١ ، وانظر كذلك كتاب : القطيف ص ٤١ .

(٣) دليل الخليج ج ٥ ، ص ١٨٨٤ ، وانظر أيضا كتاب : القطيف ص ٤١ ؟

العام في مدخل القطيف، وقد كانت مسوَّرة – كما يذكر لوريمر – تتكون من ١٣٥ منزلاً، بعضها خارج السور [١] . وقد اتسعت هذه القرية في الوقت الحاضر شأنها شأن القرى الأخرى، أما العيون فهي كثيرة، وأشهرها أم عمار التي تُعدُّ من أقوى العيون في واحة القطيف .

الجارودية :

قد تكون منسوبة إلى الجارود، بشر بن عمرو العبدي وقد تكون المعنية باسم أجارد من عبد القيس كما يذكر ياقوت، وتقع هذه القرية إلى الغرب من حلة محيش، وقريبة من بر البدراني [٢] وعلى بعد ميلين من مدينة القطيف، وتستقر على مرتفع جبلي، يدعى جبل (براق) وقد أزيل ولم يبق له أثر وكانت مسوَّرة تتكون من ١٥٠ منزلاً، معظمها من الحجارة والطين وبعضها أكواخ وبعضها يقع خارج السور [٣]، ثم اتسعت وأزيلت البساتين المجاورة وسيحتها تعتبر من أجود الأراضي الزراعية، وتسقى أغلبها من العيون البرية[٤]، ومن عيونها الشهيرة عين الصدين، التي اشتهرت بعذوبة مائها تقع على مقربة من القرية، ومنها عين القشورية العذبة التي تستقي منها الكثير من المزارع في مدينة القطيف [٥]، وإلى جانبها مسجد قديم تروى عنها الخرافات .

الخويلدية :

مؤنث خويلدي نسبة إلى خويلد وهي تصغير خالد وهو من أسماء الأعلام، قرية صغيرة تقع على بعد ميل من مدينة القطيف في الجهة الغربية الجنوبية وكانت مسورة تتكون من

---

(١) يعتبر المدخل البري لمدينة القطيف في الزمن الغابر، ومنه المنطلق لقوافل الحجاج عبر نجد قبل أن توجد وسائط النقل الحديثة .

(٢) دليل الخليج السابق ج ٥، ص ١٨٨٢ .

(٣) توجد فيها عيون برية كثيرة تسقي الواحة، سابقاً.

(٤) القطيف واحة على ضفاف الخليج ص ٤٠ وانظر ساحل الذهب الأسود ص ٥١ وانظر كذلك كتاب : القطيف ص ٤٢ .

(٥) المصدر نفسه ج ٥، ص ١٨٨٣، وانظر كتاب : القطيف ص ٤٣ .

١٥٠ منزلاً [١] وقد ضاقت رقعتها في الوقت الحاضر عن استيعاب حركة العمران فالتهمت البساتين المجاورة من دون تخطيط، و اشتهرت هذه القرية بإنتاجها الطين الخويلدي الذي يستخرج منها بكميات كبيرة ويصدر منه للخارج والذي كان يستعمل بعد خَلْطِهِ بصفار البيض لإزالة قشرة الرأس قبل أن يعرف (الشامبو) ومازال الطين يستخدم حتى اليوم .

الثُّوبي :

بضم التاء المشبعَة بفتح، وهي من الأسماء القديمة جداً كسيهات وتاروت، قرية تقع إلى الغرب من مدينة القطيف على مسافة ميل تقريباً، ولها طريق متفرع من شارع المحيط الدائري، و تقع بين سيحتي الخويلدية والبحاري، وتحيط بها البساتين من كل جانب، وكانت قرية مسورة صغيرة تتألف من ١٠٠ بيت، وسكانها يقدرون بـ ٤٠٠٠ نسمة، وتعتبر سيحتها من أجود الأراضي الزراعية في الواحة، وفيها عدد من العيون، أشهرها عين القصير، التي كانت مخصصة لاستحمام النساء، ولاسيما في حفلات الأعراس، وقد أنجبت عدداً من الشعراء، منهم أبو البحر الشيخ جعفر الخطي والسيد محمد الفلفل [٢].

البِحاري :

بكسر أوله، نسبة إلى البحار، جمع بحر على غير القياس [٣] وربما جاءت هذه النسبة إلى القرية لغلبة أعمال أهاليها عليها، في البحر وصيد الأسماك قديماً، بالإضافة إلى الزراعة حيث كانوا يملكون سبعة قوارب للصيد كما يذكر لوريمر [٤]، وقد يكون اسمها محرفاً عن بحرة وهي بلدة بالبحرين كما جاء في القاموس المحيط، وتقع على الطريق العام المؤدي إلى

---

(١) القطيف واحة على ضفاف الخليج ص ٤١ ، وانظر ايضاً ساحل الذهب الأسود ص ٥١ وانظر كذلك كتاب : القطيف ص ٤٣ .

(٢) القاعدة اللغوية عند مدرسة النحو البصرية أن الجموع لا ينسب إليها إلا إذا غلبت كانصاري أي تحولت إلى عَلَم .

(٣) دليل الخليج ج ٥ ، ص ١٨٨١ .

(٤) المصدر السابق وفي الصفحة نفسها .

العوامية وصفوى، على بعد ميل ونصف من مدينة القطيف بتقدير لوريمر [١]، مسوَّرة، تتكون من مئة بيت، إلا أن امتداد عمرانها وتوسع عمران مدينة القطيف أدى إلى محو المسافة، حتى أصبحت تشكل الطرف الشمالي منها، شأنها في ذلك شأن قرية الشويكة في الجنوب، وتتبعها سيحة كبيرة مترامية الأطراف، وفيها عدد من العيون الجارية المشهورة، كالرواسية وحمام أبو لوزة والحباكة والقصاري، ولقرب هذه العيون من الحاضرة اتخذت مراكز للاستحمام وأشهرها :

أ- حمام أبو لوزة، ومياهه معدنية، اقيم عليه عدد من المباني، التي تعتبر من المعالم الأثرية، ويقال، إن بناءها يرجع إلى العهد العثماني، ويقال إنها أبعد من ذلك بكثير وإن بناءها جدّد غير ذي مرة، وهذه المباني المتلاصقة تتكون من قبة كبيرة تغطي النبع الخاص باستحمام الرجال، ولها مدخل لغرفة مستطيلة بنيت في جوانبها مصاطب لنزع الملابس، ثم في الجانب الشمالي مباشرة يقع حمام للنساء وهو بركة متصلة بالنبع ويتألف من غرفتين، وبجانبه من الشرق إسطبل للخيل والحمير التي كانت وسائط للنقل في ذلك العهد، وإلى جوار القبة من الغرب مسجد لأداء الفرائض [٢] .

ب - الحباكة : تقع على بعد ٢٠ متراً تقريباً من الشرق من حمام أبو لوزة، وهي عين مكشوفة يستحم فيها الرجال، وقد عمل في مجراها بركة كبيرة وأقيم عليها مبنى لاستحمام النساء، وإلى جوارها من الشرق حي صغير مؤلف من الأكواخ يسمى فريق الحباكة، وعلى مقربة منه إلى الشمال تقع مقبرة الحباكة بقسميها الشرقي والغربي (المقبرة العامة) ومقبرة العابدات وبجانبها مسجد يسمى باسمها، وفيها مدفن الشاعر الشيخ حسن الدمستاني، وإلى الشمال من المقبرة عين تسمى البشري وبجانبها مسجد ومبنى لتغسيل الموتى، وحي صغير يسمى فريق البشري .

---

(١) القطيف واحة على ضفاف الخليج ص ٤٢ ، وانظر كتاب : القطيف ص ٤٤ و ٤٥ .

(٢) القطيف واحة على ضفاف الخليج ص ٤٢ ، وانظر كتاب : القطيف ص ٤٤ و ٤٥ .

ج – **القصاري** : عين واسعة مكشوفة مخصصة لاستحمام النساء فقط، تقع إلى الغرب من حمام أبو لوزة على بعد ١٠٠ متر .

د –**الرواسية** : عين قوية مكشوفة مخصصة لاستحمام الرجال، وتقع على بعد ٥٠٠ متر من المقبرة غرباً في الطريق المؤدي إلى قرية الآجام .

القُدَيح :

بضم أوله وفتح ثانيه، وهو تصغير قَدّح أي الإناء الفارغ ، أو القدح بكسر القاف سهم الميسر، وأظنُّ أن هذا الاسم محرف عن القديح بكسر الدال بمعنى ما يتبقى في أسفل القدر فيغرف بجهد كما تقول معاجم اللغة، ولعلها سميت به لما يتجمع في واديها سابقاً من المياه الضحضاحة، وهذه البلدة تقع إلى الغرب من قرية البحاري على بعد كيلو متر وتحيط بها بساتين النخيل من كل جانب [١] .

وصفها لوريمر بأنها قرية كبيرة مسوّرة تقع على بعد ميلين ونصف من مدينة القطيف، وتتكون من ٣٥٠ منزلاً نصفها أكواخ والباقي من الحجارة والطين ويملك سكانها عشرة قوارب للصيد [٢]، إلا أنها تدهورت أخيراً، وهجرها سكانها وانتقلوا إلى النخيل، ولم يتمسك بالبقاء فيها بصورة دائمة إلا عدد قليل من أهلها وكان هناك خلف السور من الجانب الغربي الجنوبي متسع من الأرض، يسمى البرية يستعمل في الصيف أفدية [٣] لتجميع الغلال وتجفيف التمور، وفي الشتاء يتحول إلى مستنقع كبير أشبه شيء بالبحيرة الواسعة، ولكنها سرعان ما تجف حينما تهب الرياح الموسمية، فتتحول إلى مملحة، يستخرج منها كميات كبيرة من الملح، وإلى الغرب منه بجوار النخيل كان هناك موضع يستخرج منه الطين القديحي الأبيض على شكل منجم، حيث يستعمل لغسيل الملابس قبل انتشار

---

(١) دليل الخليج ج ٥ ص ١٨٨٥ .

(٢) دليل الخليج ج ٥ ص ١٨٨٥ .

(٣) جمع (فدا) المكان أو الأوعية التي يجمع فيها التمر أو الحنطه أو الشعير .

استعمال الصابون . وإلى الجنوب تقع قرية [1] رشالة أو (رشالى) أو (رشالا) وقد اندمجت فيها حين اتسع العمران فاندرس اسمها . أما الآن فقد تغيرت هذه الصورة واتسعت البلدة بصورة مذهلة وضاقت عن استيعاب حركة العمران، فامتلأ الوادي بالمساكن والأبنية دونما تخطيط، والتهمت ما حولها من البساتين المجاورة، وساعد على ازدهارها انتعاش الحياة الاقتصادية فيها ونشوء طبقة من رجال الأعمال والتجار والموظفين .

وتوجد فيها حركة أدبية نشطة، وظهر فيها أدباء وشعراء، وهي موطن العلامة الشيخ علي القديحي صاحب كتاب (أنوار البدرين) والشيخ أحمد بن الشيخ محمد صالح القديحي، له ديوان شعر مطبوع والعلامة الشيخ حسين القديحي، وهم من أسرة علمية تتبوأ مكانتها الاجتماعية في البلدة . ويرجع السكان نسبهم إلى مضر، وينسبون مؤسساتهم الاجتماعية إليها، والمعروف أن مضر مسكنها بالحجاز [2]،وذكر الشيخ محمد بن علي الناصر، أن المقصود ليس مضر أحد أجداد النبي (ص) وإنما هو شخص اسمه (مضر) سكن البلدة قديماً فكانت النسبة إليه.

العوامية :

نسبة إلى العوام، وفي تاريخ المنطقة علمان بهذا الاسم أحدهما أبو الحسن بن العوام زعيم الأزد وأمير الزارة [3] والثاني العوام بن محمد بن يوسف الزجاج، ونرجح أن تكون منسوبة إلى الأول، وربما اتخذها ضاحية له لقربها من مدينة الزارة، وإن كان مؤلف كتاب (أنوار البدرين) يذهب إلى ان أول من عمرها وسكنها أبو البهلول العوام بن محمد بن يوسف الزجاج فنسبت إليه [4]، وهي تقع إلى الشمال من القديح على طريق صفوى وعلى

---

(١) نهاية الأرب للقلقشندي ص٤٢٢ ، وصبح الأعشى ص٩١ و٣٣٩، والعبر ج ٥ص٣٠٥

(٢) ساحل الذهب الاسود ص ٥٢ .

(٣) أنوار البدرين ص ٢٧٧ .

(٤) القطيف واحة على ضفاف الخليج ، ص ٤٥ ، وانظر أيضا ساحل الذهب الاسود ص ٢، وانظر كذلك كتاب : القطيف ص ٤٨,٤٧

بعد ٣ أميال من مدينة القطيف في الجهة الشمالية الغربية [١].

ويظهر أن هذه البلدة كانت إحدى ضواحي مدينة الزارة التي كانت حاضرة للمنطقة، والتي دمرها أبو سعيد الجنابي عام ٢٨٣ هـ حين استعصت عليه في بداية حركته فانتقل إليها مركز الثقل وعمّرت بعد تدمير تلك المدينة، ومازال هناك بالقرب منها حي بهذا الاسم في الناحية الجنوبية الشرقية عند مدخلها الجنوبي للقادم من القطيف، يدعى بفريق الزارة، ويعتقد أنه جزء من موقع الزارة التي اندثرت واختفت آثارها وطمرتها مزارع النخيل، إذ لم نجد لها ذكراً بعد ذلك في كتب التاريخ، ويقول صاحب كتاب (أنوار البدرين) إن مدينة الزارة بقيت خراباً، ثم صارت نخيلاً وأشجاراً تابعة للعوامية [٢].

وتقع على الطريق الرئيس المؤدي إلى صفوى ووصفها لوريمر سنة ١٩٠٧ م، بأنها قرية مسورة، تتكون من ٣٠٠ منزل، على بعد ٣ أميال شمال غرب مدينة القطيف ويملك سكانها خمسة قوارب لصيد اللؤلؤ [٣]، أما الآن فقد اتسعت هذه المدينة وأصبحت مترامية الأطراف وامتد العمران إلى البساتين المجاورة دونما تخطيط، شأنها شأن القرى الأخرى في الواحة حتى تحولت إلى مدينة، وأصبحت تضم عدداً من الأحياء كالجميمة والزارة والكوع والبويب والمنيرة وغيرها .

وقد تبوأت هذه البلدة مكانة اجتماعية خاصة، ربما تكون ذات جذور عميقة، ترجع إلى أيام كانت فيها الزارة عاصمة لهذه المنطقة، وذلك باستمرار المصاهرة بين الأسر العريقة في كلتا البلدتين القطيف والعوامية، بالإضافة إلى أنها مربَعٌ لعدد من العلماء والأدباء [٤].

صَفْوى :

بفتح أوله وتسكين ثانيه بألف مقصورة ، وكانت في القرن السادس الهجري تنطق بألف

---

(١) المصدر السابق ص ٢٧٧ .

(٢) أنوارالبدرين في تاريخ علماء القطيف والأحساء والبحرين ،تاليف الشيخ علي البلادي.

(٣) دليل الخليج ،ج٥،ص١٨٨٠ .

(٤) القطيف واحة على ضفاف الخليج ص ٤٦

ممدودة (صفواء) كما جاء في شعر ابن المقرب ؛ إذ يقول :

والخطُّ من صَفواءَ حَاذُوهَا فَمَا	أبقَوا بِهَا شِبراً إلى الظَّهرَانِ
نَزَلوا عَلَى صَفواء صُبحاً وابتَنَوا	فيها القِبابَ وأيقَنُوا بأمَانِ

وفي عصر المسعودي (٣٤٥ هـ) كانت تعرف بصفوان ، وكان سكانها بني حفص بن عبد القيس [١]، ومن المحتمل أن يكون اسمها (الصفا) سابقاً وهو اسم تردد ذكره في الشعر العربي، ويعدٌّ من أسماء المواقع في هذه المنطقة ، وقد تعرض اسم هذه البلدة للتغيير غير مرة في تاريخها .

وتقع مدينة صفوى إلى الشمال من مدينة القطيف على بعد ١٥ كم ويصلها بالواحة طريق معبد يمر بالعوامية ، تقع واحتها بمحاذاة الساحل شرقي المدينة ، وتفصلها عن سيحة العوامية من الجنوب سبخة واسعة ، تسمى « سبخة صفوى » [٢] وإلى الشمال منها تقع مقبرة جاوان الشهيرة التي تزخر بالآثار ، وهو موضع كان عامراً في يوم من الايام ولم تبق منه الا العين المسماة باسمه ، وتكثر فيه الهضبات الصخرية لذلك اتخذت منه أرامكو مقلعاً للصخور لردم البحر في أثناء عملية بناء مرفأ رأس تنوره ، فأطلق على هذا الموقع (مقلع جاوان) إلا أن الشركة نفسها عثرت في أثناء عملية إزاحة الصخور على مقبرة غريبة الشكل ، تتألف من طابقين مبنية من صخور الملح ومسيّعة بالجص ومنظرها الخارجي على شكل صليب، ولها ممر مسقوف ، على كل جانب منه عدد من الغرف،تحتوي كل غرفة على قبر ، وإلى جانبها عند المدخل قبور صغيرة يبدو أنها مخصصة للأطفال .

وقد عثر الباحث (فيدال) على مجموعة من الآثار فيها ، ترجع إلى العصر الهيليني والروماني الاول وقد سُلّمت مفاتيح هذا المدفن إلى إمارة المنطقة ، كما عثرت أرامكو عام ١٩٤٥ م في جاوان على حجر تكسرت أطرافه بالمعاول قبل معرفته ، وقد اتضح بأنه شاهدة

(١) التنبيه والإشراف ،ص٣٤٠

(٢) أظنها تسمى سبخة برستج الخيل .

قبر لامرأة ، يقال لها جشم بنت عمرت (عمرة) بن تحيو من أسرة عور (آل عور) [1] من قبيلة شذب ، ومن الملاحظ أن كتابة أحجار القبور التي عثر عليها في جاوان افتتحت بعبارة (نفس وقبر) ، بينما الكتابات الأخرى التي عثر عليها في ثاج [2] وقرب القطيف تبدأ بجملة (وكر وقبر) [3] .

وإلى الغرب من مدينة صفوى مرتفع يسمى حزم صفوى وقد امتلأ بالعمران في الوقت الحاضر، كما اتسعت مدينة صفوى من جميع الاتجاهات، فالتهم عمرانها وما جاورها من الأراضي الزراعية حتى أصبحت من المدن المهمة في واحة القطيف. وتقع عين داروش الشهيرة في وسط المدينة، ويقال إنها سميت باسم الملك دارا (داريوس ٥٢١– ٤٨٥ ق.م) حين نزل بصفوى وهي أقوى عين في واحة القطيف، فكانت تتفرع منها سبعة أنهر لا تقل في قوتها عن عين أم سبعة في الأحساء وتسقي معظم واحة صفوى التي تبلغ قرابة خمسين الف نخلة [4].

وقد وصفها لوريمر في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي بأنها قرية كبيرة مسورة تتكون من ٣٥٥ منزلا، على بعد ٨ أميال من مدينة القطيف، وهي آخر قرية في شمال الواحة وتقع في الطرف الغربي للمنطقة الزراعية [5] ، ويبدو من سياق وصفه أنها متصلة بسيحة العوامية ثم فصلتها رمال الصحراء، وربما كانت هناك عين تسقي هذه الرقعة ثم طمرتها الرمال، وأصبحت يباباً شانها شان المناطق الغربية من الواحة.

---

(١) القطيف واحة على ضفاف الخليج ص ٤٧ ، وساحل الذهب الأسود ص ٥٤ ، ٥٥ و ٥٦ . وانظر أيضاً كتاب: القطيف ص ٤٨ و ٤٩ و ٥٢ ويمكن الرجوع الى كتاب : صفوى تاريخ ورجال ، ط ١ ، س ١٩٩٢ م دار البيان العربي ، بيروت ، تأليف صالح بن محمد آل إبراهيم .

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام ج ١ ،ص ١٩٤، وأيضاً ص ٢١٨ .

(٣) المعجم الجغرافي ج٢،ص٦٥٩.

(٤) دليل الخليج ج ٥ ص ١٨٨٥ .

(٥) القطيف واحة على ضفاف الخليج ص٤٨

وقد انتعشت هذه البلدة منذ أن أنشيء الخط الذي يمر بها، والذي يصل بين الظهران ورأس تنورة فاكتسبت موقعا استراتيجياً لقربها من مصافي البترول فاتسع عمرانها وأصبحت من المدن المهمة في المنطقة، فأنشيء فيها مركز للإمارة والشرطة وبلدية ومحكمة ودائرة لكاتب العدل، وبموجب التقسيم الإداري أصبحت مركزا تتبعها ١٤ قرية، وقد بلغ عدد سكانها حسب إحصاء عام ١٣٩٠ هـ واحدا وعشرين ألف نسمة، وهي الآن أضعاف مضاعفة بعد أن استوطنت فيها بعض القبائل [١] .

وقد أنجبت هذه البلدة علماء وأدباء بارزين منهم: العلامة الشيخ محمد صالح الصفواني، قاضي الأوقاف والمواريث الأسبق، والكاتب الكبير الاستاذ سلمان الصفواني (١٨٩٩– ١٩٨٨ م) صاحب جريدة اليقظة العراقية .

جزيرة تاروت :

يُعدُّ هذا الاسم من الأسماء القديمة ، التي يعتقد بأنها فينيقية ، ويذهب بعض الباحثين إلى أن اسمها في الأصل عشتاروت حذف منه المقطع الأول ، وصارت تعرف بالمقطعين الأخيرين [٢] ، وتردد ذكرها في كتب المؤرخين الإغريق فسموها تيروس TARRUS أما بطليموس الجغرافي اليوناني فسماها تارو بحذف التاء الأخيرة TARO وهو قريب من لفظها الحالي .

وعشتاروت آلهة الخصب والجمال عند الساميين ، وهي أهم آلهة عند الفينيقيين ، وتماثل افروديت الإغريقية [٣] وقد اكتشفت لها تماثيل في الجزيرة وكان لها معبد ، أقيمت على أنقاضه القلعة في مدينة تاروت. وتعتبر هذه الجزيرة أقدم موقع للاستيطان البشري[٤] ،

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام .د.جواد على ،ج١ ،ص١٤١

(٢) الموسوعة العربية الميسرة ص١٧١٣ .

(٣) انظر THE ARCHAEOLOGY OF THE ARABIAN GULF, MICHAEL RICE,PP 16 ,219,220,221,224,&325

(٤) القطيف واحة على ضفاف الخليج ،ص٦٧وانظر أيضا: مقدمة عن الآثار في المملكة العربية السعودية ص٣٧ وانظر كذلك : منطقة الخليج العربي ص١٤٠ .

ولها تاريخ موغل في القدم فكانت موطناً للفينيقيين قبل نزوحهم إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط ، فقد نقل الأب مرتين اليسوعي في كتابه تاريخ لبنان عن بعض مؤرخي الإغريق بأن أهل هذه الجزيرة كانوا يباهون بأنهم هم الذين أسسوا صور وأرواد [1] ، ولا تخلو هذه الجزيرة من آثارهم ، فقد عثر منذ سنوات في أحد بساتينها ويدعى (الدَّحكاني) وموقعه شرقاً من تاروت على تمثال من الذهب الخالص للإلهة عشتاروت ، لذلك حفلت بالآثار المهمة حيث يرجع بعضها الى عصر السلالات الأولى لبلاد ما بين النهرين ، أي قبل مدة تتراوح بين ٤٠٠٠ – ٥٠٠٠ سنة ، ويعود بعضها إلى فترات زمنية معاصرة للحضارة العيلامية الفارسية وحضارة الموهنجودارو على نهر السند وحضارة أم النار التي قامت بالمنطقة الجنوبية في الخليج العربي [2]، والتي تم اكتشاف بقاياها في أبو ظبي بوساطة البعثة الدانمركية سنة ١٩٦٦ م [3] ، كما عثر فيها على آثار تنتمي إلى حضارة العبيد وحضارة باربار [4]، ويوجد فيها الآن مواقع أثرية ومقابر قديمة تم اكتشافها مؤخرا وقد حظيت باهتمام البعثة الدانمركية فقامت بالمسح الأثري فيها، وبدأت بالتل العالي الواقع في الجانب الغربي من مدينة تاروت ، وهو الموقع الذي قامت على أنقاضه قلعة البرتغاليين، التي أعاد بناءها الأتراك والتي مازالت معالمها بارزة حتى الآن.

لقد أسفرت هذه الأنقاض المتراكمة عن ثروة أثرية ثمينة، فوجدت تحتها بقايا هيكل عشتاروت، الذي يتكون من أحجار ضخمة منحوتة بحجم متر مكعب، مما يدل على ضخامة هذا الهيكل، كما اكتشفت البعثة الدانمركية أبنية تتكون من أربع طبقات سكنية تتألف جدرانها من كتل حجرية مربعة الشكل، وعثرت أيضا على بئر عميق من المياه

---

(١) القطيف واحة على ضفاف الخليج ص٤٩ ،وانظر الخليج ص٤٩ وانظر ايضا ساحل الذهب الزسود ص٥٥و٥٣و٥٤ و ٥٥ وانظر ايضا كتاب : القطيف ص٥٣ ٥٤و٥٩و٦٠و٦١

(٢) مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية ص٣٧ .

(٣) منطقة الخليج العربي خلال الالفين الثالث والرابع ق.م ص١٤٠ مقدمة عن الآثار في المملكة العربية السعودية ص٣٧ .

(٤) منطقة الخليج العربي ص١٤٠ مقدمة عن الآثار في المملكة العربية السعودية ص٣٧ .

العذبة، تنصرف مياهه إلى حوض كبير واسع من الأحجار الطبيعية، وعلى كسر فخارية منتشرة على سطح التل، وقد أظهرت دراسة الفخار بأن هذه الكسر تنتمي إلى حضارة باربار (قرابة ٣٠٠٠ ق . م)، كما دلت الحفائر في الطبقات السفلى على أن هذا الفخار الموجود فيها ينتمي إلى فترة مبكرة أقدم من عصر باربار، وقد اكتشفت في هذه الطبقات تركة أثرية مهمة،تمثل رؤوس سهام وكسر حجرية كالسكاكين والمكاشط و ٢٠٠ كسرة فخارية، تتميز بأنها من النوع الخفيف الأصفر المخضر، والمزينة بأشكال هندسية ذات لون بني غامق، وقد تبين من هذه الدراسة التي قامت بها البعثة بأن هذا الفخار ينتمي إلى عصر حضارة العبيد الأول (قرابة ٤٥٠٠ ق.م) [١].

ويرى جي بيبي أن الطبقات السفلى من هذا التل تضم حضارة العبيد، بينما تضم الطبقات العليا حضارة باربار، وبين هذه الطبقات يكمن الدليل على وجود التطور من المرحلة الأولى إلى المرحلة الأخيرة، وقد أدى اكتشاف فخار حضارة العبيد في موقع [٢] تاروت إلى المزيد من الحفائر والتنقيبات ، تم تسجيل خمسة عشر موقعاً ، تضم العديد من الكسر الفخارية الملونة ، ومن هذه المواقع موقعان يبعدان نحو ٤٠ ميلاً عن ساحل الخليج، بينما تقع أغلبية هذه المواقع على الأرض السبخة المحاذية للساحل الحالي ، وقد تم التوصل بالدراسة المقارنة إلى التشابه التام بين فخار حضارة العبيد والفخار الذي عثر عليه هنا، وشملت الدراسة أيضاً المقارنة بين المخلفات الأثرية المتمثلة في حجر الأوبيسدان والرحى الحجرية ورؤوس السهام والمخارز [٣] .

و في الجزيرة العديد من التلال الجيرية المغطاة بالطين والتي تأخذ شكل القمع، ويضم

---

(١) القطيف واحة على ضفاف الخليج ص٥٠ ويمكن الرجوع إلى كتابنا (من تاريخ جزيرة تاروت) ط١ ،س١٤١٠هـ الجبيل ،أو كتابنا (شعراء الموال في جزيرة تاروت) ط١ س١٩٨٨ م الجبيل ،ففيهما شروحات وافية عن ذلك.

(٢) منطقة الخليج العربي ص١٤٠ .

(٣) المرجع السابق في نفس الصفحة.

التل حجرة الدفن ، وسقفها يتألف من كتل من الحجر الجيري وتقع هذه التلال في الجنوب الشرقي من الجزيرة على مقربة من ميناء دارين ، فقد عثر على مقابر يحيط باضرحتها ملاط من الجبس ، وتتناثر حولها وعلى الأرض العديد من الكسر الحجرية من الألباشير والاستيتايت [1] .

واهم المعالم الأثرية البارزة فيها قلعتان أثريتان إحداهما في مدينة تاروت ، وقد بنيت على انقاض هيكل عشتاروت بجوار عين الحمام ، والثانية في دارين في الجنوب الشرقي من الجزيرة على الساحل مباشرة ، وتعرف بقلعة محمد بن عبد الوهاب الفيحاني وهي قلعة تم بناؤها عام ١٣٠٢ هـ [2].

ومرفأ دارين نفسه الذي يتمتع بشهرة تاريخية منذ القدم ، والذي كان من أهم الموانئ التجارية في الخليج يضم ثروة دفينة ، وتوجد على مقربة منه آكمات بدائية شاذة التكوين ، يقول عنها الأهالي إنها كانت بقايا مدافن ، وقد امتد العمران في الوقت الحاضر ، حتى قيل : إن بلدة دارين الحديثة تستقر على أربع طبقات من المدن بعضها فوق بعض [3] .

وتردد ذكر هذه الجزيرة في كتب جغرافيي العرب ، فوصفها أبو الفداء في القرن الثامن الهجري بأنها بليدة في الشرق من القطيف تبعد عنها نصف مرحلة، ينحسر البحر ما بينها وبين القطيف في حالة الجزر وتصبح جزيرة في حالة المد، وفيها كروم تنتج العنب المفضل[4]، ولعل ذلك راجع إلى خصوبة تربتها المتميزة من أراضي الواحة، وتقع الأراضي الزراعية في الجهة الغربية والشمالية منها، وكان بها من النخيل قديما قرابة مئة ألف نخلة، لم

---

(١) واحة على ضفاف الخليج ص٥١ .

(٢) من كبار تجار اللؤلؤ في زمنه وقد منح هو، والحاج منصور بن جمعة رتبة الباشوية في عهد الأتراك ،وقد نزح من قطر واستوطن دارين وبنى هذه القلعة سنة ١٣٠٢ هـ ، وانظر بحثنا المنشور في جريدة اليوم في عددها رقم ٤٠٦٨ على الصفحة ١٣ في يوم الأحد ٢٨ رجب ١٤٠٤ هـ بعنوان :الشيخ محمد الفيحاني (١٢٦٠ – ١٣٢٤ هـ) .

(٣) واحة على ضفاف الخليج ص٥١ .

(٤) تقويم البلدان،ص٧٠.

يبق منها في الوقت الحاضر سوى ستين ألف نخلة وهي في تناقص مستمر، وتروى كلها سابقا من مصدرين، هما: عين الحمام الواقعة في الطرف الشمالي الغربي من قلعة تاروت، وعين الفرسان الواقعة على مسافة نصف ميل منها، ومياههما عذبة ساخنة، تزودان سكان الجزيرة بمياه الشرب كما يقول لوريمر [١] وقد انتابهما الضعف في الآونة الأخيرة، فعوض نقص الري بالآبار الأرتوازية، وبسبب حفر هذه الآبار انتشرت الزراعة في الجهة الشرقية من الجزيرة.

وتقع جزيرة تاروت في قلب خليج القطيف أو خليج كيبوس، أو المسمى حديثا بخليج تاروت، على بعد ٦ كم من مدينة القطيف إلى الشرق، وتبلغ مساحتها ٦ كم من الجنوب إلى الشمال ومثلها من الغرب إلى الشرق، وكانت في سالف عهدها جزيرة يحيط بها البحر من كل جانب، أما في حالة الجزر فينحسر الماء في الجهة الغربية منها، وتستعمل وسائل المواصلات البرية بينها وبين القطيف إلا من خور قليل العمق يسمى «المقطع» لا يتجاوز عمقه مترا واحدا. أما في حالة المد فلا سبيل إليها إلا باستخدام السفن [٢].

وتتخلل سواحلها بعض الخلجان والرؤوس الصغيرة، وينحسر البحر عن شواطئها في حالة الجزر، باستثناء الطرف الجنوبي منها، فهو رأس داخل في البحر، والذي يقع فيه مرفأ دارين، أشهر مرافئ شبه الجزيرة العربية، فهو الميناء الوحيد الصالح لرسو السفن في حالتي المد والجزر، وقد اشتهر هذا المرفأ منذ القدم، فقد مر عليه أحد قادة الإسكندر المقدوني عند عودته من الهند، بعد أن زار مدينة فينيقيا على الساحل الغربي من الخليج في أثناء جولته الاستطلاعية، وتقول الرواية: إنه عرج على جزيرة نيرين ويعتقد أنها دارين، كما حظي هذا المرفأ بشهرة واسعة في التاريخ العربي منذ العصر الجاهلي.

---

(١) دليل الخليج ،ج٧،ص ٢٤٤٥، وأيضاً: القطيف واحة على ضفاف الخليج ٥٢.

(٢) المعجم الجغرافي ج٢،ص٢٠٥و٢٠٩.

دارين :

وصفها ياقوت بانها فرضة يجلب إليها المسك من الهند ، والنسبة إليها داري .

قال الفرزدق :

كــأنَّ تريكةً من مــاء مُــزنٍ　　　وداريّ الــذّكــيّ مــن المُــدامِ

وجاء في القاموس المحيط، داري : العطر المنسوب إلى دارين فرضة بالبحرين بها سوق يحمل إليها المسك من الهند ، ويعتبر اسمها من الأسماء القديمة كتاروت وسيهات، وقد حاول بعض الباحثين ان يتأوّل معناها فزعم انها جمع سالم لدار وانها ترفع بالألف وتنصب وتجر بالياء ، أو ان المقطع الأخير (ين) الحقت بها كأداة تعريف في اللغة الحميرية (أي الدار) كما فعلوا في تأويل لفظ البحرين [1] ،أو ان معناها باللغة الفارسية (عتيق) حسب ما روى الأصمعي ان كسرى سال، من بنى هذه القرية؟ فأجابوه : دارين أي قديم .

وقد تمتعت دارين بشهرة فائقة في العصور الخالية ، فكانت محط انظار طلاب الثروة، وقد عاشت فترة رخاء وازدهار كبيرين ، إذ كانت السفن ترد إليها من الهند محملة بالتوابل والمنسوجات والسيوف الهندية والمسك والبخور والأحجار الكريمة والعاج والخشب الفاخر النادر ، ومن الصين محملة بالحرير والمنسوجات الحريرية والخضراوات ، ومن بلاد العرب الجنوبية محملة بالمر واللبان والأفاويه والبرود اليمانية والعاج الوارد إليها من سواحل افريقيا الشرقية ، ثم تعيد تصديرها الى جميع انحاء العالم ، ومنها كان أهل البادية وسكان أواسط شبه الجزيرة العربية يفدون إليها ، فيبتاعون معظم حاجاتهم فتمر قوافلهم عبر الدهناء في طريقها إلى الأحساء [2] ثم تعبر الجزيرة عبر المياه الضحلة إلى القطيف وفي ذلك يقول أعشى همدان :

يمرُّون بالدّهناء خِفافاً عيابُهم　　　ويخرجْن من دارِين بُجْرُ الحقائبِ

---

(١) القطيف واحة على ضفاف الخليج ص٥٣ .

(٢) يمكن الرجوع إلى كتابنا : دارين المسك والشعر واللؤلؤ ،ط١ ،س١٩٨٨م الجبيل.

عَلَى حينِ ألـهَى النـاسَ جلُّ أمــورِهِم   فَـنَـدلاً زُرَيْـقَ المـالِ نَـدلَ الثَّـعـالـبِ

وداريـن هي إحـدى مـدن جـزيرة تاروت الأربع ، التي ذكـرها لوريمر فوصـفـهـا سنة ١٩٠٧م بانهـا :قـرية مـحـمـيـة بقلعـة مربعـة تتكون من مـئـة منزل للسـادة ، ومـعظم سكانهـا من بني خالد، مع قليل من الجنيدات، وليس بها حدائق ولا زراعات ويملك السكان ١٥ قاربا لصيد اللؤلؤ، كما أن قرية تاروت مسورة تتكون من ٣٥٠ منزلا وهي أكثر كثافة سكانية من بقية القرى، وتقع في وسط الجزيرة، وكثير من منازلها خارج السور، ويزرع فيها النخيل بكثرة وأشجار الفاكهة، ويعمل أهلها في الغوص لاستخراج اللؤلؤ وتجارته وبعضهم يعمل في الزراعة، وتأتي بعدها قرية السنابس الواقعة على الساحل الشرقي، وتتكون من مئتي منزل غير مسورة وليس بها بساتين نخيل ويعمل أهلها بصيد اللؤلؤ والسمك، و فيها ٦٨ قاربا لصيد اللؤلؤ. أما القرية الرابعة فهي الزور وتسمى (فنية) وتقع على الساحل الشمالي للجزيرة، وتتكون من ٤٠ منزلا، وبها بعض الحدائق التي تروى من عين تاروت، وسكانها من مهاجري أبو ظبي، من قبيلتي بوفلاسه وبني ياس، يعملون بصيد اللؤلؤ ولديهم ٧ قوارب كما أن مجموع سكان الجزيرة في عهد لوريمر حدود سنة ١٩٠٧م كما يقول لا يزيد على أربعة آلاف نسمة [١] .

أما في الوقت الحاضر فقد تغيرت تلك المعالم القديمة للجزيرة، إذ دفن البحر من الجهة الغربية لمدينة القطيف، فاتصلت بها وأصبحت تلك الأراضي التي يغمرها البحر سابقا مناطق سكنية، فقامت في الغرب مدينة الدخل المحدود، ومناطق في طريقها إلى العمران، كالمنطقة التركية والمنيرة والمزروع والناصرة، حتى انتفت صفة الجزيرة عنها، وتحولت إلى شبة جزيرة، لاتصالها بالبر من الجهة الغربية، ويربطها الآن بمدينة القطيف شارع معبد منور بالكهرباء ذو اتجاهين، يسمى شارع (أحد)، وعند مدخلها مصانع الألمونيوم والحدادة والطابوق وورش إصلاح السيارات كما ترتبط قراها بشوارع معبدة، فيشق وسطها شارع

---

(١) دليل الخليج ج٧ص٢٤٤٦-٢٤٤٧

رئيسي يمر بمدينة تاروت حيث السوق التجاري، ويجتازها، إلى الربيعية [١] وهي مدينة حديثة، ثم يصل إلى السنابس، وبعدها ينعطف الى الجنوب، وينتهي إلى دارين، كما يوجد شارع من الغرب يربط دارين بتاروت وآخر بالسنابس والزور، ويتجه غربا، ويلتقي بالشارع العام بالقرب من مدخل الجزيرة، وتبعاً لنمو السكان وانتشار حركة العمران، فقد زحفت المباني في بلدة تاروت على البساتين المجاورة فتكونت أحياء جديدة، كالخارجية والدشة والأطرش والحوامي والوقف وأرض الجبل، كذلك الأمر في السنابس ودارين والزبيعية.

وتعدّ تاروت من المراكز العلمية والثقافية في القطيف منذ القدم فقد أنجبت بيوتاً علمية كآل سيف وآل معتوق وآل الصفار ، وظهر فيها فقهاء مجتهدون أمثال الشيخ عبد الله المعتوق وشعراء مبرزون أمثال عبد المحسن التاروتي وحسن التاروتي ومحسن آل مرهون المعروف بالملهوف التاروتي وغيرهم من العلماء الأعلام .

الآجام :

الآجام جمع أجمة، وهي منبت القصب الملتف، أو أصلها الأوجام كما ينطقها الآن أهاليها ، وهي جمع الوجم (بتسكين الجيم أو تحريكها) ومعناها كما يقول صاحب القاموس حجارة مركومة على الآكام . أو أبنية يهتدى بها في الصحارى ، وهذا المعنى يناسب وضعها الحالي ، إذ تحف بها الصحراء من كل جانب ، ولعل لاسمها صلة بالآجاميين الذين رحلوا مع سليمان القرمطي عند رجوعه من هيت سنة ٣١٧ هـ فانتظموا في جيشه ، وعرفوا بالآجاميين وكانوا قبلاً من سكان الآجام والطفوف من أعمال الكوفة ، كما يذكر المسعودي [٢].

---

(١) نسبة إلى ملا حسن بن ربيع الذي نزح إليها من القديح واستوطنها فنسبت إليه وتعد الآن ضاحية كبيرة من ضواحي مدينة سنابس التاريخية .

(٢) القطيف واحة على ضفاف الخليج ص٥٥ وساحل الذهب الأسود ص٥٦ وانظر أيضاً كتاب : القطيف ص٦٤ .

وتقع الآجام في الصحراء في الجهة الغربية من الواحة ، على بعد ٩ كم من مدينة القطيف، وإلى الشرق من هذه القرية منخفض من الأرض ، تصب فيه فضلات مياه الأراضي الزراعية ، على غرار بحيرة الأصفر في الأحساء ، وينبت فيه الحلفاء والقصب، ولعل لاسمها صلة بهذا الموقع ، كما يوجد بها مزار ينسب لأحد الأنبياء، والقرية كانت مسورة – كما وصفها لوريمر تتكون من ٥٠ منزلاً من الحجر والطين[١] . وتقع في وسط المنطقة الزراعية التي تغلب عليها زراعة النخيل [٢] .

أم الساهك :

الساهك – لغة – الرمد وحكة العين ، وربما سميت بهذا الاسم لوقوعها في أرض رملية، تثير أتربتها الرياح الساهكة أي العواصف فتسبب الرمد وحكة العين ، وتقع هذه القرية إلى الغرب الشمالي من صفوى على بعد ٣ كم منها وكانت منعزلة في الصحراء ، أما الآن فقد أوشكت أن تختلط بمدينة صفوى .ذكرها لوريمر فوصفها بأنها قرية تتكون من ٦٠ منزلاً ، وتقع في منطقة زراعية . [٣]

أبو معن :

قرية تقع إلى الشمال من أم الساهك على مقربة منها في سبخة الرّياس وهي منطقة يسكنها خليط من القبائل .

الدريدي :

نسبة الى دريد وهو من أسماء الأعلام العربية ، قرية ذات نخل تقع على مقربة من أم الساهك إلى الجنوب وتبعد عن صفوى قرابة ١٠ كم ، واقعة في حزم ، أي مكان مرتفع

---

(١) دليل الخليج ج ٥،ص١٨٨٣ .

(٢) دليل الخليج السابق ج٥ص١٨٨٥ وساحل الذهب الأسود ص٥٦و٥٧ .

(٣) المعجم الجغرافي ج٢ص٤٨٦ .

فتسمى أحياناً حزم الدريدي [١]، ذكرها لوريمر فعدها من مياه واحة القطيف .

النابية :

وتسمى القاسمة، وتقع جنوب غرب القطيف وتبعد عنها نحو ١٥ كم[٢] وهي قرية صغيرة تسكنها بعض قبائل البادية ، تقع على أكمة عالية وهي بالقرب من طريق الظهران – الجبيل السريع وغرباً من سيهات مباشرة .

شَعَاب :

بفتح أوله وثانيه قرية ذات نخل من قرى القطيف تقع في الجنوب من رأس القليعة وشمال جاوان وصفوى [٣] .

وهناك واحات أخرى صغيرة أو مراكز قليلة الأهمية من بقايا الواحات التي كانت تزخر بها صحارى البيضاء كالرويحة والفاقعة والعبا والعلا منتشرة في الصحارى المجاورة، وتابعة إدارياً لمنطقة القطيف.

وقد جاء في بيان مصلحة الإحصاءات العامة في وزارة المالية والاقتصاد الوطني لتقسيم الإمارات في المنطقة الشرقية الصادر عام ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) بأن للقطيف ١٩ قرية و٩ موارد ولصفوى ١٤ قرية ولسيهات ٣ قرى. وهذا العدد من القرى يشمل جميع الضواحي والقرى التابعة لكل مدينة، حسب تقسيم مراكز الإمارات في ذلك الحين.

ومن الملاحظ أن جميع قرى القطيف قديما تقوم على أراضٍ صخرية، ولعل هذه المواقع اختيرت للسكن لتكون بمنأى عن رطوبة الواحة، لاسيما في فصل الشتاء، كما أنها كانت محاطة بأسوار ذات أبراج على شاكلة قلعة القطيف، لتكون مراكز دفاعية للسكان، تحميهم

---

(١) المعجم نفسه ج٤، ص١٣٨٧.

(٢) القطيف واحة على ضفاف الخليج ص٥٦.

(٣) المرجع السابق، ص٥٧.

من سطو البدو وغاراتهم المتتالية في الأيام الغابرة، أما الآن فقد أهمل شأنها؛ في سائر ربوعها كما هو الشأن في سائر أنحاء المملكة، فانمحت معالمها وتخطاها العمران.

كما يشاهد في السنوات الأخيرة أيضا ازدهار الحركة العمرانية في مدينة القطيف وضواحيها على السواء، فضاقت مساحتها القديمة المحاطة بالأسوار عن استيعاب هذه الحركة العمرانية فأخذت المباني المساحات المجاورة والبساتين القريبة والمناطق البحرية، فقامت أحياء سكنية جديدة، تزخر بالمساكن الحديثة والأبنية المسلحة، وكان لمشروع صندوق التنمية العقاري في منح القروض الطويلة الأجل أعظم زخم في انتشار الحركة العمرانية وانبثاق الأحياء السكنية الجديدة .

ولوزارة المواصلات في فتح الطرق وتبليطها وتعبيدها وبالإسفلت وربط القرى بالمدن أكبر دور في تسهيل المواصلات وتحديث المنطقة، ولا ننسى دور وزارة الشؤون البلدية والقروية في العناية بتجميل المدن وتبليط الشوارع الداخلية وتنويرها، لقد تغير بالفعل الوجه المعماري لهذا البلد القديم بعد أن دخلت الكهرباء في كل مدينة وقرية، وكذلك الخطوط الهاتفية، وبعد أن قام مشروع هندسة المجاري ليشمل المدن والقرى. وكل ذلك من جملة المشاريع الحيوية التي جعلت البلاد تخطو خطوات نحو التقدم والازدهار [١].

---

(١) القطيف واحة على ضفاف الخليج ص٥٧.

الباب الثاني

التاريخ الإسلامي (الموجز) للقطيف

من صدر الإسلام حتى مجيء البرتغاليين

من سنة ١ - ٩٢٧ هجرية / ٦٢٢ - ١٥٢١ ميلادية

الدخول في الإسلام :

تتميز القطيف من غيرها بموقعها الاستراتيجي المهم وبذا تُعدُّ ملتقى لكثير من الحضارات والأديان حيث أنها تتمتع بهذا الموقع الذي تمر به أجناس تحمل أفكاراً متنوعةمن مختلف الأديان والثقافات المتشعبة ، فقد نشط فيها الفكر المتحرر نتيجة الاحتكاك والتأثر بما يرتاده التجار عند مرورهم بالقطيف فكانت بذلك مركزاً اقتصادياً مهماً لمختلف البضائع الواردة إليها والمارة من خلالها في طريقها مى بلاد الشرق وإليها . ولابد أنها كانت أيضاً ذات مستوى اقتصادي عالمي؛ لما تكتسبه من واردات، أثر ذلك المستوى المتمكن إيجابيا في تطور الشعور والنضج الفكري لأهالي المنطقة بصورة عامة [1] .



---

(١) ساحل الذهب الأسود ، ص١١٨

ويشير المؤرخ محمد سعيد المسلم عن تاريخ دخول الإسلام إلى القطيف (الخط) قديما بقوله :

إن المتتبع للحياة الفكرية والاجتماعية فيها قبيل الإسلام يدرك أنها قد بلغت درجة كبيرة من النضج العقلي، فقد كانت ملتقى لكثير من الديانات التي وفدت إليها من جميع الأجناس بحكم مركزها الاقتصادي وموقعها الاستراتيجي بما فيها النصرانية واليهودية والمجوسية وغيرها، فعرفت ألواناً من النشاط الفكري، وكل هذه خلقت فيهم شبه استعداد نفسي لاستقبال أمر جديد، وهيأت فيها الشعور لتقبل دين التوحيد، فقد حدثنا المسعودي بأن رباب السبتي وبحيرا الراهب وهما من بني عبد القيس كانا ممن عرف التوحيد وأقر بالخالق وصدق بالبعث والنشور، ودعا إلى الله ونبَّه أقوامه على آياته قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وذكر الحافظ بن حجر العسقلاني في (الإصابة) أن المنذر بن عائذ الملقب بالأشج كان صديقا لراهب ينزل بدارين [1] وكان يلقاه كل عام، فلقيه ذات عام بالزارة، وأخبره بأن نبيا يخرج بمكة يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه علامة يظهر على الأديان، ثم مات الراهب فلما سمع الأشج بمبعث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعث ابن أخته وزوج ابنته عمرو بن عبد القيس، وبعث معه تمرا وملاحف، وضم إليه دليلا يقال له الأريقط، فأتى مكة عام الهجرة، فلقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم و رأى العلامات فأسلم، ثم رجع وأخبر خاله، فأسلم هو الآخر، وكتما إسلامهما حينا من الزمن.

ويحدثنا المؤرخون أن هذه المنطقة قبل دخول الإسلام فيها كان بها خلق كثير من عبد القيس وبكر بن وائل وتميم وكانوا مقيمين في باديتها، وكان عليها المنذر بن ساوى العبدي والياً من قِبَلِ الفرس، فلما كان العام السادس للهجرة وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(١) للمزيد من المعلومات حول المسيحية في منطقة القطيف قبل مجيء الإسلام يرجى مراجعة كتاب (تاريخ الخليج العربي من اقدم الأزمنة حتى التحرير العربي) تأليف د. سامي سعيد الأحمد ، ط ١٩٨٥ م ، الصفحات : ٣٩٢ حتى ٤٠٧ .

العلاء بن الحضرمي حليف بني عبد شمس ومعه كتاب إلى المنذر بن ساوى هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، اما بعد فإن من صلى صلاتنا ونسك نسكنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذاك المسلم ، له ما لنا وعليه ما علينا، له ذمة الله ورسوله من أحب ذلك من المجوس فهو آمن، ومن أبى فعليه الجزية [1].

الوفادة على الرسول (ص):

وفد على الرسول صلوات الله وسلامه عليه في السنة السابعة للهجرة نفر من عبد القيس يرأسهم المنذر بن عائذ وقد أخبرهم الرسول (ص) في صباح الليلة التي وصلوا فيها بما جاء به من عند الله ، والوافدون هم كما تذكرهم أغلب المصادر:

١ــ عبد الله بن عوف الأشج.
٢ــ الجارود بن عمرو بن حنش بن المعلى من بني أنمار ويعرف بالجارود بن بشر المعلى.[2]
٣ــ صحار بن عباس من بني مرة بن ظفر (العبدي).
٤ــ سفيان بن خولي من وديعة.
٥ــ محارب بن مزيدة بن مالك بن معاوية.
٦ــ حارثة بن جابر.
٧ــ الزارع بن الوازع.
٨ــ أبان العبدي.
٩ــ جابر بن عبد الله العبدي.
١٠ــ منقذ بن حيان العبدي (ابن أخت الأشج).

---

(١) ساحل الذهب الأسود ، الصفحتان ١١٨ و ١١٩ .

(٢) وتنسب له بلدة الجارودية في القطيف فيها جبل (برّاق).

١١- عمرو بن المرجوم (واسم المرجوم عبد قيس من بني عصر).

١٢ - شهاب المتروك (عباد) بن عبيد من بني عصر ويعرف بشهاب بن عبد الله.

١٣- عمرو بن عبد القيس من بني عامر بن عمر (ابن أخت الأشج).

١٤- طريف بن أبان من جديلة بن أسد بن ربيعة.

١٥- عمرو بن شعيث من بني عصر.

١٦- جابر بن جابر من بني عصر.

١٧- همام بن ربيعة من بني عصر.

١٨- عامر بن عبد قيس أخو عمرو بن عبد قيس من بني عامر بن عمرو وهو الذي بعثه الأشج ليعلم رسول الله (ﷺ) ويعرف عامر بن الحارث.

١٩- عقبة بن جروة من بني صباح بن لكيز.

٢٠- مطر أخو عقبة من أمه من عنزة (مطر العنبري).

٢١- سفيان بن همام من بني ظفر بن محارب من لكيز.

٢٢- عمرو بن سفيان بن همام (ابن سابق الذكر).

٢٣- الحارث بن جندب من بني عائش بن عوف بن الديل.

٢٤- همام بن معاوية بن شبابة بن عامر بن حطمة من عبد القيس [1].

٢٥ خزيمة بن عمرو.

٢٦- مرشد بن مالك.

٢٧- عبيدة بن همام.

٢٨- محارب بن مزيدة.

٢٩- جابر بن همام.

---

(١) ذكرهم ابن سعد في طبقاته ج ١، ص ٥٥٧، وذكر كثيراً من اخبارهم، وذكرهم المسلم في ساحل الذهب الأسود في الهامش ص ١٢١ و ١٢٢ بإيجاز شديد وعددهم ٢٥ فقط، وانظرهم أيضا في تحفة المستفيد ج ١ ص ٦١ وقد نقل عنه الغريب في منطقة الأحساء عبر أطوار التاريخ، ص ٨٩ و ٩٠ و ٩١.

حادثة الردة:

بقي المنذر بن ساوى أميرا على البحرين حتى وفاة الرسول ﷺ ، وقد مات بعده بفترة وجيزة، وقيل: إنَّ موته حدث أثناء مرض الرسول (ص) الذي توفي فيه، وقد كان لموته ولوفاة الرسول (ﷺ) أبلغ الأثر في النفوس، فوفاتهما في وقت متقارب كانت بمثابة هزة عنيفة لا تقل عن الهزة التي حدثت في المدينة بعد وفاة الرسول (ﷺ)، وقد اغتنم هذه الفرصة أولئك الذين لم يدخل الإيمان في قلوبهم، فانطلقت أيديهم العابثة تستغوي الفئات التي تأثرت بهذا الحادث المروّع.

وقد أطلق المؤرخون على هذا الحدث صفة (الردة) على نحو من الشمول، فقد ذكروا أن أهل البحرين ارتدوا عن دين الإسلام بعد وفاة الرسول (ﷺ)، وذكروا أن الجارود العبدي قام واعظاً في بني عبد القيس يذكّرهم بمصير من سبق محمداً من الأنبياء، فقال (يا قوم ألستم تعلمون ما أنا عليه من النصرانية، وإني لم آتكم قط إلا خيراً وأن الله بعث نبيه محمداً ونعى إليه نفسه فقال (إِنَّكَ مَيِّتٌ وإِنَّهُم مَيِّتونَ)[1] وقال (ومَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رسُولٌ قَد خَلَتْ من قَبلِه الرسل، أَفإنْ مَاتَ او قُتِل انقلبتم على أَعْقَابِكُمْ، وَمَنْ يَنْقلِبْ عَلَى عَقِبَيهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللّهَ شَيئاً، وَسَيجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ)[2] (ثم اردف قائلاً ما شهادتكم أيها الناس على موسى؟ قالوا نشهد أنه رسول الله، قال ما شهادتكم على عيسى؟ قالوا نشهد أنه رسول الله، قال وأنا أشهد أن محمداً رسول الله عاش كما عاشوا، ومات كما ماتوا، وأتحمل شهادة من لم يشهد، فكان أن ثبت بنو عبد القيس على إسلامهم، أما بنو بكر بن وائل فبقوا على ردتهم، وقد تزعم الحطم بن ضبيعة حركة الردة، وانضم إليه كثير من القبائل، فاستغوى الخط ومن بها من الزط والسيابجة، وأرسل إلى الغرور بن سويد أخ النعمان بن المنذر ملك الحيرة سابقاً، فمناه بتنصيبه ملكاً على عرش البحرين.

ثم زحف الحطم بجيوشه ونزل بين هجر والقطيف، وبعث فرقة من قواته إلى دارين

(١) الزمر ٣٩/ ٣٠.

(٢) آل عمران ٣/ ١٤٤.

فاحتلها، وفرقة أخرى إلى جواثا فطوقتها، وشدد عليها الحصار حتى كاد أن يهلك من بها من الجوع، فكتب المسلمون رسالة إلى الخليفة أبي بكر الصديق يستنجدونه وضمنوها أبيات حماسية لعبد الله بن حذف:

ألا أبلـــغْ أبَا بَكْـر رَسُـولاً ... فـتـيَـانَ المدينَةِ أجـمَـعينَا

فَهـل لَكُمُ إلى قَوم كِرام ... قُعـودٍ في جـواثَ[1] محـاصَرينا

كَأنّ دمَـاءَهم في كُلّ فجٍّ ... شُعَاعُ الشَّمس يُغشي النَّاظِرينَا

تَوكَّلنا علَى الرحمنِ إنّا ... وَجَدنا النَّصرَ للمُتَوكِّلينَا

وحينما تلقى رسالتهم بعث إليهم بنجدة من المدينة بقيادة العلاء بن الحضرمي وقد انضم إليهم في أثناء مروره على اليمامة ثمامة بن أثال فيمن تبعه من بني حنيفة بعد مقتل مسيلمة الكذاب ورجوعهم إلى حاضرة الإسلام، ولحق بهم كذلك قيس بن عاصم المنقري التميمي فيمن تبعه من بني تيم الرباب، فلما وصل العلاء بن الحضرمي إلى هجر، بعث إلى الجارود العبدي، وأمره بأن يتولى قيادة بني عبد القيس، ويرابط في المناطق الساحلية، وأن ينازل جيوش الحطم في الجبهة الشرقية.

ويقول المؤرخ محمد سعيد المسلم :

أما العلاء فقد سار بمن معه حتى نزل بالقرب من هجر فنازل جيوش الحطم في الجبهة الغربية، وقد خندق الجانبان المتحاربان وظلت بينهما الحرب سجالاً قرابة شهر يشتبكان في القتال نهارا، ويرجعان إلى خنادقهما ليلاً، ففي ذات ليلة انبعثت ضوضاء من معسكر الحطم أحس بها المسلمون، فتطوع عبد الله ابن حذف الشاعر المعروف، بأن يقوم بمهمة الاستطلاع عنها، فنفذ إلى معسكر الحطم، واكتشف نقطة الضعف فيهم فعلم بأن قافلة تحمل خمرا نزلت عندهم تلك الليلة فشربوا حتى سكروا، فاغتنم المسلمون هذه الفرصة الذهبية

---

(١) جواثى : مدينة في الأحساء اقيم فيها ثاني جمعة في الإسلام لم يبق منها اليوم سوى مسجد قديم يعرف بمسجد جواثى(جواثا) .

فباغتوهم بهجوم عنيف، وانقضوا على معسكرهم ومزقوهم شر ممزق، وقتلوا قائدهم الحطم، واستولوا على أسلحتهم وذخيرتهم [1].

أما المؤرخ عبد الله الشباط فيذكر لنا هذه الواقعة فيقول:[2]

اجتمعت ثلاثة عوامل، كل منها يتمم الآخر ويستعمله وسيلة لبلوغ هدفه.. فإذا بأهل الأحساء يباغتون بالهجوم من الخارج بقيادة الحطم بن ضبيعة من جهة وبقيادة الغرور بن سويد من جهة أخرى كما يباغتون بالخيانة من الداخل فلا يجدون سوى الاعتصام في جواثا حيث يحيط بها المرتدون من كل جانب.

يحدث الحصار وتحدث الخيانة وهم باقون على دينهم لا يتزعزعون والجارود بينهم يعظهم ويذكرهم بالقرآن وأن وفاة رسول الله (ص) أمر محتوم على كل البشر ويحثهم على الصبر والمرابطة، ويستنجد المسلمون بخليفة الرسول (ﷺ) أبي بكر الذي لا يتوانى عن نجدتهم بقوات من المدينة تحت قيادة العلاء بن الحضرمي، وينضم إليه في طريقه إلى هجر ثمامة بن آثال فيمن تبعه من بني حنيفة بعد مقتل مسيلمة ورجوعهم إلى الإسلام [3]، وكذلك قيس بن عاصم المنقري فيمن تبعه من قبائل تيم الرباب حتى اجتمع له اثنا عشر ألفا من المجاهدين، وما إن وصل إلى هجر حتى بعث إلى الجارود وأمره بالخروج مع قبائل عبد القيس للمرابطة على الساحل ومنازلة جيوش الحطم [4].

وما إن خرج الجارود ومن تبعه من عبد القيس حتى ثار المشركون وأتباعهم وسيطروا على مدينة جواثا لمدة شهر كامل، والعلاء مقيم على حصارهم وينازل قوات الحطم بن ضبيعة حتى هزمها وقتل الحطم فوق قواته وأسر الغرور بن سويد وكان ذلك سنة ١٢ هـ[5] في حين أضاف (المسلم): وصالحه أهلها على ثلث أموال المدينة.

---

(١) ساحل الذهب الأسود، ص ١٢٤ و ١٢٥.

(٢) صفحات من تاريخ الأحساء ص٢٠١.

(٣) الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٤٤٩.

(٤) ساحل الذهب الأسود، ص ١٠٥.

(٥) تحفة المستفيد ج ١، ص ٧.

ويرى الأديب المؤرخ عبد الله الشباط أن أهل هجر خاصة عبد القيس لم يشتركوا في الردة لعدة أسباب :

أولها : أن هذه المنطقة كانت ملتقى للأديان اليهودية والنصرانية والمجوسية بحكم موقعها الجغرافي واختلاط أهلها بمجاوريهم، حتى تكونت لديهم معرفة بالأديان واقتناعهم بما اقتنع به بحيرا الراهب [1] .

ثانيها : أنهم لم يجدوا في الإسلام شيئاً من مظاهر التسلط والتحكم في الأرواح والممتلكات واستغلال النفوذ، كما لم يجدوا تلك الرهبانية التي شاهدوها في بعض الأديان مما تنقطع معها مصالحهم الدنيوية .

ثالثها : أنهم دخلوا الإسلام طائعين مختارين عن قناعة وفهم تامين، بل كانوا هم السباقين إلى الوفادة إلى رسول الله (ﷺ) لأخذ تعاليم الدين منه دون إكراه أو حرب .

لهذه الأسباب كانت الردة بعيدة عن عقيدتهم الراسخة وإيمانهم العميق. ويشير المسلم[2] إلى أن الجيش توجّه أخيراً إلى القطيف وعبر البحر إلى جزيرة تاروت لاحتلال دارين، وهناك حدثت معركة عنيفة انهزم فيها المشركون ووضع المسلمون السيف في رقابهم حتى كادوا يفنوهم عن بكرة أبيهم، وغنموا أموالهم وأسلحتهم وعتادهم، ثم واصل العلاء زحفه على مدينة السابون، ففتحها عنوة، ثم مدينة الغابة فاحتلها وقتل من فيها من العجم.[3]

أما مدينة الزارة فقد تحصن بها المعكبر الفارسي الذي كان يحلم على إثر حادثة الردة باستعادة مجده الداثر، وقد أعلن التمرد والعصيان، وانضم إليه مجوس هجر والقطيف

---

(١) صفحات من تاريخ الأحساء ، ص ٢٠٢ و ٢٠٣ .

(٢) ساحل الذهب الأسود ، ص ١٢٧ .

(٣) (السابون) و(الغابة) من المدن القديمة المندثرة في واحة القطيف تماماً كما حدث لمدينة (الزارة)، وانظر التعريف بمدينة العوامية في هذا الكتاب.

الذين امتنعوا عن أداء الجزية، وقد حاصر العلاء هذه المدينة، فلم يتمكن من فتحها إلا في خلافة عمر وبعد مصرع المعكبر نفسه على يد البراء بن مالك الأنصاري، وقد كانت هذه المدينة حصينة للغاية، فلم تخضع للتسليم إلا بعد أن قطع عنها الماء، ويقال إن رجلاً من الزارة نفسها دلهم على نقطة الضعف، فأرشدهم إلى مجرى الماء فأعلنت استسلامها، واضطر أهلها إلى الصلح على ثلث أموال المدينة من ذهب وفضة ونصف ما كان خارجها.

ويشير المؤرخ عبد الله الشباط:

إلا أن الخلافة قد آلت إلى عمر بن الخطاب كان العلاء بن الحضرمي والياً على هجر ونواحيها فندب عبد القيس لغزو بلاد فارس فاجتمعوا على ثلاثة أمراء، هم الجارود بن عمرو وهمام بن سوار وخليد بن المنذر فعبروا البحر إلى اصطخر، فغدر بهم أهل فارس واجتمعوا عليهم من كل ناحية تحت قيادة (الهربذ) فحالوا بين المسلمين وبين السفن وأخذوا عليهم مسالك الطرق فقام خليد بن المنذر يخطب في جماعته فقال:

إن الله إذا قضى لأحد أمراً جرت به المقادير حتى يصيبه، فاستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين. ثم أخذ ينشد واصفاً الوضع آنذاك:

بِطَاوُوسَ نَاهَبنا الملوكَ وخَيلُنَا عَشيَّةَ شهرَاكٍ عَلَون الرَّوَاسِيَا
أطاحَتْ جُموعَ الفَرسِ من رَأسِ حَالِقٍ تَرَاهُم لُموارِ السَّحابُ مُنَاغِيَا
فَلاَ يَبعُدَنَّ اللَّهُ قَوماً تَتَابَعُوا فَقَد خَضَّبُوا يَومَ اللِّقَاءِ العَوَالِيَا

فتنادوا للقتال والتقوا بالفرس في مكان يسمى (عقبة الطاووس)، وقد قام همام ابن سوار يقاتل حتى قتل افقام مقامه ابنه عبد الله وقتل الجارود فقام مقامه ابنه المنذر فغرق الأعداء وسفنهم ثم توجه المسلمون يريدون البصرة عن طريق البر فإذا العدو قد سد عليهم الطريق، فاعتصموا بمكانهم وسيوفهم وكتبوا إلى الخليفة عمر بن الخطاب يسألونه المدد، فبعث إلى عتبة بن غزوان أمير البصرة فبعث لمددهم اثني عشر ألفاً، فالتحموا مع الفرس حتى هزموهم وفتح الله على المسلمين.

ولما تم الفتح عادت الجيوش إلى البصرة وعادت عبد القيس إلى البحرين تحت قيادة العلاء، إلا أن عمر لم يرض عن تصرف العلاء وغزوه بلاد فارس دون إذنه فعزله عن البحرين وأمره بالتوجه إلى البصرة، إلا أنه مرض في أثناء سيره إليها، وتوفي في الطريق في موضع يعرف بـ(العذان) سنة ١٤ هـ [١] والعذان كما هو معروف ساحل البحر من القطيف إلى الكويت.

وبعد عزل العلاء ولى عليها عثمان بن أبي العاص الثقفي، ثم عزله وولى مكانه قدامة بن مظعون وجعل أبا هريرة على الخراج، ثم إن عمر عزلهما وأعاد الولاية لعثمان بن أبي العاص وضم إليه عمان والخط وأوال، وقد قام عثمان في أثناء ولايته بغزو فارس ففتح مدينة (اصطخر) ومنها إلى مدينة (ناية) بالهند، ثم جزيرة سيلان.

وفي خلافة عثمان بن عفان زحفت جيوش المسلمين شرقاً تحت إمرة عثمان ابن أبي العاص ففتحوا نيسابور وشيراز والكازرون وجنابه، وفي خلافة الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ولّى على البحرين عمر بن أبي سلمة ثم عزله وولى النعمان بن العجلان الرقي الأنصاري [٢] .

أيام الخلفاء الراشدين:

حكام منطقة البحرين – وتشمل القطيف والأحساء والبحرين وقطر – في صدر الإسلام:

أ – العهد النبوي (٦ – ١١ هـ / ٦٢٢ – ٦٣٢ م):

١ – المنذر بن ساوى.

٢ – العلاء بن الحضرمي.

٣ – أبان بن سعيد بن العاص بن أمية.

---

(١) البداية والنهاية ، ج ٧ ، ص ٨٦ والموضع اليوم مجهول ، إلا أن (العذان) هو الساحل الممتد من رأس تنورة شمال شرق القطيف إلى كاظمة (الشعيبة بالكويت) وهو الطريق إلى البصرة .

(٢) صفحات من تاريخ الأحساء ، ص ٢٠٤ .

ب -الحكام في عهد الخلفاء (عهد الخليفة أبي بكر الصديق (١١-١٣ هـ / ٦٣٢ - ٦٣٤م) :

١ - الجارود : المعلى بن عمرو بن حنش العبدي .

٢ - العلاء بن الحضرمي (مرة ثانية).

ت - في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (١٣ - ٢٣ هـ / ٦٣٤ - ٦٤٤ م)

١ - العلاء بن الحضرمي والياً على اليمامة إلى جانب ولايته على البحرين.

٢ - عثمان بن أبي العاص الثقفي.

٣ - قدامة بن مظعون مع أبي هريرة.

٤ - عثمان بن أبي العاص (مرة ثانية كان والياً على عمان في الوقت نفسه) وشاركه في البحرين الربيع بن زياد الحارثي.

ث - في عهد الخليفة عثمان بن عفان (٢٣-٣٥ هـ / ٦٥٦- ٦٦١ م) :

١ - عمرو بن أبي سلمة ربيب رسول الله (ص)

٢ - النعمان بن العجلان الرقي الأنصاري

٣- عبد الله بن العباس وضم إلى ولايته اليمن.

حكام البحرين في العهد الأموي (٤٠- ١٣٢ هـ / ٦٦٠- ٧٤٩ م) :

عهد معاوية بن أبي سفيان :

١ - الأحوص بن أمية (٦٥- ٨٦ هـ).

٢ - الأشعث بن عبد الله بن الجارود العبدي.

عهد يزيد بن عبد الملك:

١ - سفيان بن عمرو العقيلي (١٠١- ١٠٥ هـ).

عهد الوليد بن يزيد (١٢٥- ١٢٦ هـ):

١ - علي بن المهاجر.

٢- المهير بن هلال الخارجي.

٣- عبد الله بن النعمان أحد بني قيس بن ثعلبة بن الدؤل.

خلافة مروان الثاني بن محمد بن مروان :

١ - المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري (١٢٧ - ١٣٢ هـ).

حكام البحرين في العصر العباسي:

أ - في خلافة أبي العباس عبد الله السفاح (١٣٢- ١٣٦ هـ / ٧٤٩- ٧٥٤ م):

١ - داود بن علي عم الخليفة السفاح.

٢ - زياد بن عبد الله بن المدان خال السفاح.

٣ - سليمان عم السفاح.

ب - في خلافة أبي جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨ هـ / ٧٥٤ - ٧٧٥ م):

١ - السري بن عبد الله الهاشمي.

٢ - سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة والياً لليمامة إلى جانب البحرين سنة ١٣٩ هـ.

٣ - قثم بن العباس بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس.

٤ - سليمان بن حكيم العبدي سنة ١٥١ هـ.

٥ - تميم بن سعيد بن دعلج عين في سنة ١٥٧ هـ.

٦ - حمزة الكاتب.

ت - في خلافة محمد المهدي بن المنصور (١٥٨ - ١٦٩ هـ / ٧٧٥- ٧٨٥ م):

١ -عبد الله بن مصعب وسويد القائد الخراساني.

٢ - صالح بن داوود بن محمد (١٦٤- ١٦٥هـ) .

٣- المعلى (١٦٥- ١٦٩هـ).

ث - خلافة الهادي موسى بن محمد (١٦٩ - ١٧٠ هـ/ ٧٨٥- ٧٨٦ م):

١ - محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله.

ج - في خلافة هارون الرشيد بن محمد (١٧٠ - ١٩٤ هـ / ٧٨٦- ٨٠٩ م) :

١ - يبدو أن محمد بن سليمان استمر في الولاية.

ح - خلافة المعتصم أبو إسحق محمد بن هارون الرشيد (٢١٨- ٢٢٧ هـ / ٨٣٣- ٨٤٢ م).

١ - إسحاق بن أبي خميصة.

خلافة المتوكل على الله جعفر بن محمد (٢٣٢- ٢٤٧هـ / ٨٤٧- ٨٦١ م):

١ - محمد بن إسحق بن إبراهيم.

خلافة المعتضد أبي العباس أحمد (٢٧٩- ٢٨٩هـ/ ٨٢٩- ٩٠٢ م):

١ - أحمد بن محمد بن يحيى الواثقي.

٢ - العباس بن عمرو الغنوي.

٣ - عياش بن سعيد من بني محارب يشاركه الولاية العريان بن إبراهيم ابن الزحاف من بني عبد القيس.

ظهورُ الخوارج:

يحدثنا المؤرخون بأن الخوارج بعد هزيمتهم في معركة النهروان، وفناء معظمهم انهزمت فلولهم إلى الصحراء المتاخمة لبلاد اليمامة والبحرين وعُمَان وهناك قويت شوكتهم وكثر أتباعهم، حتى أصبحوا بعد حين ذوي شوكة تقلق مضاجع الإمبراطورية الأموية من جراء الغارات المتتالية التي كانوا يشنونها عليها.

وقد تزعم حركتهم هذه في بادئ الأمر نجدة بن عامر الحنفي إذ سار بمن معه إلى اليمامة، فقام بعدة غارات على المدن الآمنة، فنهبها وأخذ يعترض القوافل التي تمر عبر الصحراء ويسلب ما تحمله من أموال، وقد كثر أتباعه من الأعراب المرتزقة حتى أصبح قوي الشوكة مرهوب الجانب، ففي سنة ٦٧ هـ سار بمجموعة إلى بلاد البحرين، فرحبت به قبيلة الأزد

بدافع من العصبية القبلية إلا بني عبد القيس فإنهم رفضوا مهادنته وقالوا لا ندع نجدة يتولى أمرنا وهو حروري مارق، وأجمعوا أمرهم على قتاله، فهاجم مدينة القطيف، ودارت الدائرة على بني عبد القيس فمنيت جموعهم بهزائم متتالية ووضع السيف في رقابهم، فقتل منهم مقتلة عظيمة ثم دخل مدينة القطيف فاستباحها ونهب أموالها، وفي هذه المناسبة يقول الشاعر الجاهلي حمل بن عبد المعنى العبدي [1] :

نَصَحتُ لعبَدِ القَيسِ يَومَ قَطيفِها	وما خيرُ نصحٍ بعدُ لم يُتقبَّلِ
فَقَد كانَ فِي أهل القَطِيف فَوارسٌ	حُماةٌ إذا مَا الحَربُ شُدّت بِيَذبُلِ

وبعد احتلال مدينة القطيف أقام نجدة فيها، ثم أرسل ابنه المُطَرَّح ليتعقب فلول المنهزمين من عبد القيس فالتقى بهم في موضع يسمى (الثوير) فقاتلهم، فدارت الدائرة عليه فلقي مصرعه هناك، وقتل معه جماعة من أصحابه.

وفي سنة ٦٩هـ استولى مصعب بن الزبير على البصرة فجهز قوة كبيرة تتألف من أربعة عشر ألفاً، وسيرها لقتال نجدة تحت قيادة عبد الله بن عمير الليثي، فهاجم مدينة القطيف على حين غرة وكان بها نجدة، فصده بهجوم معاكس وأوقع بجيشه وقتل منهم عدداً كبيراً وهزمهم هزيمة منكرة، فولوا الأدبار، وغنم نجدة ما في معسكرهم من أسلحة وعتاد .

وبعد هزيمة ابن عمير جهز نجدة جيشاً لاحتلال عمان، بقيادة عطية بن الأسود الحنفي، فهاجمها وقتل حاكمها عباد بن عبد الله واستولى عليها وبقي فيها فترة من الزمن، ثم غادرها واستعمل عليها رجلاً يكنى أبا القاسم، ولكن عمان ما لبثت أن انتفضت فثارت بزعامة سعيد وسليمان ابني حاكمها السابق، فاستعادت استقلالها وأُعدم الوالي.

وفي هذه الفترة قام نجدة بجولة في البوادي لجباية الصدقات، فامتنع عليه بنو تميم بكاظمة وقاتلوه، ثم تركهم وسار إلى اليمن فخافه أهل صنعاء فاستسلموا له وجبى منهم

---

(١) طالما استشهد بهاذين البيتين كثير من دارسي الأدب وكذلك المؤرخون وانظر على سبيل المثال : الخليج العربي بحر الأساطير ص ١٠ ، وهو ينقل عن المسلم أيضاً .

الصدقات، ثم بعث أبا فديك إلى حضرموت فجبى الزكوات من أهاليها.

وفي العام نفسه، أي سنة ٦٩ هـ قصد مكة المكرمة في موسم الحج، فهادنه ابن الزبير، واتفق معه على أن يكف كل منهما عن الآخر حتى ينتهي الموسم وأن يؤم كل منهما أصحابه في الصلاة عند إقامة مراسم الحج، ثم توجه بعد ذلك إلى المدينة المنورة، فاستعد أهلها لقتاله وحملوا السلاح، وكان من بينهم عبد الله بن عمر وكبار الصحابة، فلما علم نجدة بأمرهم رجع أدراجه ويمم الطائف فاحتلها، فخرج للقائه عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي وصالحه، فولى رجلاً يسمى الحاروق من قبله على الطائف وقبالة السراة، وولى سعد الطلائع على نجران ثم قفل عائداً إلى بلاد البحرين.

ويحدثنا ابن الأثير بأن نجدة بعد رجوعه إلى البحرين عمد إلى مقاطعة الحجاز اقتصادياً، فقام بقطع الميرة عن أهل الحرمين نكاية بهم، فكتب إليه عبد الله بن عباس يستعطفه ويناظره، ويذكره بقصة ثمامة بن أثال حين قطع الميرة عن المشركين من أهل مكة لمناوأتهم للرسول (ﷺ)، فما كان من النبي (ﷺ) إلا أن كتب إلى ثمامة « إن أهل مكة أهل الله وأهل حُرَمه فلا تمنعهم الميرة » فجعلها لهم، ثم عقب قائلاً: وأنت قطعت عنا الميرة ونحن مسلمون، فارتدع نجدة عن عمله وعدل عن رأيه حيث عادت الأمور إلى مجراها الطبيعي[1].

وكان للتشدد في الرأي الذي اتسم به مذهب الخوارج أثر بيّن في بروز جبهات المعارضة، فقد نجمت بعض الخلافات بين نجدة وكبار قومه، فمنها أن أبا سنان بن حيان بن وائل طلب من نجدة إعدام من أجابه تقيّة، فرفض، ولما شتمه، هَمَّ أبو سنان بالفتك به، كما خرج عليه عطية بن الأسود لأشياء نقمها عليه، فسار إلى عمان فيمن تبعه في رأيه، وأسلموا قيادتهم لأبي فديك عبد الله بن ثور أحد بني قيس بن ثعلبة، وقد قوي أمر أبي فديك فتتبع نجدة وألح في طلبه حيث اختفى في قرية من قرى هجر، وفي سنة ٧٢هـ عثروا عليه فقتلوه وعلى

---

(١) ساحل الذهب الأسود، ص ١٣٠.

الرغم من أن قتله أسخط بعضاً منهم إلا أنه خلص أبا فديك من أخطر منافس له في زعامة الخوارج.

ويذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٧٣هـ أن عبد الملك بن مروان اهتم بأمر الخوارج وسيطرتهم على بلاد البحرين، فندب الناس إلى قتال أبي فديك، فجهز جيشاً يضم عشرة آلاف مقاتل، وسيّره إلى البحرين، وهناك اشتبكوا مع قوات أبي فديك في معركة عنيفة، كانت فيها بوادر النصر للخوارج، إلا أن تفاني الجيش الأموي واستماتته في القتال أدى إلى انتصاره آخر الأمر، فهجم على معسكر الخوارج ومزقه شر ممزق، وأسفرت المعركة عن مصرع أبي فديك وهزيمة أصحابه حيث لجؤوا إلى حصن المشقّر، وهناك طوقهم الجيش الأموي وشدد عليهم الحصار حتى أذعنوا للتسليم، فقتل منهم ستة آلاف وأسر ثمانمئة، وبهذا انتهى سلطان الخوارج الذي دام ثلاثين عاماً، وبهذا تم للأمويين أمر الاستيلاء على البحرين حيث ولّى عليها عبد الملك بن مروان الأشعث بن عبد الله الجارود العبدي [١].

وقد تتبع عبد الملك بن مروان رجالات الشيعة بعد أن سيطر على بلاد البحرين فقتل خيار البلد، وحمل الباقي على مفارقة التشيع، ولما فشلت خططه عمد إلى محاربتهم اقتصادياً، فدفن عيوناً كثيرة حيث ردمها بالصخور الضخمة ليقضي على زراعتهم وموارد رزقهم.

في سنة ٨٥ هـ ثار الخوارج الذين كانوا مشتتين في عمان والبحرين واليمامة بعد أن تجمعوا تحت قيادة مسعود بن أبي زينب العبدي، فاستعادوا نفوذهم على بلاد الساحل كافة إلى سنة ١٠٥ هـ. حيث سولت لهم أنفسهم أن في إمكانهم توسيع رقعتهم ومد سلطانهم فقاموا بغزو اليمامة التي كان يتولى حكمها سفيان بن عمرو العقيلي من قبل الخلافة الأموية، فأخذ عدته وجهز جيشاً لملاقاة الغزاة، والتقى الجيشان بمكان يدعى (الخضرمة) باليمامة، وكانت معركة حاسمة انتهت بقتل مسعود وتشتت أصحابه.

---

(١) ساحل الذهب الأسود، ص ١١٢ و ١٣١، وانظر أيضا: تاريخ الأمم والملوك، ج ٣، ص ٢٥٢.

وبهذا عادت البحرين إلى الحكم الأموي وضمت إلى سفيان العقيلي الذي كان والياً على اليمامة[1] .

وفي أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك كان والي اليمامة والبحرين سفيان ابن عمرو العقيلي الذي كان تابعاً لولاية العراق، وخاضعاً لنفوذ يوسف بن عمر الثقفي الذي عزله وولى علي بن المهاجر، الذي اتخذ له مقراً بهجر، فلما قتل الوليد سنة ١٢٦ هـ ثار المهير بن هلال بن أبي سلمى ضد علي بن المهاجر طالباً منه أن يترك البلاد ليختاروا أميراً من بينهم يوافق عليه الخليفة لكنه أبى، فخرج المهير لقتاله فاقتتل الفريقان فلحقت الهزيمة بجيش ابن المهاجر الذي هرب إلى المدينة، وأصبح المهير والياً على البحرين، فلما مات آلت الولاية إلى عبد الله بن النعمان أحد بني قيس بن ثعلبة، وبقي والياً عليها حتى قدم المثنى بن يزيد بن هبيرة الفزاري والياً من قبل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية حتى قتل سنة ١٣٢ هـ، وبذلك طويت صفحة بني أمية وفتحت صفحات جديدة في سفر التاريخ.

في سنة ١٥١ هـ خرج من طاعة الدولة العباسية سليمان بن حكيم العبدي، وتحصن بهجر محاولاً الانفصال عن الدولة، وجمع حواليه الأعراب من عبد القيس وتميم والأزد فكون جيشاً أخذ يغير به على القرى والمدن فينهب ويقتل دون أن يتمكن من إقامة دولة، أو أن يرسي قواعد حكم ثابت، ذلك لأن هذه المنطقة البعيدة عن مقر الخلافة التي اتسعت رقعتها أصبحت هي وغيرها مجرد ولايات يجبى منها الخراج، فأراد سليمان بن حكيم بمحاولته تلك أن يستقل بهذا الجزء إلا أن الطريقة البدائية التي اتبعها والنظام العشائري الذي كان يسود قواته لم يمكنه من عمل شيء مما كان يفكر فيه، وكانت الدولة العباسية في أوج مجدها آنذاك، فبعث إليه أبو جعفر المنصور جيشاً كثيفاً بقيادة عقبة بن مسلم الذي التقى بسليمان بن حكيم العبدي فقتله بعد أن فرق جنده وسبى أهل البحرين، ثم أنفذ السبي والأسرى إلى المنصور الذي قتل بعضهم ووهب الباقين للمهدي فأطلقهم

---

(١) صفحات من تاريخ الأحساء، ص ٢٠٧ .

وكساهم [1].

وقد أشار ابن الأثير إلى أنه في سنة ٢٤٩هـ قدم من سامراء إلى هجر رجل ادعى أنه علي بن محمد بن الفضل بن محمد بن الحسين بن عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب ودعا الناس إلى مذهبه الذي كان ظاهره التشيع، فلقيت دعوته إقبالا وتأييداً فدخل في طاعته خلق كثير من أهل البحرين ومن البوادي، فجبوا له الخراج ونفذ فيهم حكمه وقاتلوا أصحاب السلطان بسببه، لكنه لما أعلن مذهبه وهو سب معاوية أنكر السنة، وعندما سب علياً أنكر الشيعة، فانقسم أصحابه إلى حزبين فتقاتلا حتى وتر منهم جماعة تنكروا له فانتقل عنهم ونزل على قوم من بني سعد من تميم يقال لهم بنو شماس، وأقام فيهم وفي صحبته جماعة من أهل البحرين منهم يحيى بن محمد الأزرق البحراني وسليمان بن جامع، قائد جيشه، وأخذ يتنقل في البادية ويدعوهم إلى الانضمام إليه حتى اجتمع له خلق كثير أغار بهم على بيوت من البدو في مكان يقال له (الروم) فهزم هو وأصحابه، وقتل من أصحابه جماعة مما جعل الأعراب يتفرقون عنه، فسار إلى البصرة ونزل في بني ربيعة، فانفض عنه جماعة كثيرة منهم علي بن إبان المهلبي، وكان ذلك سنة ٢٥٤ هـ وكان حاكم البصرة محمد بن رجاء الحضاري الذي ذهب للقبض عليه فهرب وتتبعه الحضاري حتى قبض على بعض أتباعه ومنهم زوجته وابنه وجاريته.

لكنه عاد بعد سنة إلى البصرة ونزل بقصر القدسي على نهر المنجم فأخذ يدعو المماليك للتحرر من الرق والعبودية، فاجتمع عنده منهم خلق كثير العدد، فلما أتاه سادتهم لإعادتهم إلى الرق تفاوضوا معه على أن يدفعوا له عن كل رأس خمسة دنانير، فلم يقبل، ولكنه أمر أن يقوم كل عبد بضرب مولاه خمسمئة سوط.

وقد استثمر هذه الدعوة استثماراً حربياً بعد أن جمع حواليه الألوف المؤلفة من الرقيق حتى وجد أنه قادر على أن يقوم بعمل حربي له قيمته، فأغار على البصرة سنة ٢٥٧هـ

---

(١) تحفة المستفيد، ج ١، ص ٨٠ .

فدخلها واستباحها وقتل من أهلها خلقاً كثيراً وأحرق مبانيها بما فيها الجامع، حتى زرع الخوف والرعب في جنوب العراق.

وكانت الدولة العباسية في حالة من الارتباك في عهد المهتدي الذي خلع سنة ٢٥٦هـ وكان قد خلع قبله اثنان من الخلفاء [١] ،مما أدى إلى تفكك الدولة وإعطاء صاحب الزنج وغيره من المغامرين فرصة المخاطرة، إلا أن المعتمد أحمد بن المتوكل الذي آلت إليه الخلافة بعد المهتدي رأى أن التهاون مع هؤلاء الخارجين على الدولة سيمحو أثرها ويقضي عليها، فعقد لواء القيادة لأخيه (أبي أحمد) الذي هب لمنازلة هؤلاء وفي مقدمتهم صاحب الزنج الذي وقف معه عدة مواقف عنيفة انتهت بانتصار جند الخلافة وقتل صاحب الزنج سنة ٢٧٠ هـ [٢].

القرامطة:

ظلت البحرين ومنها منطقة القطيف خلال فترة الحكم العباسي مجرد إقليم تابع للدولة تجبى منه الضرائب لتزويد الخزينة العامة بالأموال دون اهتمام بحالة الشعب الذي كان يعاني من الظلم والإرهاب على أيدي الولاة، وقد تشجع دعاة القرامطة وأتيحت لهم فرصة التسلل إلى المجتمع في البحرين عامة (القطيف وهجر وأوال) للتبشير بقيام دولة تخلص الناس من هؤلاء الولاة الذين كان جل همهم جباية الأموال.

وقد استطاع أبو سعيد الجنابي بما له من نفوذ ومن علاقات اجتماعية وإدارية – حينما كان جابياً للمكوس – كما جاء في بعض الكتب [٣] أن يتخذ من الدعوة الإسماعيلية التي كانت منتشرة آنذاك في جميع أنحاء الدولة الإسلامية شعاراً للوصول إلى ما يرمي إليه وهو

---

(١) الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ٣٤٦.

(٢) ساحل الذهب الأسود ص ١١٥، وانظر ايضا تحفة المستفيد ج ١، ص ٨٢ وصفحات من تاريخ الاحساء ص٢٠٩

(٣) الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ٣٤٨.

الانفصال عن جسم الدولة العباسية وتأسيس حكومة مستقلة تتوافر لها جميع الإمكانات الاقتصادية والمواقع الاستراتيجية، ولاسيّما وأن الظروف السياسية كانت مهيأة لقيام هذه الدولة، وقد أشار بعضهم إلى أن أبا سعيد الجنابي كان يتاجر في الأطعمة (١).

لذلك لم يتوان منذ أن أحس باستجابة بعض القبائل من الأعراب للدعوة الإسماعيلية من الحضور إلى القطيف واتخاذ مدينة الخط قاعدة له بعد أن رتب أموره بمساعدة القبائل المحيطة بالبلاد، واتخذ من زعماء القبائل هذه أعواناً له - كآل سنبر- الذين أصبحوا وزراء له ولأبنائه من بعده.

ووجه اهتمامه في البداية لبناء قاعدته الشعبية في الداخل، بينما هرب الكثير من السكان إلى البصرة وانتظموا في جيش الغنوي لقتاله، لأنه يعلم أن الحكومة المركزية في بغداد في حالة لا تسمح لها بالوصول إليه قبل مدة طويلة استغلها في تكوين كيان قوي، فحصن البلاد وبنى الأسوار وجلب السلاح من فارس والهند، عند ذلك أعلن قيام دولته بمهاجمة البصرة سنة ٢٨٦ هـ فلما لم يجد المقاومة التي كان يخشاها عاد إلى مقر دولته وانصرف إلى تقوية مركزه، فكان أول عمل قام به هو القضاء على زعماء عبد القيس وإحراق عاصمتهم الزارة (٢).

ثم قام بغزو البصرة ونهبها ، فلما تيقن الخليفة العباسي من صحة ما ورد إليه من الأخبار ورأى أن قيام أبي سعيد بغزو أطراف الدولة أصبح واقعاً كان لابد من منازلته، فولى البحرين واليمامة أحد قواده (العباس بن عمرو الغنوي) الذي سار على رأس جيش يدعمه ٢٠٠٠٠ من المتطوعين، فلما التقى جيش أبي سعيد انسحب المتطوعون وهم بنو ضبة وأهل البصرة، فلما التقوا انهزم الجيش العباسي وأسر قائده (العباس بن عمرو الغنوي)، فلما انتهت

(١) تحفة المستفيد ، ق ١ ، ص ٨٤ .

(٢) صفحات من تاريخ الأحساء ص ٢١١ والزارة هي أحد الأحياء في مدينة العوامية للشمال من القطيف ، وقد كانت الزارة عاصمة في ذلك العهد .

المعركة جهز أبو سعيد أسيره العباسي وبعثه إلى البصرة وقال له (أخبر الخليفة بما رأيت) .

وكانت هذه الواقعة وما حققه أبو سعيد خلالها من مكاسب مادية ومعنوية حافزاً له على الاستيلاء على هجر، فسار إليها سنة ٢٨٧ هـ فلما وصل إلى هجر أرسل إلى الرؤساء والأعيان والعلماء للتشاور معهم في أمر إصلاح البلاد، فلما اجتمعوا لديه أحرق المكان الذي اجتمعوا فيه وأمر خدامه بأن يقفوا بالسيوف لتلقف كل من يحاول الهروب من الحرق .

وقد أشار إلى ذلك ابن المقرب بقوله :

وحرّقوا عَبدَ قَيسٍ في مَنَازِلِهَا وصَيَّروا الغرّ من سَادَاتها حُمَمَا

وبذلك استتب له الأمر، فاستولى على جميع أنحاء القطيف وهجر حتى قتل سنة ٣٠١هـ على يدي غلامين صقلبيين غنمهما من بدر المحلى [١] .

سعيد بن الحسين ٣٠١ - ٣١٠ هـ

كان أبو سعيد قد عهد بالأمر قبل اغتياله لابنه سعيد الذي آل إليه الأمر سنة ٣٠١هـ وكان ضعيفاً، وقد استمر في الحكم إلى سنة ٣١٠ هـ فثار به أخوه سليمان ونفاه إلى أوال واستولى على السلطة مكانه، وقيل إنه قتله وبايعته العقدانية مكان أخيه سعيد .

سليمان بن الحسين ٣١٠ - ٣٣٢ هـ

قفز إلى سدة الحكم، وكان أول عمل له أن احتل البصرة واستباح الكوفة وسارت عساكره إلى الشام وعمان، عندما قوي أمره ورأى عجز الدولة العباسية عن تحديه وإيقافه عند حده .[٢]

ويسهب سامي العياش في الحديث عن أعمال أبي طاهر هذا فيقول :

---

(١) ساحل الذهب الأسود ، ص ٢٠ و ٨٣ .

(٢) الكامل في التاريخ ، ج ٥ ، ص ٣٥٥ .

« ففي سنة ٣١١ هـ تعرض أبو طاهر الجنابي والقرامطة لقوافل الحجاج، وفي سنة ٣١٢ هـ ترك الحجاج جمالهم وفروا إلى الكوفة فتبعهم الجنابي وجماعته وهزم عسكر الخليفة البالغ عددهم سبعة آلاف رجل، وأسر أحد قادته وفر الباقون واحتل الكوفة وأخذ ما في أسواقها، وقد أقام أبو طاهر فيها ستة أيام يقيم في مسجدها حتى الليل ثم يبيت في معسكره، وقد بطل الحج هذا العام ».

وقام قرامطة البحرين بغزو مكة سنة ٣١٧ هـ[1] في موسم الحج، وكان الناس محرمين فقتلوا منهم العديد في المسجد الحرام وهم متعلقون بأستار الكعبة واقتلعوا الحجر الأسود وجردوا الكعبة من كسوتها، وأخذوا جميع ما فيها من الآثار والزينات الثمينة ورموا جثث القتلى في بئر زمزم وقائلهم يقول :

أَنَا بِاللَّهِ وبِاللَّهِ أَنَا ... يَخلُقُ الخَلقَ وَأُفنِيهُم أَنَا

وقد وزع الكسوة على أصحابه وحمل الحجر الأسود إلى هجر، فلما بلغت تلك الأعمال المهدي كتب إلى أبي طاهر يوبخه ويستنكر أفعاله ويأمره برد الحجر إلى مكانه والأموال إلى أصحابها سوى ما استهلكه أصحابه، وفى هذه السنة بنى مدينته (المأمونية) ثم عدل عن هذه التسمية وسماها (الأحساء)[2] وقد مات سليمان سنة ٣٣٢ هـ .

أحمد بن الحسين ٣٣٢ هـ :

اختلف القرامطة بعد وفاة أبي طاهر، فمنهم من مال إلى تولية أحمد بن الحسين ومنهم من رأى تولية سابور بن سليمان، فلما رأى العقدانية انقسام الرأي كتبوا إلى القائم بأمر الله الفاطمي في ذلك فجاء الجواب بتولية أحمد ابن الحسين وأن يكون سابور ولياً للعهد .

فتولى أحمد ويكنى بـ (أبي منصور) واستمر في قيادة الدولة، ورد الحجر الأسود إلى موضعه سنة ٣٣٩ هـ، وقد طالت مدته حتى سئم سابور الانتظار فثار بعمه وقبض عليه

---

(١) تحفة المستفيد ، ق ١ ، ص ٨٥ .

(٢) صفحات من تاريخ الأحساء ص ٢١٤ و ٢١٥ .

وأودعه السجن سنة ٣٥٨ هـ إلا أن أنصار أبي منصور وإخوته ثاروا على سابور وقتلوه وأطلقوا سراح عمه أبي منصور الذي استمر في الحكم إلى أن مات سنة ٣٥٩هـ.

الحسن بن أحمد (الأعصم) ٣٥٩ هـ:

تولى بعد وفاة والده، فصرف جزءاً من وقته لترتيب الشؤون الداخلية والتخلص من أبناء عمه أبي طاهر، ثم لما صفا له الجو قرر غزو الشام سنة ٣٦٢ هـ واستولى على دمشق بعد أن قتل حاكمها جعفر بن فلاح، ثم قرر غزو مصر فغزاها سنة ٣٦٣ هـ ونزل بمشتول الطواحين وحاصر القاهرة شهوراً جرت بينه وبين جيوش المعز عدة وقائع، وفي أثناء حصاره القاهرة علم أن الأمور انعكست عليه إذ قرر العقدانية طرد أبناء الحسين وإخراج الأمر من أيديهم فعاد وعندما وصل إلى الرملة بفلسطين مات سنة ٣٦٦هـ.

وعلى أثر موت الأعصم ثار أهل البحرين على أسرة أبي سعيد وأنكروا عليهم خطبتهم وولاءهم لبني العباس، واتفقت كلمتهم على إخراج الأمر منهم فنفوهم بأجمعهم إلى جزيرة أوال، وأسندوا مهام سياسة الدولة لرجلين منهم هما إسحاق وجعفر الهجريان يعاونهما ستة أشخاص أطلقوا عليهم اسم (السادة)، ثم أعلنوا ولاءهم للفاطميين في مصر، واستبدلوا شعارات الدولة العباسية بشعارات الدولة الفاطمية.

وقد استاء صمصام الدولة لهذا الاتجاه المعادي فألقى القبض على ممثل القرامطة في بغداد (أبو بكر بن شاهويه) الذي كان له نفوذ واسع، فاستاء القرامطة لهذا الإجراء الذي اتخذه ضدهم صمصام الدولة مما حدا بإسحاق وجعفر الزعيمين الهجريين أن يقودا حملة كبيرة سنة٣٧٥ هـ واتجها بها نحو الكوفة واستوليا عليها وخطبا لشرف الدولة البويهي نكاية بأخيه صمصام الدولة، فكتب لهما هذا الأخير يستلطفهما ويستفسر عن الأسباب التي دعتهما للقيام بهذه الحركة فأجاباه باحتجاج صارخ اللهجة على الإجراء الذي اتخذه ضدهم في القبض على نائبهم فتوترت العلاقات فيما بينهم، فسير صمصام الدولة جيشاً لمقاتلتهم فاشتبكوا في معركة عنيفة أسفرت عن انهزام القرامطة وأسر عدد من قادتهم وفي مقدمتهم أبو قيس الحسن بن المنذر فأعدموا، ولكن القرامطة عادوا كرة ثانية وجهزوا جيشاً

آخر كثيف العدد فكان نصيبه مثل سابقه حيث عادت فلوله إلى بلاد الأحساء [١].

وكانت هذه المعركة الأخيرة هي الحد الفاصل في تاريخهم المليء بالأحداث والمغامرات، فمنذ ذلك الحين لم يغز لهم جيش خارج حدود دولتهم، فانكسرت شوكتهم حتى اجترأ عليهم أعداؤهم فغزوهم في عقر دارهم، وساعد على ذلك تأزم الخلاف بين رئيسيهما اسحق وجعفر إذ طمع كل منهما في الانفراد بالحكم فتفرقت كلمتهم في الفترة التي أشرفت فيها دولتهم على الاحتضار. [٢]

ويحدثنا التاريخ ان آل بويه ألبّوا عليهم رجلاً قوي الشكيمة من قبيلة المنتفق يسمى الأحيفر، فحشد معه جمعاً كثيراً وسار بهم سنة ٣٧٨ هـ إلى بلاد البحرين، فخرج القرامطة للقائه والتحموا معه في معركة طاحنة أسفرت عن قتل رئيسهم وفناء معظمهم وأسر عدد كبير منهم وفرار فلولهم حيث اعتصموا بالأحساء فحاصرها الأحيفر مدة بعد أن استولى على حصونها ولما يئس من فتحها زحف على القطيف فصادر جميع ما كان للقرامطة من الأموال والمواشي والعبيد ثم عاد أدراجه إلى البصرة.

استيلاء بني ثعلب وبني عقيل:

عندما ضعف أمر القرامطة بالبحرين طمعت في ملكهم بعض القبائل التي كانوا يعتمدون عليها ويستخدمونها في حروبهم، ويستنجدونها ضد أعدائهم، وأشهر هذه القبائل بنو ثعلب وبنو عقيل وبنو سليم، إلا أن بني ثعلب كانوا أقوى شكيمة وأكثر عدداً فتحالفوا مع بني مكرم رؤساء عمان ضد القرامطة، ففي سنة ٣٩٨ هـ زحف الأصغر بن أبي الحسن الثعلبي زعيم بني ثعلب على الأحساء فاستولى عليها وخطب للخليفة العباسي، ويحدثنا ابن خلدون أن بني ثعلب ضاقوا ذرعاً ببني سليم أخيراً، فاستعانوا عليهم ببني عقيل فأجلوهم عن أراضي البحرين حيث نزحوا إلى مصر ومنها إلى المغرب ثم ما لبث بنو

---

(١) تحفة المستفيد، ق ١، ص ٩٨.

(٢) صفحات من تاريخ الاحساء، ص ٢١٦.

ثعلب أن اختلفوا أيضاً مع قبيلة بني عقيل فأجلوها هي الأخرى إلى العراق [١] وصفا الجو لبني ثعلب حيث أسسوا دولة على أنقاض دولة القرامطة ظلت متوارثة في أعقاب الأصغر الثعلبي [٢] .

أما بنو عقيل فحين نزحوا إلى العراق استولوا على الكوفة وأخضعوا لنفوذهم عدداً من البلدان الراقية إلا أن الأصغر الثعلبي طمع في ملك بني عقيل بالعراق فسار إليهم وحاربهم برأس عين التمر واستولى على مناطق نفوذهم وأخضع الجزيرة والموصل سنة ٤٣٨ هـ، ولكنه اصطدم أخيراً بنصير الدولة ابن مروان صاحب ميافارقين وديار بكر، فألب عليه الولاة من كل حدب وصوب فهزم جموعه واعتقله ثم أطلقه حيث عاد أدراجه إلى بلاد البحرين [٣]

ولبث بنو عقيل فترة من الزمن يسيطرون على الجزيرة بالعراق حتى قامت الدولة السلجوقية في منتصف القرن الخامس فسيطرت على الأراضي العراقية فتلاشى نفوذهم وغادروا العراق وتحولوا عنها إلى بلاد البحرين مواطنهم الأولى فوجدوا دولة بني ثعلب قد أدركها الهرم فاستولوا عليها .

ولقد ذكر ابن خلدون أن دولة بني عقيل استمرت إلى أن ثار بهم عبد الله بن علي العيوني، وأن بني ثعلب من جملة رعاياهم وأن حكام الأحساء سنة ٦٥١ هـ هم بنو عصفور من بني عقيل [٤]

---

(١) الكامل في التاريخ ، ج ٧ ، ص ١٢٦ و ١٣٦ .

(٢) كتاب البحرين ، ص ٥٣ .

(٣) ساحل الذهب الأسود ، ص ٣٣ .

(٤) صفحات من تاريخ الأحساء ص ٢١٧ و ٢١٨ .

أبو البهلول وابن العياش :

وما إن انتصف القرن الخامس الهجري (في حدود سنة ٤٦٦ هـ) حتى نشبت الثورات في أرجاء البحرين وبرزت الحركات الانفصالية، حتى بسط أبو البهلول العوام بن محمد بن يوسف الزجاج نفوذه على جزيرة أوال وسيطر يحيى بن العياش على القطيف.

وكان أول من فكر في الانفصال أبو البهلول الذي كان ضامناً لمكوس جزيرة أوال، فمهد بالاشتراك مع أخويه مسلم وجعفر لنجاح خطتهم بأن طلبوا في بادئ الأمر من واليها جعفر ابن أبي محمد ابن عرهم أن يأذن لهم في إنشاء جامع تقام فيه صلاة الجمعة يكون بمثابة ندوة يجتمع فيها الغرباء والمسافرون لتشجيع الحركة التجارية، فكتب ابن عرهم لأولي الأمر يستأذنهم فوافقوا، وبعد افتتاح الجامع مباشرة صعد أبو الوليد مسلم أخو العوام المنبر وكان خطيباً مفوهاً، فخطب للخليفة العباسي القائم بأمر الله، وقد اعتبروها خدعة فاستنكروا عمله وطالبوا بمنعه، غير أن الجواب جاء بأن يعطوا حريتهم وأن لا يعترضوا في مذهبهم، إلا أنهم اعترضوا أبا البهلول وأتباعه، وقالوا لمسلم إن من تخطب له في بغداد دالت دولته، وتحولت الخطبة للخليفة الفاطمي في مصر، ولكن العوام تحول فجأة ومضى يوطد العلاقات الطيبة بينه وبين سادة البلاد ويبعث لهم الهدايا حتى أصبح له نفوذ واسع، فطمع في حكم الجزيرة فأخذ يعكر الجو في وجه الوالي ابن عرهم ويثير الاضطراب حوله ويضعف من مركزه، وأخيراً وشى به إلى السلطات العليا حتى عزلوه ظناً منه أنهم يستبدلونه محله فيسندوا إليه ولاية الجزيرة، فلما بعثوا بوال جديد لولايتها ولقمع حركة العصيان خاب أمله، فجمع عشيرته وأتباعه واتصل بابن العريان – وهو من كبار الزعماء ورؤساء العشائر– وتآمر معه على قلب نظام الحكم [1].

وحين أحس الوالي الجديد بحركتهما اعتزم القبض عليهما، ولكنهما فاجآه بالثورة، فاضطر للهرب، فكتب أبو البهلول مرة ثانية إلى سادة البلاد يساومهم في إعادة ابن عرهم أو

---

(١) ساحل الذهب الأسود، ص ١٥٦ و ١٥٧ .

الاستمرار في إعلان العصيان، فجاء الرد قاسياً إذ بعث الوزير عبد الله بن سنبر أحد أولاده إلى عمان لجلب السلاح لقمع حركة التمرد وإخضاعه ولكن أبا البهلول وابن أبي العريان كمنا لابنه في الطريق فقتلاه واستوليا على السلاح [1] .

وقد عز على ابن سنبر وقوع هذا الحادث، فعمد إلى مكاتبة ابن العريان سراً ووعده بولاية جزيرة أوال حتى استماله فاتفق معه على اغتيال أبي البهلول، غير أن أبا البهلول علم بما يدبر له في الخفاء فبادر إلى اغتيال ابن أبي العريان، ومن سوء الطالع أن عبد الله بن سنبر أبحر على حين غرة ولم يعلم بما حدث لابن أبي العريان في أسطول يتألف من مئة وثمانين قطعة يقل جيشاً من بني عامر وخمسمئة فرس لتنفيذ خطة اتفق عليها، ولكن أبا البهلول فاجأهم في عرض البحر وتصدى لهم بأسطول يتالف من مئة قطعة وأوعز إلى جنوده بضرب الأبواق والدبادب فنفرت الخيل من السفن وأغرق معظمها حتى اضطر ابن سنبر إلى الهرب بعد أن هلك معظم رجاله غرقاً واستولى أبو البهلول على ما بقي منها وسلم الباقون، وبذلك استتب له الأمر في جزيرة أوال.

الدولة العيونية:

ليس من السهل البحث في تاريخ الدولة العيونية التي قامت بالأحساء منذ عام ٤٦٦هـ حتى ٦٣٦ هـ، إذ ليس هناك من المراجع ما يمكن الركون إليه سوى ديوان علي بن مقرب العيوني.

وتأتي أهمية ديوان ابن مقرب في هذا البحث لكونه أحد أفراد العائلة الحاكمة، حيث عاصر عدداً من حكامها، ورأى وسمع الكثير من أحداثها، وبذلك يكون هو المرجع الوحيد المهم في تاريخ هذه الحقبة، إلا أن هناك بعضاًمن الشروحات والهوامش والإشارات التي ترد في كتب التاريخ المؤلفة في القرن السادس وما بعده تشير إلى أن العيونيين فخذ من قبيلة عبد القيس، وقد أطلقت عليهم هذه التسمية نسبة إلى مدينة العيون.

---

(١) صفحات من تاريخ الإحساء، ص ٢١٩ .

ويطلق على العيونيين اسم (آل إبراهيم) [1] نسبة إلى مؤسس الدولة العيونية عبد الله ابن محمد بن إبراهيم.

وقد بدأت حركة عبد الله بن علي ضد القرامطة بعد أن تقلص نفوذهم وتفتتت دولتهم وأصبح سلطانهم لا يتعدى حدود الأحساء، وكان للعيونيين آنذاك قوة ومنعة ونفوذ حيث ذكر أن بشر بن مفلح العيوني كان قائداً للجيش القرمطي الذي هاجم (أوال) بعد ثورة أبي البهلول، فلما رأى عبد الله بن علي ضعف المتولين على هذه البلاد بعد القرامطة وتطاحنهم وفساد سياستهم وسوء تدبيرهم كتب إلى الخليفة العباسي القائم بأمر الله (أبي جعفر) والسلطان جلال الدولة أبو الفتح ملكشاه بن السلطان ألب أرسلان ووزيره نظام الملك يطلب المساعدة على حرب من أسماهم القرامطة وإنهاء نفوذهم، فأمدوه بجيش عدده سبعة آلاف مقاتل تحت قيادة أكسك سالار (أرتق) التركماني المتوفى سنة ٤٨٤ هـ الذي توجه إلى الأحساء ماراً بالبصرة ثم القطيف حيث هاجم (ابن العياش) الذي هرب إلى جزيرة أوال فاحتل القطيف وتوجه إلى الأحساء إلا أن سكانها عندما علموا بقدوم الجيش تحصنوا داخل الأسوار فحاصرهم الجيش العباسي والعيونيون [2].

إلا أن الحصار طال أمده على سكان الأحساء فبعثوا إلى أكسك سالار بطلب الصلح مقابل مال يدفعونه فقبل هذا العرض على أن يسلموا له عدداً من رجالهم كرهينة يقال إن عددهم ثلاثة عشر رجلاً، إلا أن القرامطة استغلوا فترة الصلح لجمع الأطعمة والسلاح والمؤونة لمواصلة القتال فنقضوا الصلح مما جعل القائد السلجوقي يقتل الرهائن ويشد الحصار عليهم، ولكن مدة الحصار طالت على الجيش المحاصر الذي أصبح يعاني من حرارة الصيف والأوبئة وقلة الأطعمة، فشكا لعبد الله بن علي متاعبه ومتاعب الجيش فقال له «دع معي مئتي جندي وعد إلى بلدك..» فترك له ذلك العدد من الجنود تحت إمرة أخيه (البكوش)

---

(١) آل إبراهيم اليوم كثيرون منهم العيونيون والنجديون من أصلاب متفرقة ومنهم آل إبراهيم الشمريون في مناطق القطيف والأحساء.

(٢) صفحات من تاريخ الأحساء ص ٢٢٠، وانظر أيضاً: أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء ص ٥٧.

وانسحب القائد بجنوده صوب العراق، مما أطمع القرامطة في ذلك العدد الصغير واتفقوا مع القبائل البدوية على مهاجمة عبد الله بن علي، فخرجوا من حصونهم في الموعد المضروب وانضمت إليهم قبائل بني عامر فاشتبكوا مع العيونيين في معركة ضارية بين قرية (العمران) وبحيرة الأصفر فيما يعرف بـ (الرحلين) فتمكن عبد الله من هزيمتهم واحتلال حصونهم.

إلا أن العياش بعد انسحاب الجيش العباسي عاد إلى احتلال القطيف وطمع في احتلال الأحساء، فسار إليها حيث نزل بمكان يقال له (ناظرة) قرب قرية المقدام بمنطقة الكلابية، فبرز له عبد الله بن علي بجيشه ودارت معركة كانت الهزيمة فيها على ابن العياش الذي هرب إلى أوال، فزحف عبد الله بن علي إلى القطيف واحتلها وبعث جيشاً بقيادة ابنه الفضل بن عبد الله إلى أوال، فاحتلها وهرب منها ابن العياش إلى العقير حيث التقى بجيش العيونيين في معركة قتل فيها ابن العياش [1].

وقد سجل الشاعر علي بن المقرب تلك الأحداث في قصيدة طويلة منها قوله:

ولم يُنَجَّ ابن عياش بمهجته ... يم إذا مايَراه النَاظِرَ ارتَسَمَا
أَتَى مُغيراً فوافى جوٌ (ناظرةٍ) ... فعاينَ الموت منّا دُونَ مازَعَمَا
فراح يَطْردُ طَرْدَ الوحش لَيس يرى ... حَبلَ السَّلامةِ إلا السَّوطَ والقَدَمَا
فانصَاعَ نحَو أوالٍ يبتَغِي عِصَماً ... إذْ لَم يَجدْ في نَواحِي الخطِّ مُعتصَمَا
فأقْحم البحرَ منّا خلفَه ملِكٌ ... مازالَ مُذ كَانَ للأَهْوالِ مقتحمَا

وهي الأبيات من ٩٠–٩٤ من قصيدة يفتخر بآبائه وأهل بيته [2]

وبعد أن تمت لعبد الله السيطرة على كل من الأحساء والقطيف وأوال عاد أدراجه إلى الأحساء، فقطع ما كان يدفع لشيوخ القبائل من أموال أيام القرامطة، فغضبوا، وتنادوا

---

(١) تحفة المستفيد ص ١٠١ و ١٠٢ . وساحل الذهب الأسود ، ص ١٣٦ .

(٢) انظر ديوان ابن المقرب ، ص ٥٢٦ و ص ٥٣٨ و ٥٣٩ .

وأجمعوا على حربه، وفي مقدمتهم (بنو عامر) فأقبلوا إلى الأحساء يسوقون أمامهم الإبل التي ساقوها على الجيش العيوني لدهسه إلا أن عبد الله بن علي استعمل الطبول والصاجات ففرت الإبل وهربت على أعقابها وارتدت على أصحابها فتحقق له النصر والظفر.

وقد حاول البكوش ومن معه من الجند أن يفرض سيطرته على عبد الله بن علي وأن يمد نفوذه على البلاد فضاق به ذرعاً وقبض عليه وقتله، وقد أزعج مقتله السلاجقة فبعثوا جيشاً بقيادة (ركن الدين والدولة) للقضاء على عبد الله بن علي الذي تحصن هو وأهل بيته ومؤيدون فحاصرهم السلاجقة لمدة سنة، فلما طال عليهم الأمد اضطر أن ينزل لمقابلة الجيش، فإما النصر وإما الموت، فاستمات هو ومن معه حتى مَنَّ الله عليهم بالنصر.

وفي رواية أخرى أن الشراكسة سئموا من طول المقام فبعثوا إلى عبد الله ابن علي بأنهم يرغبون في الرحيل بشرط أن يسلمهم رهينة من أهل بيته حتى لا يهاجمهم بجيوشه في أثناء الانسحاب، فتردد في ذلك إلا أن ابنه علياً قدم نفسه رهينة على أن ينسحب الجيش، ويفك الحصار، فأخذوه معهم إلى بلادهم فحبسوه واستبقوه لديهم، وأعطوه جارية لخدمته، وكانت على درجة من الجمال فتزوجها وحملت منه وولدت غلاماً سماه (جساسا)[1]

وقد احتال الأمير عبد الله في تخليص ابنه فبعث رجلاً يقال له: عزيز بن محفوظ ومعه مال كثير فاحتال حتى وصل إلى السجان وأغراه بالأموال وأغدق عليه الهدايا حتى أفرج عن علي، فسار معه إلى الأحساء، أما الصغير جساس فقد بقي في كرمان حتى كبر وجاء إلى الأحساء بعد أن أصبح فارساً لا يشق له غبار [2].

ولاية عبد الله بن علي:

امتدت ولاية عبد الله بن علي ستين سنة منذ عام ٤٦٦ هـ حيث بدأ حركته إلى وفاته عام

---

(١) ساحل الذهب الأسود، ص ١٤١ .

(٢) صفحات من تاريخ الأحساء ص ٢٢٣ .

٥٢٦ هـ عن عمر يناهز مئة عام، وكان يتميز بالكثير من الصفات الحميدة، منها شجاعته وصموده أمام المؤامرات ووقوفه في وجه الجيوش المتعاقبة وتوحيد البلاد وتأمين السبل وتشييد المساجد، وإنشاء المدارس لعلوم الدين واللغة.

وكانت أهم أعماله : القضاء على قوة ابن عياش واحتلال القطيف، ثم احتلال جزيرة أوال بعد قتل ابن عياش ووزيره العكروت [١] .

وقد طمع حاكم جزيرة قيس أبو كرزاز بن سعد بن قيصر من الزنجيين الذين حكموا فارس في الاستيلاء على أوال، فزحف إليها، إلا أن عبد الله قابله بجيش قاده بنفسه فهزمه وأسر أخاه نام سار بن سعد، ثم عاد أدراجه ليواجه الطامعين من بني عامر الذين طمعوا في ملك الأحساء بعد أن قطع عوائدهم وجراياتهم فقابل جموعهم وقاتلهم حتى قضى عليهم ولم ينج منهم إلا أحمد بن مضر وأبو فراس بن الشياش في جماعة هربوا إلى العراق.

الفضل بن عبد الله

تولى خلفاً لأبيه سنه ٥٠٠ هـ، وكان في أثناء ولايته ينتقل بين القطيف والأحساء وأوال، فكان خلال فترة حكمه يتعقب المفسدين وقطاع الطرق، حتى استتب الأمن في عهده، وقد دام حكمه سبع سنوات، وكان قبلها والياً على القطيف من قبل والده، وقد مات مقتولاً على أيدي بعض خدامه بجزيرة تاروت سنة ٥٠٧ هـ [٢]

وهو الذي أشار إليه ابن المقرب بقوله [٣] :

وَمَن يفتخر بالفَضلِ فَضلِ بن عبدلٍ ... فَيَا بِأَبي أعراقُه وَمناَسبُهُ

هُمامٌ حَمَى البحَرين سَبعاً وَمِثلَها ... سِنِينٌ وسَارت في الفَيَافِي مَوَاكِبُه

ولم يَرعَ من(ثاجٍ) إلى(الرَّمل)مُصْرِمٌ ... علَى عَهدِهِ إلا استُبِيحَت حَلائِبُه

---

(١) تحفة المستفيد ص ١٠١ .

(٢) من تاريخ جزيرة تاروت ، ص ١٠٧ .

(٣) ديوان ابن المقرب ،ص٥٧و٥٨ .

زمَـــانَ يقـــول العـــامِـــريُّ لمن غَــدَا يحُــــدثه عنه وذو الحُــــمقِ غَـــالِبُـــه
مَـــتىَ يلتَـــقي من(نارَبرد) مَـــحَلُّه وآخِـــر سُـــودي بعَـــيــــدٌمَــــذَاهِبُـــه
فلَمَ يســـــتَـــتِمَّ القَـــولَ حَـــتَّى إذا بـه يسُــــايرهُ والدَّهر جَمٌ عَـــجَـــائِبُـــه
فَـــقَـــال له: الآنَ التَـــقَـــينا فـــأرعَـــدَتْ فَـــرائصُـــهُ والجـــهلُ مـــرٌ عَـــوَاقِـــبُـــه

وقد اشتهر بالكرم المفرط حتى إن حاكم البصرة عندما سمع بحكايات كرمه قام من كرسيه وشرب كأساً من الماء وهو قائم تعظيماً لذلك الملك الكريم [1] .

أبو سنان محمد بن الفضل :

تولى الحكم بعد وفاة والده سنة ٥٠٧ هـ ، وجعل عمه علياً على الأحساء والقطيف ابنه عزيزاً، وكان شجاعا كريماً، وقد وردت قصص لبيان كرمه ، ومن ذلك: ان بعض عماله أتاه بأموال من جزيرة أوال تحتوي الكثير من اللآلئ والفضة والذهب، وكان لديه حينذاك شاعر يدعى الثعالبي من أهل العراق، فأمر عامله ان يدفع ما لديه إلى الشاعر، حتى إن خازنه عندما تلقى الأمر صعق ومات [2] . إلا ان عهده لم يدم فيه الرخاء له ولا السرور، فقد طمع عماه في الولاية وتآمرا مع رئيس قبيلة بني عامر، (غفيلة بن شبانة) على أن يقوم هذا الأخير بإخراج أبي سنان والنزول على القطيف خلافاً لأوامره، فلما علم أبو سنان بذلك جرد حملة هاجم بها غفيلة واتباعه حتى قضى عليهم، وبعد أن استتبت الأمور علم أن لعميه يداً فيها، فجهز حملة قادها بنفسه إلى الأحساء وفي معركة حامية الوطيس قتل أبو سنان قرابة سنة ٥٢٥ هـ وكانت مدة ولايته ١٨ عاماً.

أبو منصور علي بن عبد الله:

كان والياً على الأحساء منذ عهد أخيه الفضل، إلا أنه بعد أبي سنان أصبح ملك

---

(١) صفحات من تاريخ الاحساء ، ص ٢٢٥ ، وانظر ايضا : من تاريخ جزيرة تاروت ص ١٠٨

(٢) صفحات من تاريخ الأحساء ،ص٢٢٥،وانظر أيضاً : من تاريخ جزيرة تاروت ،ص١٠٨.

الأحساء دون منازع، أما أبناء أبي سنان فقد عقدوا البيعة لأخيهم غرير بن محمد الذي استقل بالقطيف وأوال حيث قام بحشد جيش هاجم به الأحساء لأخذ الثأر من عمه أبي منصور، فالتقى الجيشان في مكان يدعى (السليمات) غرب الأحساء سنة ٥٤٥ هـ والتحم الجيشان في معركة قتل فيها الأمير علي والأمير بطال بن مالك بن بطال العيوني أخو الأمير عبد الله بن علي لأمه، والذي تنسب له قرية البطالية، وكان يقيم في حي من أحيائها أحدثه بنفسه فغلب اسمه على باقي القرية.

ولم تطل مدة حكمه فقد قتله ابن عمه هجرس بن محمد سنة ٥٤٦ هـ، إلا أن هجرساً لم تستقم له الأمور حيث قتله ابن عمه شكر بن علي بعد سنة واحدة.

شكر بن علي بن عبد الله:

تولى حكم الأحساء بعد مقتل والده سنة ٥٤٦ هـ وكان أهل الأحساء يعانون من المجاعة وشظف العيش وتدهور الاقتصاد وتوالي الحروب، فوضع عنهم المكوس وساعدهم بالمال ليتغلبوا على تلك المحنة، وكان عالماً ورعاً شجاعاً .

وفي عهده حاول أحد زعماء البادية ويعرف بحماد النايلي مهاجمة الأحساء وقد تسلق بعض أعوانه الأسوار فاقتحموها ودخلوا المدينة، إلا أن شكراً برز إليهم وقاتلهم حتى ردهم على أعقابهم بعد أن قتل منهم مقتلة عظيمة حتى أنتنت الأرض جيفهم، لذلك سمي مكان المقتلة (الخائس) وقد توفي سنة ٥٥٦ هـ[1] .

محمد بن أحمد بن عبد الله بن علي :

تولى بعد عمه شكر بن علي، وفي أيامه امتد نفوذ العيونيين إلى نجد وبادية الشام، وقد أسند إليه الخليفة العباسي الناصر لدين الله خفارة الحاج العراقي من بغداد حتى يرد مكة ويعود منها بعد أداء الحج وقدر له في كل عام ألفاً وخمسمئة حمل من البر وألفاً ومئتي

---

(١) انظر : تحفة المستفيد ، ق ١ ، ص ١٠٧ و ١١٢ ، وانظر أيضاً :صفحات من تاريخ الأحساء ، ص ٢٢٦ .

ثوب من نسيج مصر.

وفي أيامه تجمعت القبائل العربية من ربيعة بن حارثة بقيادة زعمائهم سعيد بن فضل ومانع بن حديثة ومسعود بن بريك ودهمش بن سند بن أجود، واتفق الجميع على أخذ الحاج العراقي، وعندما بلغ الخليفة هذا الأمر بعث إلى الأمير محمد وأخبره بما نُمي إلى علمه، فجمع عرب البحرين وعرب العراق فهاجم الأعراب في (لينة)، وبعد معركة حامية انهزم المغيرون وهرب زعماؤهم والتجأ دهمش بن سند إلى مشهد الحسين بن علي رضي الله عنه فحاصره محمد حتى قبض عليه رجال الخليفة وحملوه إلى بغداد.

ومن ثم قرر محمد أن يتعقب فلول البوادي حتى وجدهم على ماء يسمى (الدجاني) غرب الدهناء، فقضى على أكثرهم وهرب الباقون الذين لاقوا حتفهم عطشاً في الصحراء.
وقد أخذ رئيس قبيلة بني عامر راشد بن عميرة بن غفيلة يحيك المؤامرات ضد محمد، فأغرى غرير بن الحسن بن شكر بن علي بن عبد الله بأن يستولي على الإمارة وتعهد بمساعدته على أن تكون الإمارة لغرير وأموال محمد لراشد، واتفقا على أن يكون التخلص منه اغتيالاً، فتحين راشد الفرصة حتى قتله سنة ٦٠٣ هـ.

الفضل بن محمد بن أحمد :[١]

بعد وفاة محمد بن أحمد نهض ابنه الفضل فكتب إلى الخليفة العباسي طالباً منه مساعدته على الأخذ بثار أبيه، فأمده الخليفة بالمال والسلاح مما استعان به على الاستيلاء على الأحساء، فتتبع قتلة أبيه حتى قتلهم جميعاً، واستقام له ملك الأحساء والقطيف والبحرين، وقد ساعده في ذلك حاكم جزيرة (قيس) غياث الدين بن تاج الدين الذي حاول أن يفرض نفوذه على القطيف والبحرين حتى أخضع الفضل لاتفاق تخلى بموجبه عن بعض الجزر وأن يقاسمه الخراج، وكان ذلك سنة ٦٠٦ هـ، إلا أن هذا الاتفاق لم يرض علي بن ماجد فثار على عمه ونحّاه عن سدة الحكم.

---

(١) صفحات من تاريخ الأحساء ص٢٢٧.

وفي عهده أخذ الضعف يدب في الدولة العيونية، إذ أصبح أفراد العائلة يتعاملون مع بعضهم بعضاً بخوف وحذر. وقد وصف ابن المقرب هذه الحالة في قصيدة طويلة منها:

وأعجَبُ ما لاقيتُ أن بَني أبي ... لحُسامٌ لمن يَبغي جِلادي وسَاعِدُ
عَزيزُهم إن لُذتُ يوماً بظلِّه ... رأيتُ سَمُوماً وهْو للخصم بَارِدُ
وسائرُهم إمَّا ضَعيفٌ فضعفُهُ ... له عاذرٌ أو مبغِضٌ لي مُجَاهِدُ
هُمُ ألحَمُوني النائباتِ وأولعَتْ ... بلَحمي أسودٌ منهمُ وأسَاوِدُ
وَهُم تركُوا عَمداً جَنابي ومَربَعي ... منَ الجدْبِ لا يَرجُو بِه الخِصْبَ رائِدُ
وهم شَمتُوا بي حَاسِديّ وذلكُم ... من الأمرِ مَالاَ تَرتَضِيه الأمَاجِدُ
أيا فضلُ قَد طَالَ انتظَاري ولَم يَقُمْ ... شتاءً وقيظاً عند مِثلكَ وافِدُ
وقد زَالَتِ الأعذارُ لا الغوصُ بائرٌ ... ولا البَحرُ ممنُوعٌ ولا الدَّخلُ فاسِدُ
ولا أنتَ محجورُ التصرُّفِ في النَّدى ... عليكَ رَقيبٌ في نَوالِكَ رَاصِدُ
ولاَ في بنَي فَضلٍ بخيلٌ وإنَّهم ... إذا اغبَرَّتِ الآفاقُ غُرٌّ أماجِدُ
فَلا تقطَعَنْ ما بينَنَا من مَوَدةٍ ... وقُربٍ وخَلِّ الشِّعْر فالشِّعرُ كَاسِدُ
فَهَاتِ فَقُل لي ما أقُول لأسرَتي؟ ... فَكلٌ عن الأحوالِ لابدَّ نَاشِدُ
وَكلُهمُ سامٍ إليّ بطرفِه ... يَظنُّ بأن الزَّارع الخيرَ حَاصِدُ
فلا تَتَّكِل يا فضلُ في الفَضلِ والنَّدَى ... عَلَى سَالفٍ أسداهُ جَدٌّ وَوَالدُ
فَلاَ حَمدَ إلاّ بالذي يَفعَلُ الفتَى ... وَلَو كَثُرَت في أوَّليه المَحَامِدُ
فَكُن عِندَ ظَنِّي فِيكَ لاظنٌّ عَائذٍ ... نَهَاني عَن قَصْدَيكَ فَالمالُ نَافِدُ[1]

علي بن ماجد بن أحمد:

نهض علي بن ماجد بن محمد بن أحمد ثائراً على الأوضاع السيئة التي انتهت إليها الدولة في عهد عمه الفضل بن محمد، وبمساعدة قبيلة العماير استطاع تنحية عمه عن

(١) ديوان ابن المقرب ؛(أبيات مختارة)ص ١٤٤و١٤٨.

الحكم، فتولى مقاليد الحكم، فاستتب الأمن في البلاد وساد الاستقرار، وقد لاقت ثورته صدى طيباً في نفس الشاعر علي بن المقرب، فانبرى يمدحه ويعقد عليه الأمل في استرجاع أمجاد الأسرة.

ولقد استاء الشاعر كثيراً حينما قام إبراهيم بن عبد الله بن أبي جروان أحد رؤساء بني عبد القيس بمؤامرته في محاولة القبض على الأمير علي بن ماجد الذي اضطر – بدوره – إلى الهرب فخرج من البلاد، ثم تنصيبه مقدم بن غرير العيوني الذي نشأ نشأة بدوية جاهلاً بشؤون السياسة حيث استغله رؤساء العشائر لسوء إدارته فأطلق لأيديهم العنان يتحكمون في مقدرات الشعب، فعند وصول الشاعر ابن المقرب إلى مدينة القطيف أطلقها صرخة مدوية، فبعث بقصيدة إلى ابن أبي جروان بالأحساء يندد فيها بأعمالهم وسوء تصرفاتهم جاء فيها:

أرجالَ عَبدِ القيسِ كم أدعوكُمُ ... في كُلِّ حِينٍ للعُلاَ وَأَوانِ
لا تَسْقُطَنْ من هَامِكم وأنوفِكُمْ ... هِمَمُ الرِّجَالِ وغَيرةُ الفِتيَانِ
وَذَروا التَّحاسُد والتَّنافُسَ بينَكُم ... فكِلاَهُما نَزغٌ مِنَ الشَّيطَانِ
لَم يَبقَ مالٌ تتَّقُون بَه العِدَى ... لِربيعةٍ فيهَا ولا قَحطَانِ
أخذوا مِنَ الأحسا الكثيبَ إلى مَحَا ... ديثِ العُيون إلى نُقَا حَلوَانِ
والخطَّ مِن صَفواءَ حَاذُوها فما ... أبقَوا بِها شِبراً إلى الظَّهرَانِ
والبحرَ فاستولوا عَلَى مَا فِيه مِن ... صَيدٍ إلى دُرٍّ إلى مُرْجَانِ
وأمَضُّ شَيء للقُلوب قَطائعٌ ... بالمَروَزَانِ لهم وكُرزَكَانِ
واللَّهِ لَو نَهرٌ جَرَى بِدِمائِكُم ... وشَرِبتُه غَيظاً لما أروَانِي [1]

(١) ساحل الذهب الأسود، ص١٦٥ وانظر أيضاً صفحات من تاريخ الأحساء، ص٢٢٩ وانظر كذلك ديوان ابن المقرب، ص٦٣٨و٦٣٩.

مقدم بن غرير بن أحمد:

تولى الأمارة انتزاعاً من عمه وكان صغير السن فلم تتجاوز مدة حكمه السنتين حيث توفي بعد مرض، وفي توليه يقول ابن مقرب:

مُقَدَّمٌ كَاسمِهِ فِي كُلِّ مَكرُمَةٍ ... فَإن نَبَا بكَ دَهرٌ فَادعُه تُجَبُ

تَسَنَّمَ المُلكَ لم تُقبَلْ (عوارِضُه) ... وَحَلَّ في ذُروَتيهِ أفضَلَ الرُّتَبِ

وبعد وفاته سنة ٦١٨ هـ تولى الأمر فاضل بن معن، وقد استمرت فترة حكمه ثلاث سنوات حيث انتهت ولايته سنة ٦٢١ هـ.

محمد بن ماجد بن محمد:

انتخبه أهل الأحساء ليكون ملكاً على الأحساء والقطيف والبحرين سنة ٦٢١ هـ وهو الذي مدحه ابن المقرب بقوله:

همامٌ علت همَّاتُه فكأنما ... يُحاوِلُ أمراً دُونَهُ السبعةُ الشُّهْبُ

عَلا كلَّ بَاعٍ باعُه وتَوَاضَعَت ... لِعِزَّتِه وانقَادَتِ العُجْمُ والعُرْبُ

سليلُ عَلاً من دَوحةٍ طابَ فَرعُها ... وَطَالت ذُرى أغصَانِها وَزَكى التُّربُ

سَمَا للعُلا من قَبلِ تَقبيل وَجهِهِ ... فَأدرَكَها والمأثَراتُ لَه صَحبُ

إلا أن محمداً اغتيل على يد ابن عمه محمد بن مسعود، لكن الأمور لم تستقم له، فلما توفي تولى ابنه الفضل الذي أخضع البلاد لرؤساء قبائل بني عامر الذين أخذوا يتعاملون معه ومع غيره بعجرفة، فاشترطوا عليه أن يسلمهم القصور والأموال والبساتين الخاصة بأسرته فخضع لطلبهم [1].

ويصف شارح ديوان ابن المقرب – محمد بن مسعود – بأنه رجل سليم القلب بليد الحس عازب الفكر، وقد اطمأن إلى نفر من جلسائه يعملون في السر على تقويض حكمه،

---

(١) صفحات من تاريخ الأحساء، ص ٢٣٠ و٢٣١، وديوان ابن المقرب أيضاً ص ٣١ و٣٢.

فأودع ثقته فيهم فتآمروا مع رؤساء بني عقيل، إذ دبروا خطة لتقويض دولة العيونيين، فاتفقوا معهم على أن يقوم هؤلاء بضرب حصار حول البلد حتى يضطر الأمير إلى طلب الصلح، فإذا أجاب يفرضون عليه شروطاً قاسية منها تسليم القصور والبساتين الخاصة بالأسرة المالكة، فإذا عز عليه الأمر أشاروا عليه بقبول تلك الشروط حفاظاً على المصلحة العامة وحياة الأهلين، وفعلاً تم تنفيذ الخطة، فسلم لهم ما أرادوا، وبذلك دالت دولة العيونيين في الأحساء إذ تولى عليها بنو عصفور [1].

أما القطيف فقد استولى عليها بعد محمد بن مسعود الأمير منصور وبقي في الحكم مدة ثلاث سنوات وستة أشهر، وفي أخريات أيامه استولى أبو المظفر الهرموزي على جزيرة قيس سنة ٦٢٦ هـ وأرسل ممثليه إلى جزيرة أوال، ليقبضوا الجرايات التي كانت تدفع أيام الفضل بن محمد العيوني لملك قيس، وفي هذه السنة ذاتها احتل عسكر السلطان المنصور أبي بكر بن سعد جزيرة قيس، ثم استولى على أوال سنة ٦٣٣ هـ وبعث شهاب الدين خسرو عاملاً عليها يساعده نجيب الدين عثمان.

وبعد الأمير منصور استولى محمد بن محمد آخر الأمراء العيونيين على القطيف، وهزم عساكر السلطان المنصور التي حاولت احتلال القطيف كما استرجع جزيرة أوال أيضاً، ولكن السلطان المنصور جهز حملة سنة ٦٣٠ هـ لاحتلال الجزيرة فهزمه محمد بن محمد وبقي مقيماً فيها حتى سنة ٦٣٦هـ، وفي هذه السنة جهز السلطان حملة أخرى لاحتلالها، فاشتبكوا في معركة بالجانب الغربي أسفرت عن مقتل الأمير محمد بن محمد ثم أبحر إلى القطيف فاحتلها، وزحف على الأحساء فاستولى عليها وبذلك أسدل الستار على هذه الدولة العيونية التي عمرت نحو ١٧٦ عاماً، وتوالى على حكمها نحو من ٢١ ملكاً وأميراً على وجه التقريب.

دولة بني عصفور:

---

(١) تحفة المستفيد، ج ١، ص٢٣٢و صفحات من تاريخ الأحساء أيضاً ص ٢٣٢.

لما تمكن بنو عقيل من امتلاك ناصية الأمور واضمحل شأن العيونيين استولى مانع بن عصفور (من بني عامر بن عوف) على ملك الأحساء في العقد الرابع من القرن السابع للهجرة.

وقد ذكر ابن خلدون: أن آل عامر هؤلاء وفدوا على السلطان بيبرس بالديار المصرية و في مقدمتهم أحمد العقدي بن سنان بن غفيلة بن شبانة بن قديمة ابن شبانة بن عامر، فعوملوا بأتم التقدير والاحترام وأفيض عليهم سابغ الأنعام، وقد توالت وفادتهم على الديار المصرية فكانوا يلقون الحفاوة والتكريم .

وقد دام الملك لأولاد مانع بن عصفور إلى سنة ٧٠٠ هـ. وفي هذه السنة استولى سعيد بن مغامس بن سليمان بن رميثة على الحكم في الأحساء إلا أن ملكه لم يدم أكثر من خمس سنوات حيث تغلب عليه جروان بن ناصر أحد بني مالك بن عامر.

آل جروان:

هم من بني مالك بن عامر وزعيمهم جروان بن ناصر، تغلب على الأحساء في عهد سعيد بن مغامس القرمطي سنة ٧٠٥ هـ واستمرت ولايته عليها إلا أنه توفي فخلفه ابنه ناصر بن جروان، فلما توفي خلفه إبراهيم بن ناصر ثم جروان بن إبراهيم.

وقد بقي الملك في بيت آل جروان إلى ما بعد سنة ٨٢٠ هـ حيث جاء في كتاب الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني أن أحد ولاة آل جروان ويدعى إبراهيم كان موجوداً سنة ٨٢٠هـ .

الجبريون:

نسبة إلى جدهم جبر العقيلي من بني عامر بن ربيعة، وأولهم سيف بن زامل بن جبر العقيلي، ومما يروى أنه كانت بين سيف بن زامل بن حسين العقيلي الجبري وبين آخر ولاة بني جروان منافسات، وكان كل منهما يتحين الفرصة للقضاء على الآخر، فأرسل الوالي إلى

سيف من يقبض عليه ويحضره إلى مجلسه إلا أن رجال الوالي لم يستطيعوا القبض عليه فسار وحده إلى مجلس الوالي ومعه بعض حاشيته، وقد أخفى سيفه تحت عباءته، فلما احتدم بينهما الحديث تناول سيفه وهوى به على رأس الوالي فقتله وجلس مكانه وأصبح حاكماً للأحساء فسار فيها بالعدل فدان له أهلها إلى أن توفي، ولم يعرف تاريخ وفاته، فخلفه أخوه [١].

أجود بن زامل بن جبر العقيلي :

ولد بالأحساء سنة ٨٢١ هـ - ١٤١٨ م فلما توفي أخوه سيف خلفه في الحكم واتسعت مملكته حتى شملت أرض البحرين وعمان ونجد وهرمز، وكان فارساً شجاعاً تعددت في جسمه الجراحات، فأقام الجمعة والجماعة، وأكثر من الحج والصدقة وتحصيل الكتب والبذل في الحرمين الشريفين، وله إلمام ببعض فروع المذهب المالكي، وقد ذكره السيد السمهودي في كتاب (وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى)، صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

« رئيس أهل نجد ورأسها وسلطان البحرين والقطيف، فريد الوصف والنعت صلاحاً وأفضالاً وحسن عقيدة، أبو الجود أجود بن زامل بن جبر أيده الله وسدده ».

ويورد الشيخ عبد القادر الجزيري الحنبلي في كتابه (درر الفرائد المنتظمة): » أجود بن زامل العقيلي الجبري نسبة إلى جدّ له اسمه (جبر)، ولذا يقال له ولطائفته (بنو جبر) النجدي الأصل المالكي المذهب، مولده ببادية الأحساء والقطيف من الشرق في رمضان سنة ٨٢١ هـ، وولي بعد أخيه واتسعت مملكته بحيث ملك البحرين وعمان وانتزع مملكة هرمز من ابن أخ السلطان سرغل بن نورشاه كان استقر فيها بعد موت أبيه، وصار رئيس نجد في أتباع يزيدون على الوصف » إلى آخر ما جاء... [٢]

ويحدثنا المؤرخ عبد الملك العصامي في تاريخ (سمط النجوم العوالي): حج أجود بن

---

(١) صفحات من تاريخ الأحساء ص٢٣٣و٢٣٤ .

(٢) النفوذ البرتغالي في الخليج العربي ص٥٤ .

زامل سنة اثنتي عشرة وسبعمئة هجرية مع أتباع يزيدون على الثلاثين ألفاً، وقد اتخذ قاعدته قرب قرية المنيزلة، والظاهر أنها بين قرية المنيزلة والفضول حيث توجد آثار قصر لا يزال يعرف موضعه باسمه قرب قرية المنيزلة يسمى (قصر أجود). وقد توفي أجود سنة ٩١٢ هـ فخلفه ابنه محمد بن أجود [١].

سيف بن أجود :

وهناك رواية تقول إن سيفاً تولى الحكم ووسع أطراف أمارته على حساب جيرانه [٢].

محمد بن أجود :

وهو الذي استنجد به شريف مكة (الشريف بركات) للقضاء على الفوضى والعبث الذي سببه الأعراب، فسار إليها في خمسين ألفاً فوافاها في ١٧ ذي الحجة سنة ٩١٢ هـ، فطافوا بالبيت وتحللوا وكانت العساكر المصرية قد سبقتهم للقضاء على الفتنة.

صالح بن سيف بن أجود :[٣]

ثار على ابن عمه وحاربه، فلما لم يتحقق له ما يريد سافر إلى الشام وأخذ عن علمائها وأقام بها متخفياً تحت اسم (عبد الرحيم) فلما قتل ابن عمه على يد الروم عاد إلى بلاده إلى أن توفي سنة ٩٣١ هـ.

مقرن بن زامل بن أجود:

تولى بعد وفاة عمه محمد، وقد وصفه ابن إياس في (بدائع الزهور) : أنه لما دخل مكة والمدينة تصدق على أهلهما بنحو خمسين ألف دينار، فلما كر راجعاً إلى بلاده لاقته الإفرنج (البرتغاليون) فقاتلهم إلا أنهم انتصروا عليه وأسروه وحاول افتداء نفسه بألف ألف دينار

---

(١) معجم المنطقة الشرقية ، ج١، ص٨٦.

(٢) النفوذ البرتغالي في الخليج العربي ص٥٤.

(٣) صفحات من تاريخ الأحساء، ص٢٣٥.

فأبوا وقتلوه سنة ٩٢٨ هـ – ١٥٢١ م ، واستولوا على بلاده، فخلفه علي بن أجود إلا أنه لم يستقم في الولاية أكثر من شهر واحد [١] .

ناصر بن محمد بن أجود :

تغلب على عمه منذ مطلع عام ٩٢٨ هـ إلى عام ٩٣١ هـ حيث تولى قطن ابن علي إلى عام ٩٣٢ هـ ثم ابنه قطن بن قطن ، ثم خلفه عضيب بن زامل ، وفي عام ٩٣٣ هـ أخذ السلطة راشد بن مغامس الذي وصفه في (درر الفرائد المنتظمة) بقوله : سلطان الشرق الشيخ راشد بن مغامس بن صقر بن محمد بن فضل سلطان البصرة والأحساء والقطيف ، وكان قد استولى على البصرة عام ٩٣١ هـ ، ثم زحف على الأحساء واستولى عليها ، إلا أن الجبريين استردوا ملك الأحساء على يد مقرن بن عضيب ثم منيع بن سالم الذي رحل إلى العراق سنة ٩٦٩ هـ بعد أن استولى الأتراك على الأحساء . وما إن تم القرن العاشر حتى كان الأتراك قد ضبطوا أمورهم ورتبوا ولايتهم على الأحساء ، وقد أصبحت مملكة الأحساء والقطيف سنجقاً تركياً وبدأت مرحلة جديدة من الصراع بين الأتراك والعرب وبين الأتراك والإفرنج، أي البرتغاليين ، وقد استمر هذا الصراع طويلاً شهدت القطيف أنهراً من الدم مما سيأتي مفصلاً في الأبواب والفصول التالية من هذا الكتاب .

---

(١) النفوذ البرتغالي في الخليج العربي ص١٢٩ .

الباب الثالث

البرتغاليون (الجغرافيا العامة)

القطيف في عصرهم – التجارة – الأسلحة – السفن – القلاع

البرتغال :

في الماضي البعيد كان يطلق على بلاد البرتغال اليوم (لوزيتانيا) وهو ما يطلقه البرتغاليون حتى اليوم على بلادهم ، ولوزيتانيا أكبر حدوداً من البرتغال الحالية ، وكانت فيها مدينة (بورتو) (Porto) أو (Oporto) وهي عاصمة لإقليم لوزيتانيا و تقع على الضفة الشمالية لنهر (الدويرة). وبالتحديد بالقرب من المصب ويتكون اسم المدينة من شقين الأول (Caya) أو (Caia) أو (Cale) وهو اسم لإحدى القلاع المهمة هناك ، والشق الثاني يسمى (Oporto) وهو أيضاً اسم لميناء هام واقع على النهر وقد دمج الاسمان معاً Oporto (Cale) أو (Portugal) ثم أطلق بعد ذلك في القرن العاشر الميلادي على تلك المنطقة بأسرها وأصبحت تعرف باسم أراضي البرتغاليين(Territoruim Portugalense) . وقد اتفقت المصادر البرتغالية على إطلاق اسم البرتغال (Portucale) في القرن العاشر الميلادي على مجموعة من الأراضي الواقعة جنوب خط ليميا Limia [1] وظهر اسم البرتغال لأول مرة ككونتية عندما قسمت مملكة اشتورياس بين أبناء الملك أردونيو الثاني فكانت منطقة البرتغال من نصيب راميرو الثاني (٩٢٦ - ٩٥٠ م) وتضم عندئذ المنطقة الواقعة بين قلمرية ونهر (المنهو) (مينه) ووقع الاختيار على مدينة (بازو) كعاصمة لتلك الكونتية [2] .

جاء في الموسوعة العربية العالمية ما يلي : البرتغال دولة تقع في شبه جزيرة أيبيريا في أقصى الطرف الغربي من قارة أوروبا، وتحتل أسبانيا جارة البرتغال من الشرق والشمال – باقي أجزاء شبه الجزيرة تقريباً . تواجه البرتغال من الغرب والجنوب المحيط الأطلسي ، ولشبونة هي عاصمة البرتغال وأكبر مدينة فيها . ومساحتها ٨٨,٩٤١ كم٢ وهذه المساحة باستثناء جزر ماديرا ، وسكانها حتى عام ١٩٩١ م أقل من ١١ مليون وعملتها اليوم (الاسكيودو) .

---

(١) تأسيس مملكة البرتغال ، ص ٦٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٣ .

يعيش معظم البرتغاليين في قرى ريفية . ومن القرويين أناس مهرة يبحرون عبر مياه المحيط الأطلسي العاصف في قوارب صغيرة لصيد السمك ، ومزارعون ينتجون العنب الذي يستخدم في صنع الخمور .

وخلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر استهل المكتشفون البرتغاليون المغامرون ما يمكن وصفه بالعصر الشهير للاكتشافات الأوربية . فقد قاد بارثولوميو دياز الرحلة البحرية الأولى حول رأس الرجاء الصالح في الرأس الجنوبي لأفريقيا . وأبحر فاسكو دي جاما حول الرأس ، واكتشف طريقاً بحرياً إلى آسيا . كما أبحر بدرو ألفاريز كابرال إلى ما يعرف اليوم باسم البرازيل . وهذه الرحلات البحرية وغيرها أدت إلى تاسيس إمبراطورية برتغالية شاسعة شملت مستعمرات في أفريقيا ، وآسيا وأمريكا الجنوبية .

بدأت قوة البرتغال ونفوذها يضعفان في أواخر القرن السادس عشر ، ولكنها احتفظت بكثير من إمبراطوريتها لأكثر من ٤٠٠ عام [١] .

وكان أناس يعرفون بالإيبيريين يقطنون فيما يعرف الآن بالبرتغال . عاشوا هناك قبل التاريخ المكتوب ، (قبل نحو خمسة آلاف عام) . وعبر القرون جاءت جماعات أخرى متعددة إلى البرتغال . كان منهم الفينيقيون والقرطاجيون والسلت والإغريق والرومان ، والقوط الغربيون ومسلمو شمالي أفريقيا .أما اليوم فإن سكان البرتغال الحاليين مزيج من كل هذه العناصر . وارتحل إلى البرتغال منذ منتصف ستينيات القرن العشرين آلاف من السود من مستعمرات البرتغال الأفريقية السابقة . إلا أن هؤلاء السود يشكلون أقلية ضئيلة في البلاد .

إن معظم البرتغاليين الريفيين يعيشون في قرى صغيرة لصيد السمك ، أو للزراعة . وقرى الصيد تمتد على طول الساحل . واعتمد سكان هذه المستوطنات على صيد السمك

---

(١) الموسوعة العربية العالمية ، ج ٤ ، ص ص : ٢٩٣ و ٢٩٤ ، وقد عرفنا البرتغال عن هذه الموسوعة الجديدة لأهميتها في عالمنا العربي ، وانظر الصفحات من ٢٩٣ – ٣٠٣ التي نقلنا نصوصاً مختصرة منها .

لكسب قوتهم . فالرجال لهم الجرأة على الإبحار في مياه المحيط الأطلسي العاتية في قوارب صغيرة لصيد السمك ، بينما تقوم النساء والأطفال بأعمال روتينية لتنظيف السمك وإصلاح شباك الصيد .

ومع أن البرتغال مازالت بلداً ريفياً إلا أن مدنها ، وبخاصة لشبونة ، وبورتو تتطور بمعدل كبير ، ففي كل عام يتدفق على المناطق المتصلة بالمدن أعداد كبيرة من الريفيين بحثاً عن وظائف في مجال الصناعة أو أي نشاطات أخرى في المدن . وفي المدن البرتغالية مبان يرقى عمرها إلى مئات السنين [1] .

يرتدي معظم البرتغاليين – في المدن والقرى ، على حد سواء – الملابس الأوربية الحديثة ، ولكن بعض الريفيين يلبسون أزياء مشابهة لملابس أجدادهم . بينما يرتدي الرجال البيريهات (جمع بيريه) والقلنسوات الطويلة ، والقمصان الفضفاضة والسراويل الواسعة، وتلبس كثير من النساء ملابس طويلة وشالات في بعض المناطق ، ويرتدي البرتغالي الملابس السوداء أو المظللة تظليلاً معتماً للقيام بالنشاطات اليومية . ولكنهم يلبسون الملابس ذات الألوان المبهجة في بعض المناسبات الخاصة .

يستمتع الناس بالنشاطات الترويحية مثل الأغاني الشعبية وكرة القدم ومصارعة الثيران ، إن هي تختلف في البرتغال عما هي عليه في إسبانيا وأمريكا اللاتينية في نقطة أساسية، ففي إسبانيا وأمريكا اللاتينية تُقتل الثيران بعد المصارعة ، أما في البرتغال فهذا لا يحصل إذ لا يحق قتل الثيران في أثناء المصارعة أو بعدها [2] .

اللغة البرتغالية :

أما اللغة الرسمية فهي البرتغالية ، وهي اللغة الواسعة الانتشار في البرتغال. واللغة البرتغالية كما هو الحال في اللغة الإسبانية هي إحدى اللغات الرومانسية التي انحدرت من اللغة

---

(١) الموسوعة العربية العالمية ، ص ٢٩٥ .

(٢) الموسوعة العربية العالمية ، ص ٣٩٦ .

اللاتينية . وتتشابه اللغتان البرتغالية والإسبانية في وجوه كثيرة [١] .

ويتبع معظم البرتغاليين المذهب الروماني الكاثوليكي ، وفي البلاد أيضا جماعات صغيرة من المسلمين واليهود والبروتستانت .

بقيت الكنيسة الرومانية الكاثوليكية حتى أوائل القرن العشرين تمارس تأثيرها بصفتها جزءاً من حكومة البرتغال القومية . وقد تم فصل الكنيسة عن الدولة عام ١٩١١م . فالديانة الكاثوليكية مهمة للبرتغاليين ، وبالأخص الريفيين منهم ، حيث يؤدي القساوسة الكاثوليك دوراً رئيساً في إدارة المناطق الريفية ، وفي التعليم ، وفي الحياة الاجتماعية . ومن الأنشطة المهمة في حياة الناس : الاحتفالات الكاثوليكية التقليدية، والمواكب ، والزيارات . حيث يزور كل عام آلاف النصارى البلدة البرتغالية المسماة فاتيما(فاطمة) . فهناك يقال : إن مريم العذراء ظهرت لثلاثة أطفال كانوا يرعون الأغنام في عام ١٩١٧م.

بدأ العصر الذهبي للفن البرتغالي خلال القرن الخامس عشر الميلادي ، في الوقت الذي ظهرت فيه البرتغال كقوة عالمية وبقي الوضع على ذلك حتى القرن السابع عشر . وتأثر الفن خلال هذه الفترة بالدين وأذواق الملوك وشغف البرتغاليين وحبهم للبحر.

وشيد المعماريون إبان العصر الذهبي الكنائس ونحتوا التماثيل ، كما طور هؤلاء المعماريون والفنانون طرازاً لافتاً للنظر تميز بالاستغراق في التزيين ، وعُرف هذا الطراز المفصل والمحكم باسم مانويلاين ، نسبة إلى الملك مانويل الأول ، الذي حكم في الفترة من ١٤٩٥ إلى ١٥٢١ م وكفل العديد من الفنانين تحت رعايته . والنموذج الشهير للفن المانويلاني هو إطار نافذة كنيسة تومار ، الذي تم تشكيله ليشبه المواد البحرية مثل المرجان (حجر قرنفلي) والطحلب البحري ، وشباك السفن وحبالها . ونال نون غونز القس شهرة في العصر الذهبي، بفضل لوحاته التي رسمها للقديسين والملوك والأمراء . وكان أشهر عمل أدبي في العصر الذهبي هو أس لوزبادس للكاتب لويز دي كامو ، نشرت هذه الملحمة المطولة التي تحكي

---

(١) المرجع السابق، ولمزيد من المعلومات انظر ص ٣٠٣ من المرجع نفسه .

منجزات البرتغال التاريخية وأبطالها عام١٥٧٢م.

نبذة تاريخية :

عاش إنسان ما قبل التاريخ على وجه الاحتمال فيما يعرف الآن بالبرتغال قبل أكثر من مئة ألف عام . ولكن السكان المعروفين في المنطقة كانوا ينتمون إلى مجموعة من الأيبيريين الذين عاشوا في شبه جزيرة أيبيريا البرتغال حالياً وإسبانيا على الأقل منذ خمسة آلاف عام مضت .

احتلت جماعات كثيرة شبه جزيرة أيبيريا في العصور القديمة . فقد أقام الفينيقيون – الذين قدموا من الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط مستوطنات لهم فيها في القرن الحادي عشر قبل الميلاد . وأقام السلت من شمالي أوروبا فيها خلال القرن العاشر قبل الميلاد . ووصل إليها الإغريق في القرن السابع قبل الميلاد ، واستولى القرطاجيون الأشداء الذين قدموا من مدينة قرطاج في الشمال الأفريقي على معظم شبه جزيرة أيبيريا خلال القرن الخامس قبل الميلاد [١].

في عام ١٤٦ ق. م. هزمت الإمبراطورية الرومانية الفتية قرطاج في الحروب البونية (٢٦٤–١٤٦ق.م) . وكجزء من تسوية سلمية ، استعادت روما سيطرتها على شبه جزيرة أيبيريا . وتدريجياً احتل الرومان شبه الجزيرة ، ثم احتلوا ما يعرف اليوم بالبرتغال في أيام السيّد المسيح عليه السلام .

عمّر الرومان ما يعرف اليوم بالبرتغال ، وأسسوا فيها المدن وشبكة من الطرق وأصبحت اللغة اللاتينية التي استعملها الرومان أساس اللغتين البرتغالية والإسبانية . واعتمدت الإمبراطورية الرومانية النصرانية ديناً رسمياً لها في أواخر القرن الرابع الميلادي . وبدأت البرتغال تتطور تحت الحكم الروماني لتصبح أرضاً نصرانية ، وأطلق الرومان على الجزء

---

(١) الموسوعة العربية العالمية ص ٣٠٠ ، وانظر أيضا المعلومات نفسها في

GROLIER ACADEMIC ENCYCLOPEDIA (P) VOLUME 15 , PP 448 & 456 .

البرتغالي من شبه جزيرة أيبيريا اسم لوسيتانيا .

القوط الغربيون والمسلمون :

وقد اندفعت قبائل جرمانية عبر الإمبراطورية الرومانية الغربية في القرن الخامس الميلادي، وكانت من عوامل انهيارها في عام ٤٧٦ م، واحتل القوط الغربيون إحدى هذه القبائل وكانوا يدينون بالنصرانية في شبه جزيرة أيبيريا، وبقيت البرتغال أرضاً نصرانية تحت حكمهم .

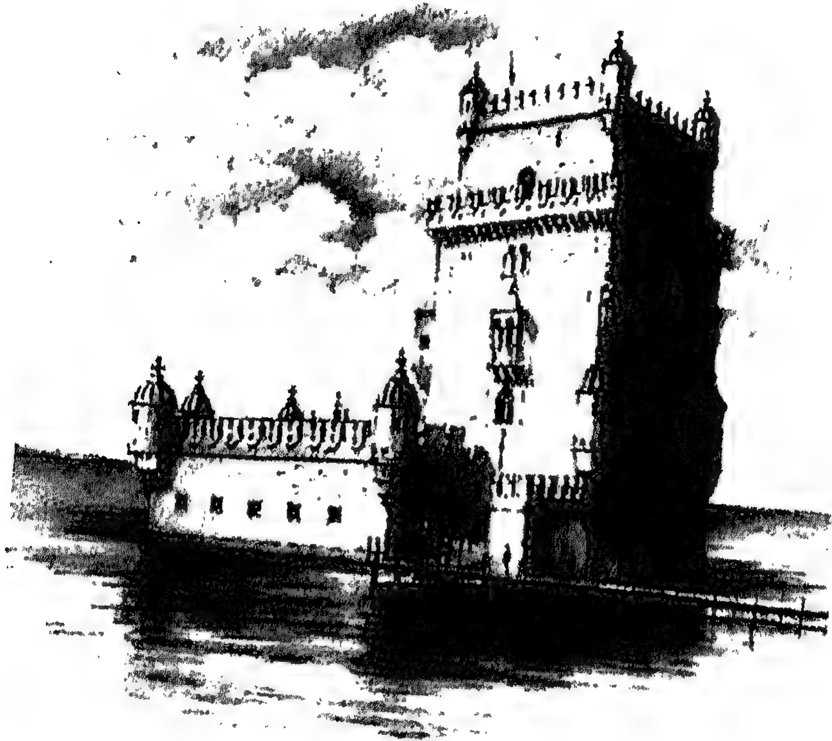
وفي بواكير القرن الثامن الميلادي ، نهاية القرن الأول الهجري فتح مسلمو شمالي أفريقيا معظم ما يعرف اليوم بالبرتغال وأسبانيا . وأثروا في الحضارة البرتغالية من نواح شتى ، فقد أنشأوا المباني على الطراز الإسلامي ، وطوروا التعليم ، وأنظمة الطرق .

تاسيس الدولة البرتغالية :

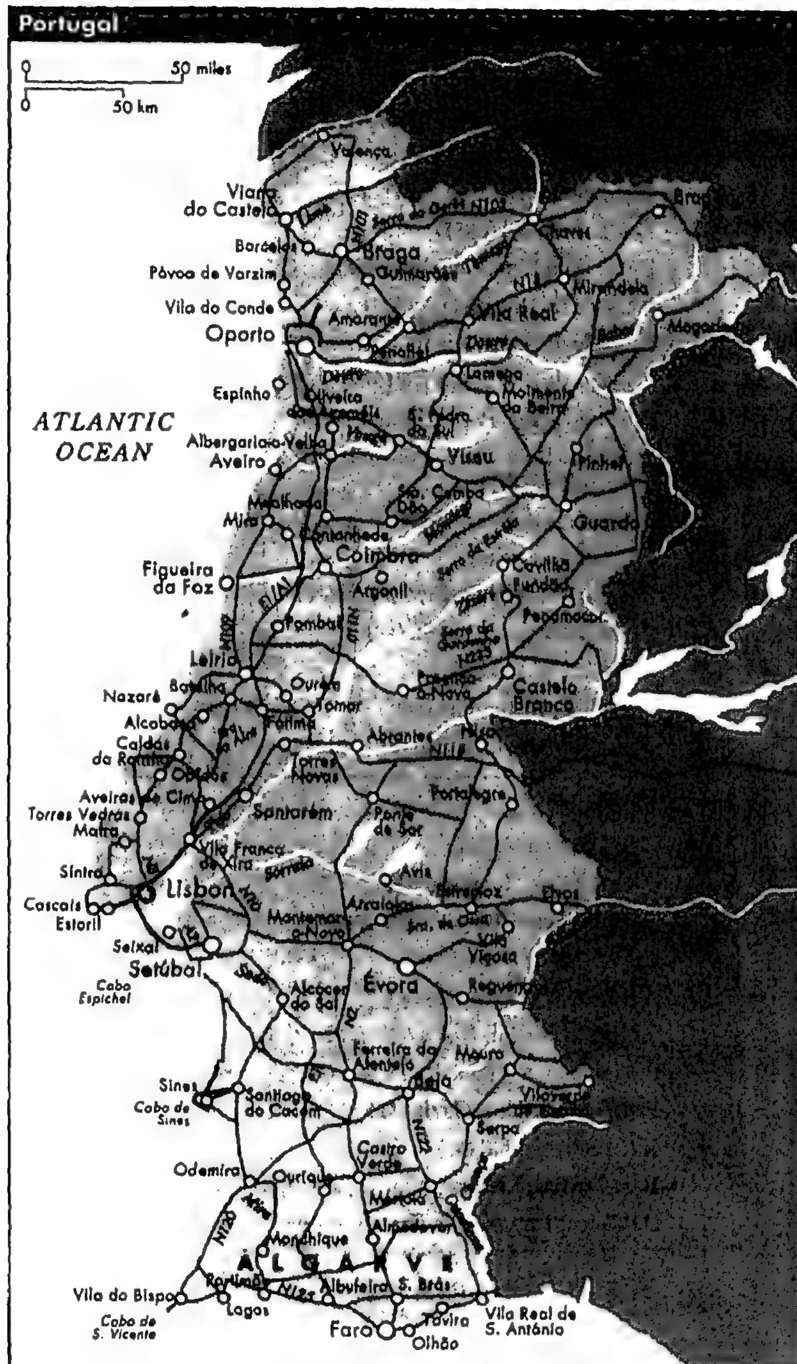
انضم هنري البيرغندي ، أحد النبلاء الفرنسيين إلى نصارى شبه جزيرة أيبيريا في حربهم ضد المسلمين. وكافأ الفونسو السادس ملك أسبانيا ، هنري بمنحه إقليمي بورتو وكويمبرا فيما يعرف اليوم بشمالي البرتغال . وأطلق الفونسو على هنري لقب كونت البرتغال . وكانت البرتغال آنذاك جزءاً من إسبانيا .

ولقد حقق الفونسو هنريك ، ابن هنري ملك برغنديا ، انتصارات عديدة على المسلمين. وفي عام ١١٤٣ م منح لقب ملك البرتغال ، وأسس فيها مملكة مستقلة عن إسبانيا التي بقي فيها المسلمون حتى عام ٩٠٠ هـ ، ١٤٩٤ م .

وفي عام ١٣٨٥ م جاءت إلى عرش البرتغال أسرة ملكية جديدة ، هي عائلة أفيز ، وأصبح الملك جون الأول أول ملك أفيزي . هزمت جيوشه القوات الإسبانية وساعدت في تأمين استقلال البرتغال من جارتها القوية في الشرق ، عقد الملك جون تحالفاً مع إنجلترا، لا يزال قائماً ويعد أقدم تحالف سياسي قائم في أوربا .



منظر من البرتغال



خارطة البرتغال

عصر الاكتشافات :

كان التجار وصيادو السمك البرتغاليون قد أبحروا بعيداً عن موطنهم في عمق المحيط الأطلسي قبل القرن الخامس عشر الميلادي [1] . وما إن حل هذا القرن حتى تجمع لدى البرتغاليين قدر كبير من المعلومات عن البحر ، وكانوا قد أتقنوا مهارات الملاحة البحرية والمقدرة على بناء سفن قادرة على الإبحار بعيداً .

برز اسم هنري الملاح ابن الملك جون الأول ، كشخصية قيادية في بروز البرتغال. ولم يذهب بنفسه في رحلة بحرية ، لكن دراساته أسهمت في خبرات البرتغاليين البحرية ، فقد كان يشجع ويدعم كثيراً من الاكتشافات .

وصل البحارة البرتغاليون إلى جزر ماديرا عام ١٤١٩ م والآزور عام ١٤٣١م. وعند وفاة هنري الملاح عام ١٤٦٠ م ، كان البرتغاليون قد اكتشفوا الساحل الأفريقي الغربي وتوغلوا إلى الجنوب حيث وصلوا إلى ما يسمى اليوم سيراليون . في عام ١٤٨٨م أبحر مركب برتغالي يقوده بارتلوميو دياز حول رأس الرجاء الصالح ، في الرأس الجنوبي لأفريقيا . كانت الرحلة أول عمل يقوم به الأوربيون في الدوران حول هذه النقطة . وأصبح مانويل الأول المسمى مانويل المحظوظ ملك البرتغال . وفي عام ١٤٩٥م قرر زيادة قوة بلاده وأهميتها بأن يدعم رحلة بحرية جريئة للدوران حول جنوب أفريقيا حتى آسيا . تسلم فاسكو دي جاما هذه المهمة عام ١٤٩٧ م وقاد أربع سفن حول رأس الرجاء الصالح ، ووصل الهند عام ١٤٩٨ م وأرسل مانويل بعدها بدرو ألفاريز كابرال ليتبع طريق دي جاما ، ولكن كابرال خرج عن المسار . وفي عام ١٥٠٠ م وصل أسطوله إلى الساحل الشرقي لما يسمى اليوم البرازيل . ولقد وصل البرتغاليون أيضاً إلى شواطئ أفريقيا وشبه الجزيرة العربية والجزر الماليزية، وجزر الهند الشرقية، وإلى بلاد الشرق .

---

(١) الموسوعة العربية العالمية ص ٣٠٠ .

الإمبراطورية والثروة :

اندفع المستوطنون والجنود البرتغاليون المكتشفون يؤسسون المستعمرات . وما إن جاء منتصف القرن السادس عشر حتى كان تحت سيطرة البرتغاليين إمبراطورية شاسعة فيما وراء البحار ، شملت مستعمرات ما يعرف اليوم بالأقطار الأفريقية : أنجولا ، والرأس الأخضر ، وغينيا بيساو وموزمبيق وساوتومي ، وبرنسيب . وشملت أيضاً البرازيل وماليزيا وإندونيسيا والصين .

كسبت البرتغال ثروة كبيرة من مصادرها في المستعمرات حيث انتفعت من تجارة البهارات في آسيا .كما حصلت على الذهب من أفريقيا ، واشتركت في تجارة الرق .

وحصلت الإمبراطورية البرتغالية على أراض جديدة . وكذلك أنتج المزارعون في البرازيل وأفريقيا ، وفي الأماكن الأخرى ، الحاصلات التي أضافت قوة إلى اقتصاد البلاد[1] .

سنوات الانحطاط :

ظلت البرتغال متمسكة بإمبراطوريتها حتى القرن العشرين ، وعلى الرغم من ذلك تراجعت كقوة اقتصادية وقوة عالمية في وقت مبكر .

وبمراجعة تاريخ الإمبراطورية منذ القرن السادس عشر يتبين أنه كانت هناك علامات تدلّ على أن البرتغال اتسعت أكبر من حجمها . واكتشفت الدولة الصغيرة أنها تملك سفناً قليلة، ومستوطنين وجنوداً ، وبحارة أقل مما يتيح لها إدارة الإمبراطورية الشاسعة الأطراف وتأمين الحماية لها .

وخلال القرن السابع عشر بدأت الدول الأوربية المنافسة ، بما في ذلك إنجلترا ، وهولندا وفرنسا تسيطر على أجزاء من الإمبراطورية .

شاركت السياسات الداخلية ونتائج محاكم التفتيش في عوامل انحطاط البرتغال .

---

(١) الموسوعة العربية العالمية.

واكتسب ملوكها قوة كبيرة ، وحكموا الناس حكماً قاسياً . وكانت محاكم التفتيش محاولة من قبل الكنيسة الرومانية الكاثوليكية لإنهاء الإلحاد (الهرطقة) ، وبالإضافة إلى ذلك ألحقت أضراراً جسيمة بالتطور الثقافي والاقتصادي للبلاد [١] .

الفتح الإسباني :

احتلت إسبانيا البرتغال عام ١٥٨٠م ، وحكمت القطر ستين عاماً . وفي عام ١٦٤٠ م قاد جون دوق براجانزا عصياناً أخرج فيه الإسبان واستعاد استقلال البرتغال وأصبح جون أول ملك من عائلة براجانزا ، آخر سلالات ملوك البرتغال . ولقد أخذ جون هذا لقب جون الرابع [٢] .

نهضة محدودة :

دخلت البرتغال فترة انتعاش اقتصادي قرابة سنة ١٦٦٠ م ، إذ أضافت ثروات من مستعمراتها في البرازيل مثل الذهب والماس ، والحاصلات الزراعية إضافة كبيرة إلى اقتصاد القطر . كما ساعدتها المعاهدة التجارية مع إنجلترا في عام ١٧٠٣ م، والمسماة معاهدة ميثيون التي ضمنت استقراراً تجارياً عاد بالنفع على البلدين .

كذلك ساعدت بريطانيا البرتغال في تأكيد وضعها بصفتها دولة مستقلة. حاولت إسبانيا استعادة سيطرتها على البرتغال ، لكن إنجلترا بصفتها عدواً لإسبانيا تعهدت بتقديم الدعم للبرتغال ضد الغزاة .و بين عام ١٧٠٣ م ومنتصف القرن التاسع عشر ، قام الإنجليز مرات عديدة بمحاولات لحماية البرتغال من محاولات غزو وتهديدات إسبانيا أو حليفاتها . وقد احتلت القوات الفرنسية ، تحت إمرة نابليون الأول البرتغال عام ١٨٠٧ م ، لكن إنجلترا حشدت جيشاً بقيادة دوق ولنجتون وتمكنت أخيرا من طرد القوات الفرنسية من البرتغال عام ١٨١١ م . وهذه الفترة القصيرة التي حكم فيها الفرنسيون البرتغال كانت آخر مرة

---

(١) الموسوعة العربية العالمية

(٢) المصدر نفسه، وعجمان في ذاكرة الزمان ص ٣٦ .

تخضع فيها البرتغال لحكم أجنبي [١] .

العصر البرتغالي :

منذ أواخر ١٤٩٥ م والبرتغاليون يطمعون في غزو العالم والسيطرة عليه، ومن المؤرخين مَن يرى أنهم دخلوا المحيط الهندي والخليج سنة ١٥٠٢ ، و١٥٠٣ أو ١٥٠٧ م حتى أخروجهم سنة ١٦٢٢ م من هرمز ومن مالاقة بالهند سنة ١٦٤١ م، وباختلاف السنوات التي سيطرت فيها كل دولة على تلكم البقاع فإن تاريخ تلك العهود اتصف بالدموية وهناك آلاف الصفحات السوداء من سيرة ذلك السرد التاريخي لعصور هؤلاء القوم وما أحدثه غزوهم من نتائج سلبية في إسالة الدماء والدمار والحرق والتخريب في مقدرات الشعوب وإشاعة الفوضى وإنهاك الاقتصاد غير ذلك من السلبيات .

الدوافع الدينية للسيطرة على العالم :

إن النجاح التجاري الذي حققه الملك مانويل الأول خوّله بإضافة لقب (سيد غزو الملاحة وتجارة الهند وأثيوبيا وبلاد العرب وفارس) إلى ألقابه ، وبارك البابا هذا اللقب .

ومن المؤكد أن الهدف الأول كان ذا طابع تجاري . إلا أنه تلون بلون (صليبي) لا يمكن إنكاره لدى فاسكو دي جاما وألفونسو دي البوكرك ، وقادة البرتغال. ويبدو بشهادة جواد دو باروس المؤرخ البرتغالي من القرن الثامن عشر أن نشاطهم في هذه المنطقة من العالمْ كان من أكثر الأنشطة تهديماً :

« لقد خص الله البرتغال بنعمة أن كتب لهم غزوَ الكفار وخاصة العرب منهم الذين غادروا بلادهم الواقعة في الشرق ووفدوا إلى بلادنا في الغرب ».

وقد كانوا يظنون أن العرب سوف ينزلون الويلات بإسبانيا وتدمير أراضيها وإتلافها ،

---

(١) الموسوعة العربية العالمية ص ٣٠١ (نصاً) ، ولمزيد من المعلومات يرجى مراجعة المصدر حتى الصفحة رقم ٣٠٣ . وانظر أيضاً : صراع القوى في المحيط الهندي والخليج العربي الصفحات ١١٣ - ١٢٠ ، وانظر أيضاً :
The world Book encyclopedia (P) Vol. 15 , USA 1995, PP689 & 708.

عقاباً لها على خطاياها ، ثم قضت إرادة الله أن يمارس البرتغاليون حقهم الطبيعي هذا ، بعد انقضاء قرون عديدة وبالطريقة ذاتها (هكذا كانت رؤاهم) ، بحد السيف ليس فقط في الجزيرة العربية الجدباء ، حيث دمروا مدنها وأحرقوا منازلها وسبوا نساءها وأطفالها ، واستولوا على الثروات وملكوا مدنها ، ولكن في بلاد الفرس أيضاً » .

لا تحتاج هذه الأقوال إلى تعليق ، وإذا أضفنا إليها الأرباح التجارية التي بلغت ٣٠٠٠ ٪ من بضائع الشرق فلن يصعب علينا أن نتخيل الحمّى التي أصيب بها البرتغاليون في الانقضاض على المدن الهندية والأفريقية والعمانية وكذلك هرمز وصحار والبحرين والقطيف والبصرة فيما بعد [١] .

يقول المؤرخ البرتغالي : جواو دو باروس :

(غزا البرتغاليون الفرس ، وهم شعب ذاع صيته نظراً لقدم بلادهم وكثرة أسلحتهم وعراقة حضارتهم ، وقد دفع الفرس ثمن إهانتهم لإسبانيا؛ لأنهم اعتنقوا ديانة أولئك العرب المتخلفين) !!!

أهمية القطيف في العصر البرتغالي :

القطيف إحدى الدويلات في حوض الخليج وقد مرت عليها عهود مختلفة، ففي العصر البرتغالي كانت ذات استقلالية شأنها شأن البحرين والبصرة وهرمز وصحار ومسقط وعدن وقيس والأحساء وقطر وغيرها من الدويلات والإمارات التي تتحكم فيها مشيخات، سواء أكانت عربية أم سناجق أم ألْوِية تركية، وكانت ملاحياً لا تقل أهمية عن باقي موانئ الدويلات في حوض الخليج، فقد تعددت البنادر فيها لكثرة مدنها الساحلية إلى جانب محصولها السنوي من الإنتاج الزراعي وبالذات التمور وغيره من الغلال حتى إن كثيراً من شيوخ وحكام الدول في تلك الفترة كانوا يملكون بساتين النخيل العامرة في مناطق واحة القطيف . وهناك شواهد تاريخية واقتصادية كلها تدل وبوضوح تام على أنّ القطيف إحدى

---

(١) عمان (الديمقراطية الإسلامية) ص ٩٣ ، وانظر أيضاً : عجمان في ذاكرة الزمان ، ص ٣٢ و ٣٣ .

الدول التي لا تقل أهمية عن بقية الدويلات والمشيخات التي برزت في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين ، هذا، إن لم تكن قد فاقت بعض الدول أو الإمارات في بعض المراحل التاريخية لاتساع رقعتها الزراعية ووفرة محصولها، إلى جانب استخراج اللؤلؤ بكميات تجارية لا تقل أهمية عن أية دولة أخرى. وهذه الأهمية البارزة جعلتها قبلة للغزاة والطامعين في خيراتها فغزوها عبر السنين دون كلل أو ملل من البر والبحر .

هل تأثر القطيفيون بالبرتغاليين ؟

لا أعتقد – جازماً – أنهم تأثروا بهم ، وذلك لأسباب عديدة، فالبرتغاليون غزاة وكفرة في نظر المواطن في ذلك العصر ، فإلى جانب أن البرتغالي غازٍ فهو كافر لا يدين بدين أهل البلاد وإلى جانب حاجز اللغة فالتخاطب معدوم والثقة مهزوزة والتعامل حذر إلى أبعد الحدود، فالغازي لا يريد خيراً لأحد ويحسد الآخرين على النعمة التي في يد غيره مهما كان نوعها ، فلم يلبس القطيفيون ملابس شبيهة بملابس هؤلاء الغزاة ، ولم يبنوا سفناً مثل سفنهم ، ولم يتعلم أحد لغتهم ليتحدث معهم أو يكتب بها ، وبمعنى آخر: أن التأثر بالبرتغاليين كان معدوماً ، وهناك من يرى من اللغويين بأن اللهجة الشعبية الدارجة في منطقة القطيف والخليج عموماً فيها شيء من أسلوب البرتغاليين وحديثهم وفي بعض المفردات من لغتهم مثلاً ، لكنَّ هذا ليس شرطاً، وإن كان فهو من باب السخرية فقط وأنهم يضيفون إلى بعض المفردات (أو) أو (ووه) في نهاية الكلمة مثلاً (عبدووه) و(جمعووه) وأن اللغة البرتغالية فيها (أو) في نهاية معظم كلماتها كما في مدنهم مثلاً: (S. ANTO) و (NIO) و (ESPINHO) و (OPORTO) و (AUEIRO) وغيرها من مفرداتهم التي تنتهي بحرف الواو الممدود

(OO وو) :

أربعة	QUATRO	محرفة من ربع الإنجليزية QUARTER
خمسة	CINCO	
ثمانية	OITO	
قارب	BABCO	
دجاجة	FRANGO	
كعك	BOLO	
بوظة	GELADO	
السبت	SABADO	محرفة من العربية السبت
الأحد	DOMINGO	

وكذلك الشهور جانيورو ، فيفريرو ، مارسو ، مايو ، جولو ، اوغستو ، سبتمبرو ، اوكتوبرو ، نوفمبرو ، ديزيمبرو ، وهذا موجز فقط ليطلع القارئ على شيء من طريقة الأداء في اللغة البرتغالية .

الغوص كما يصفه البرتغالي بيدرو تيخسيرا :

هذا تقرير عن الغوص في البحرين وهو نسخة طبقَ الأصل من الغوص في الخليج ، إلى جانب أن القطيف جزء من البحرين في معظم حقب التاريخ .

يبدأ الغوص في المنطقة [1] في شهر يونيو وأحياناً في يوليو حتى شهر أغسطس ويتكون أسطول الغوص من مئتي سفينة أو ربما أقل، مئة من البحرين وخمسين من جلفار (رأس الخيمة) وخمسين من نخيلو وتتجه هذه السفن إلى ساحل قطر على بعد عشرة فراسخ جنوب الجزيرة وبعد صيد الأصداف تفتح لاستخراج اللؤلؤ منها وتمتاز لآلئ البحرين بالجودة

---

(١) نقصد بها هنا البحرين والقطيف وقطر وسواحل إيران كذلك. وتكرار كلمة البحرين في هذا التقرير يقصد به القطيف أيضاً لأن البلدين ذوا تاريخ مشترك في معظم حقب التاريخ ، إلى جانب أن مغاصات اللؤلؤ كانت مفتوحة ومشتركة بين سفن جميع الدول في حوض الخليج منذ القدم .

والوزن الثقيل ولو قارنا لؤلؤة بالحجم نفسه من مكان آخر مع لؤلؤة من البحرين نجد أن وزن البحرينية أكبر ويبلغ حجم تجارة اللؤلؤ في البحرين خمسمئة ألف (ركتا) وذلك غير الكمية الكبيرة المهربة بعيداً عن الحكومة الهرمزية تحاشياً للضرائب ،وتدفع البحرين سنوياً إلى قائد هرمز مبلغ أربعة آلاف (ركتا) ضرائب من إيرادات اللؤلؤ فيها (وذلك قبل دخول الفرس إلى البحرين) .

وتستخدم أوزان القيراط والمثقال في عملية وزن اللؤلؤ ويعتبر قيراط عباس ثلث القيراط وكل أربعة وعشرين قيراطاً مثقال واحد ويعادل المثقال عشرين أو ثلاثين أو حتى أربعين لؤلؤة صغيرة .

ويغوص الغواص في البحرين بعد ربط الحجر في قدمه وإلى عمق اثني عشر باعاً . وهناك مغاصات أخرى تستخدم في شهر سبتمبر قرب نخيلو والبحرين وجلفار وأخرى قرب مسقط ورأس الحد وبعضها تقع في بحر هرمز الضيق [1] ، ولكن لا تمتاز هذه المغاصات بالوفرة ، أما عن المغاصات الشرقية الأخرى المسمّاة (تيلاو)، وسميت هذه المواقع على اسم ميناء في جزيرة (سيلان) في السابق وتعني المصائد باللهجة المحلية والتي يطلق عليها لهجة (الشانجلا) . ويدخل موسم الغوص في سيلان في شهر أبريل وبداية مايو وذلك قرابة شهر أو شهرين في بداية موسم الغوص في البحرين وذلك لأن الصيف يأتي مبكراً إلى سيلان عنه في البحرين ، والبحر يكون هادئاً ويتكون أسطول سيلان من أربعمئة إلى خمسمئة سفينة تحمل كل سفينة من ستين إلى تسعين بحاراً ثلثهم (كروه) (غيص) والباقون (مانديسا اليب) ويكون كل اثنين منهم فريق غوص واحد وتنقسم السفينة إلى عدة أجزاء (بتاقا) وتعني حجرة أو جزءاً من تجويف السفينة حيث يضع كل غواص ما يصطاده مستقلاً عن غيره ويسمون البحار (ثيبو) ولا يقومون بفتحها حتى يؤذن لهم بعد توقف الصيد وتستمر عملية فتح الصدف ستة عشر يوماً وتصطاد كل سفينة يومياً من مئة إلى ألف

(١) قمنا بتصحيح بعض المعلومات ؛ لأن التقرير لم يكن سليماً .

محارة ويحاولون ألا تصطادكل سفينة أكثر من ذلك محافظة على أسعار اللؤلؤ أو بعد مضي ستة عشر يوماً من الصيد وإن كان الصيد غير كاف تمدد فترته إلى نصف (بيك) أربعة أيام أو (بيلو كامل) (٨ أيام) و (يكافأ) الغواص يومياً لقيامه بعمله (أي يعطى نقوداً مقابل العمل أو يعطي ما يصطاده الغيص في غطسة واحدة لربان السفينة ويحتفظ بالباقي لنفسه (لذا توضع كل مجموعة على حدة) ويقرر الربان المجموعة التي يختارها لنفسه ، وفي نهاية كل أسبوع له صيد يوم كامل وتقدم كل سفينة صيدَ يومٍ كامل لحاكم المدينة (مدينة مدوره) وكانت في السابق تقدم كمية لزوجة قائد الحامية البرتغالي ولكن أوقفت هذه العادة الآن بأمر من رؤساء الشركة (اليسوعيين) والذين يديرون منذ بداية القرن السابع عشر الأمور التجارية والدينية لسكان الساحل الشمالي الغربي للجزيرة رغم معارضة (الرهبان الفرنسيسكان) ولقد أوقف اليسوعيون ما كان يقوم به القائد البرتغالي لمخالفته النظام . ويغوص الغواص إلى عمق عشر أبواع وتشارك سفينتان برتغاليتان في حماية أسطول الصيد خشية هجوم قراصنة ملبار ويشترك ما يقارب من خمسين إلى ستين ألف من التجار والبحارة وصيادي الأسماك والخدم في موسم الغوص ويقيمون في معسكرات متنقلة وتبلغ إيرادات اللؤلؤ مليون ونصف من العملات الذهبية كل عام .

وبعد انتهاء موسم الغوص يعلن عن بدء فتح المحار وتلتقط اللآلئ إن وجدت في المحار وتؤخذ إلى ميناء توتان كوري حيث يقام سوق لبيع اللؤلؤ من شهر يونيو حتى أكتوبر ويتم تسعير اللؤلؤ بطريقة قياس (الجو) وتباع اللآلئ في مبان مثل مبنى الجمارك حيث يشرف عليها دلالون تابعون لحاكم البلاد (النايك) الذي يأخذ ٤ ٪ من سعر البيع ولا يأخذ أي شيء من المشتري ، وللمشتري حق تغيير رأيه بعد يومين دون جزاء .

إلى جانب عملية البيع المنظمة تتم معاملات سرية في اللؤلؤ المهرب تحاشياً من ضرائب الحاكم وتشترى وتباع حسب نظام (الجو) أيضا، وتوجد لآلئ في الصيد ولكنها ليست بالجودة نفسها وتسمى (توبوس) (أغطية) لأشكالها الغريبة.

لقد كتب الكثير عن اللؤلؤ ، وقيل بأن اللؤلؤ يتكون نتيجة نقطة مطر تسقط داخل المحارة حيث لا يعقل أن تطفو هذه المحارة الثقيلة إلى السطح لكي تبتلع نقطة المطر ونعلم أيضاً أنه كلما كانت المحارة في عمق أكبر كانت اللؤلؤة أكثر جودة .

وذكر تيخيسرا أن هناك جزءاً من المحارة لو قطع وصقل يتحول إلى لؤلؤة كما لو كانت غير ملتصقة ، ولذا أؤكد أن اللؤلؤ يتكون من مادة المحارة نفسها بسبب أو آخر ويساعدني في هذه الفرضية أن تركيب اللؤلؤ هو تركيب المحارة الحاوية لها نفسها . ولكن أتعجب من الأطباء الذين يستخدمون اللؤلؤ في الوصفات الطبية [١] .

لؤلؤ القطيف في نظر البرتغال :

من الأهداف التي يطمح إليها ملك البرتغال مانويل الأول في تلك الفترة الزمنية هو الحصول على اللؤلؤ الخليجي لما يتمتع به من صفات وشهرة عالمية منذ القدم وكان في البحرين وكيل للملك يجمع اللؤلؤ نظراً لأهميته الاقتصادية وفي التقرير التالي الذي كتبه جون هيوفان لينخوتن[٢] في أثناء رحلته إلى الهند الشرقية في ٨ / ٤ / ١٥٨٤ م مايثبت لنا ذلك ،وقد ترجم النص عن البرتغالية إلى الإنجليزية بوساطة آرثر كوك بدنل (فارس إمبراطورية الهند) الذي كان موظفاً في دائرة الحكومة في مدراس سنة ١٨٨٥ م :

تسمى اللآلئ البرتغالية (بيرالوس) [٣] والصغار منها تسمى (الجفار) وباللغة اللاتينية (مارجريتا) وبالعربية (اللؤلؤ) وفي الهند تسمى (موتى) وفي ملبار (موتيتو) وتجد اللآلئ الجيدة في بلاد الشرق وأجودها في تلك البلاد الواقعة بين هرمز والبصرة في مضائق خليج فارس وفي البحرين والقطيف وجامبرون [٤] وتنقل هذه اللآلئ من هذه البلاد إلى هرمز وهناك وكيل لملك البرتغال في البحرين ، يقيم بها من أجل اللآلئ فقط وهناك حركة

(١) تاريخ الخليج والبحر الأحمر ، في أسفار بيدرو تيخسيرا ط ١ ، س ١٩٩٦ م ، ص ١٠٤ / ١٠٥ ، ١٠٦ .

(٢) من قرية لينخوتن في مقاطعة اوترت حيث ولد فيها سنة ١٥٦٣ في هولندا أيام الاحتلال الإسباني .

(٣) تاريخ البرتغاليين في الخليج العربي ص ٩٨ .

(٤) بندر عباس في العهد الصفوي حتى اليوم .

تجارية قوية وتجار يتعاملون في تجارة اللؤلؤ .كما توجد اللآلئ في سيلان وفي رأس كمرين وبكثرة وكما في البحرين وفي هذه المناطق ضباط برتغاليون ممثلون للملك ، يساعدهم جنود برتغال في عملهم .

ويعتمد سكان هذه المناطق على صيد اللؤلؤ ويدفع بعضهم الثمن إما بالغرق أو بعد أن تهاجمه أسماك (توبارونس) أي أسماك (القرش) .

ومع الوفرة الكبيرة فإن لؤلؤ هذه المناطق لا يضاهي لآلئ هرمز والتي تباع بأثمان أكبر من لآلئ سيلان . وبنسبة أقل من المناطق السابقة ، وتوجد لآلئ في جزيرة (بورنيو) و(عينون) على ساحل (كوشين) ولكن تبقى لآلئ هرمز أجود منها جميعاً .

– كما يقال – في سيلان يغوص الغواص من أجل هذه اللآلئ الصغيرة منها في القاع والكبيرة منها (تعوم إلى السطح) ، ولا يرتدي الغواص أي شيء ويحمل معه سلة مربوطة في جسمه ليضع فيها المحار الذي يجمعه على عمق عشرة إلى عشرين باعاً .

وعندما يخرج من الماء يضع المحار على ظهر السفينة وبعدها يقوم الرجال بوضع هذا المحار في الشمس حتى يجف ليؤدي إلى فتح المحارة ، حتى يتسنى للغاصة جمع اللآلئ الصغيرة.

في نهاية موسم الغوص يعود البحارة وربابنة السفن ومراقب ديوان الملك إلى اليابسة وتوزع اللآلئ إلى مجموعات واحدة منها للملك والثانية لربان السفينة والثالثة (للآباء اليسوعيين) والذين يقيمون هناك، وهم الذين قاموا بالتبشير المسيحي في البلاد ، أما الجزء الرابع فللبحارة .

توزع هذه المجموعات بطريقة يسودها العدل والمساواة ويخرج الناس في موسم الصيف فقط ولا يمر عام دون أن يغرق أحد الغواصين عند مصائد الملك الواقعة عند رأس كومرين وكثيراً ما ينتهي موسم الغوص ببكاء النساء والأطفال الذين فقدوا أزواجاً وآباءً أو أقارب لهم . ومع ذلك فإن العمل نفسه يأخذ مجراه ويخرج الناس للغوص بدافع من البرتغاليين إلى جانب كونه المصدر الأساس للكسب والعيش.

ويغامر الناس بالغوص لأنه رغم المصاعب يحصلون على اللؤلؤ والكثير منه أحياناً ولكن لا يمنع ذلك أنهم أحيانا لا يحصلون على شيء أبداً .

يسمي الهنود المحار الذي يحتوي على أجود لؤلؤة (جريبو) ويستخدمون هذا المحار في صناعة الأكواب والملاعق .

ويقوم تجار اللؤلؤ بتصنيف اللؤلؤ بفصل الأحجام المتشابهة بوساطة (منخل نحاسي) وتباع الأحجام المتساوية بالسعر نفسه في كل حالة وترتفع الأسعار كلما كبرت الأحجام وهكذا حتى ثمانية أحجام ، أما الباقي والذي يعتبر أصغر حجماً من الجميع فإنه يباع بالأوقية وتسمى هذه الأحجام (الجوفر) أو (اليوفار) ويشتريها البرتغاليون ويحملونها معهم إلى البرتغال والبندقية ويقوم الهنود بتلميع اللآلئ باستخدام الأرز المجروش مع الملح فضلاً عن نوع آخر من المحار. وتستخدم هذه الأنواع للزينة أو آنية للشراب، ويطلى بعض منها ويُزيَّن .

وتستخدم في الهند في صناعة الأثاث الخاص بالبحارة أو أدوات الزينة أو حتى أجزاء من أم المحار تستخدم في أغراض منزلية كثيرة وبعض منها يصل إلى البرتغال للأغراض نفسها، مع استخدامات نسائية في صناعة الحلي في الهند والتي تلبسها كل النساء دون تفرقة .

وتكثر السلاحف في الهند وتستخدم عظامها في صناعة الأمشاط والأكواب والأواني وتلاقي هذه التجارة رواجاً كبيراً في الهند أكثر من تجارة أم المحار وخاصة بعد طلائها وتلميعها [1] .

تجارة القطيف في العصر البرتغالي :

منذ عهود بعيدة عرفت القطيف التجارة في أعالي البحار ، كما عرفت الطرق التجارية منها إلى أنحاء متفرقة في الجزيرة العربية ، وهناك ثلاثة طرق، إحداها يؤدي إلى نجد والأخرى إلى مملكة كندة أما الثالثة فتتجه شمالاً إلى المدن الرومانية وكانت موانئ المنطقة

(١) تاريخ البرتغاليين في الخليج العربي ، ص ١٠٠ .

دائبة الحركة في الاستيراد والتصدير ، ولعل طرق أعالي البحار كانت أكثر رواجاً وحركة أو أوفرها؛ لما لها من مردود اقتصادي كبير وعرفت المنطقة أسواقاً عبر الحضارات واستمرت حتى العصر الجاهلي وامتدت أيضا تلك الأسواق إلى فترات متباعدة في عصور إسلامية لاحقة . ولم تضعف التجارة في أي عصر من العصور فكانت السفن في حركة دؤوب تمخر عباب مياه المنطقة طوال أيام السنة مملوءة أخنانها بمختلف أنواع البضائع قادمة من موانئ عديدة من مختلف الأقطار .

استيرادات القطيف :

تستورد القطيف التوابل والعقاقير والحجارة الكريمة والزيوت العطرية والفلفل والزنجبيل والقرفة والقرنفل وجوز الطيب والعود والصندل والبلسم والتمر الهندي والزعفران وشمع العسل والحديد والسكر والأرز وجوز الهند والزجاج والخزف والخشب بمختلف أنواعه والصمغ العربي والبنادق والشمع والتبغ والقطن .

صادراتها :

وتصدر القطيف اللؤلؤ والخيول والسيوف والرماح الخطّية [1] والتمور والسلوق والربيان المجفف والأسماك المجففة والجلود والقمح والشعير .

وهناك إنتاج محلي كبير من الحبوب والألبسة التي تكفي السوق المحلية، ولا تصدر إلى الخارج، فالحبوب مثل الفاصوليا والعدس والأرز والثمار كالرمان والعنب والذرة والتمر ، وكذلك بعض التوابل المحلية وكل هذه المحاصيل مازالت قائمة في القطيف وواحاتها ولكن على نطاق محلي، إلى جانب الألبسة والستور والبرد المعروفة منذ صدر الإسلام [2] .

---

(١) وهما نوعان (الرّديني) و (السمهري) وهما من النوع الصلب . انظر (الخليج العربي في العصور الإسلامية) ص ٢١٧ .

(٢) ذكر كثير من المؤرخين عن الألبسة في الخليج في صدر الإسلام ، انظر تفسير الطبري ج ٧ ص ٢٥ والبيان والتبيين للجاحظ ج ٣ ، ص ١٢١ .

وحتى وقت قريب كان في القطيف حي يدعى حي (الحاكة) وكل أهله يعملون في الحياكة والنسيج وقد اندثرت صناعة الألبسة اليوم في القطيف وقراها .

نماذج من السلع مع سعرها في العصر البرتغالي ، تعود إلى عام ١٥٧٩ م :

ت	السلعة / البضاعة	الكمية / الوزن	السعر
١	البخور	الرطل الواحد	٩٣٠ جلدر هولندي
٢	التمور المجففة (السلوق)	المن الواحد	٤,٢ محمودي
٣	التمور المعلبة (قلال)	المن الواحد	محموديان اثنان وربع
٤	الزبيب	المن الواحد	ثلاثة محموديات
٥	أبنوس	١٧ قطعة	٢٠٥ ليبرات
٦	سكر	١٧ قطعة	٩٣٦ ليبرة
٧	حرير	بالة صغيرة	١٠٢ ليبرة
٨	بخور	بالة صغيرة	١١٨٥ ليبرة
٩	جوز طيب	بالة صغيرة	٢٣٦ ليبرة
١٠	فلفل	بالة صغيرة	٧٧٠٦ ليبرات
١١	العفص	١٣	دوكا

لم تكن هناك عملة محددة في موانئ وأسواق الخليج ، فلقد كانت بلدانه مفتوحة وجميع المحلات والتجار يقبلون على التعامل المصرفي بكل الفئات المتاحة ، وكانت الصفقات تتم بالعملات المتعارف على قيمتها في السوق الخليجية ، وفي الهند أولاً ثم يأتي دور العملة الغربية، أي الوافدة من خارج حوض الخليج ومحيط المحيط الهندي ، وإليك قائمة بالعملات المتداولة وقيمة كل منها في العصر البرتغالي :

ت	العملة	الدولة	القيمة
١	التومان	إيران	التومان يساوي ٤٠ جلدر هولندي
٢	الريال	البرتغال	يعادل مارك فضي
٣	ليبرة		الجمع ليبرات
٤	الجلدر	هولاندا	وحدته ستويفر ويعادل = ٢٠ستويفر
٥	الدوكة	عملة مدينة البندقية	إيطاليا وتساوي دولارين وربع
٦	المحمودي	البحرين	
٧	ركتا		
٨	الشاهي	إيراني – صفوي	قطعة من العملة الفضية ٠,٦ من
٩	فلورين	هولاندا	الجلدر تساوي ٢٠ ستويفر
١٠	باون		
١١	روبية	الهند (هندوستان)	١٦ آنة
١٢	دوكان		
١٣	عباسي		
١٤	لارين	لار(في إيران)	ثم سكت في سيلان ثم جمبرون ١٥١٢م ثم الاحساء
١٥	باتاكاس		
١٦	الجنيه	إسترليني	يساوي ٨٠ محمودي
١٧	زرافين		
١٨	الريال	إسبانيا	يســـاوي ٤٨ ســـتـــويفـــر
١٩	ركس دولار	إسبانيا	RIX - DOLLAR
٢٠	أشرفي	البحرين	
٢١	بردوسة	البرتغال	
٢٢	بارادو		
٢٣	باره	تركية	تساوي ٢٠ قرشاً (غروش)
٢٤	طويلة الحسا	الأحساء	مستنسخة من اللاريه (لارين)

العملات المتداولة في العصر البرتغالي :

كانت العملات في أيام احتلال البرتغاليين لدول الخليج ومحيط المحيط الهندي تشير إلى نظام مالي دولي ، ففي الجدول ما يشير إلى ذلك حيث إن العملات المتداولة والمقبولة محلياً لها مدلولاتها الاقتصادية الكبيرة وهذه بعض التفاصيل التي توضح أن تلك العملات كانت متداولة في ذلك العصر .

١ – الأشرفي :

أ – في ١٥١٥ م (في شهر أكتوبر) في أثناء وقوف البوكيرك في هرمز بعث حاكم البحرين برسول ومعه خيول هدية له وبقي المبعوث البحريني في هرمز لمدة شهر وأعطاه البوكيرك عشر قطع من الأشرفي وكميات من الأرز والحرير [١].

ب – وبعد توطيد دعائم البرتغاليين في هرمز ووفاة البوكيرك في ديسمبر ١٥١٥ م رفض حاكم البحرين الجديد مقرن (يسميه البرتغاليون مكرم) أن يدفع الخراج كالمعتاد لحاكم هرمز وهكذا خسر الرئيس شرف (الدين) حاكم هرمز أكثر من ٥٠٠٠ أشرفي وهو المبلغ الذي كانت تدفعه البحرين وبمساعدة من الأتراك [٢] .

٢ – دوكات (دكات) :

أ – لقد استولينا على السفينة (مريم) العائدة من مكة والتي كان على ظهرها ٣٨٠ راكباً وكان بينهم كثير من النساء والأطفال واستطعنا سلب ١٢,٠٠٠ دوكة Ducat منها نقداً كما سلبنا من جميع من كان على ظهرها وكان ذلك في اليوم الأول من شهر تشرين الأول[٣] . أظنه عام ١٥٠٦ م .

---

(١) الوثيقة ع ٨ ، س ٢ ، ربيع الثاني ١٤٠٦ هـ ،يناير ١٩٨٦م.

(٢) المصدر السابق .

(٣) الوثيقة ع٣، س٧ ،١١ ،١٤٠٨هـ/٧/١٩٨٨م . ص١٠٨ .

٣ – الريال :

أ – وفي رحلة من البنغال إلى الملبار في عام ١٥٣٠ م حملت إحدى السفن الملكية ما قيمته ١٢٫٠٠٠ ريال من البضائع العائدة لربان السفينة ولم تكن تحمل للحساب الملكي سوى ما قيمته ٤٠٠ ريال فقط [١] .

٤ – ليبرة :

أ – فقد كان المعدل السنوي للواردات البرتغالية من الفلفل في الفترة بين عام ١٥٨٧ و ١٥٩٩ م هو ١٠٧٣١ كونتالاً أي أكثر من مليون ليبرة [٢] .

ب – وخلال ثلاث سنوات ١٥٨٧ – ١٥٩٠ م كان المعدل السنوي ٢٠٫٠٠٠ كونتال، وفي التسعينات انخفضت الكمية إلى النصف فكان قرابة مليون ليبرة في حين ارتفع الاستهلاك الأوربي لهذه السلعة ليقترب من خمسة ملايين ليبرة [٣] .

تأثر سفن العرب بالبرتغال :

تشير الأبحاث بأن العرب نافسوا البرتغاليين في صناعة السفن ، ويرى و. هـ. مورلاند W. H. Moreland، أنه منذ عام ١٥٠٧ م بدأ العرب يبنون سفناً على غرار السفن البرتغالية ، والحقيقة أن البوكيرك نفسه قد كتب مرة أن الهنود أخذوا يقلدون البرتغاليين في بناء السفن وأنهم استفادوا من التقنيات البرتغالية ، ولاحظ أحد السائحين في عام ١٦٣٨ م ثماني سفن هندية في آجة، وصفها قائلاً : (إن لم تكن للمرء فكرة مسبقة عنها فإنه لا يستطيع إلا أن يظنها سفناً أوروبية ، ويعتقد بوكسر أن نجاح تجارة آجة وكوجرات مع البحر الأحمر يعود بالدرجة الأولى إلى تفوق سفنها وقوتها) [٤] .

---

(١) الوثيقة ، المصدر السابق ص١١٦ .

(٢) الوثيقة ، المصدر السابق ص ١٢٠ .

(٣) الوثيقة ، المصدر السابق ص ١٢٠ .

(٤) الوثيقة ع ١٣ ، س ٧ ، ١١ ، ١٤٠٨ هـ /١٩٨٨/٧ م ، ص ١٢٣

القلاع والطراز المعماري المحلي :

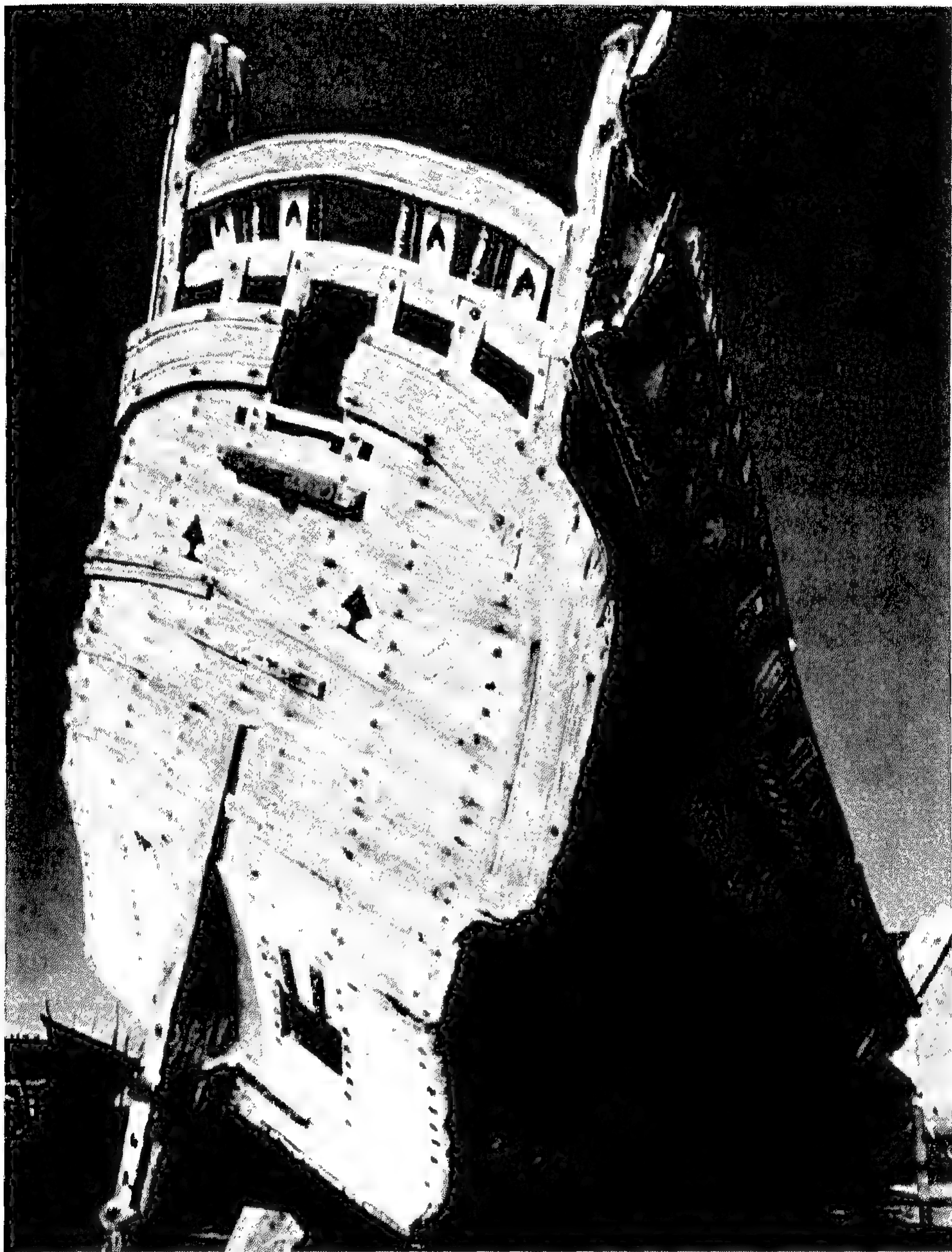
بنيت القلاع في المدن الخليجية كافة بامتداد السواحل البحرية من البصرة في شمال الخليج حتى سواحل عمان ، وامتداداً إلى اليمن وكل هذه القلاع ذات طراز معماري إسلامي واحد ، وقد أنشاها الأهالي بأيديهم للدفاع عن شرفهم ووطنهم ، فالبرتغاليون غزاة قد يستمر احتلالهم منطقة ما يوماً أو بعض يوم ، وهذا يعني أنهم غير مستعدين للبناء بقدر الهدم وأن كل المؤرخين ذكروا أنهم غزاة همهم الكسب المادي والهدم وما أكثر المدن التي دكت وهدمت قلاعها ، إلى جانب أن كل المدن التي مروا بها كانت محصنة وذات قلاع قبل مجيء البرتغاليين إلى جانب أنه لا يوجد طراز معماري واحد على الطريقة البرتغالية في أي من مدن الخليج بتاتاً وما تقدم بك حول هذا الموضوع يدل دلالة واضحة على صحة هذا القول .

الأسلحة المستخدمة في العصر البرتغالي :

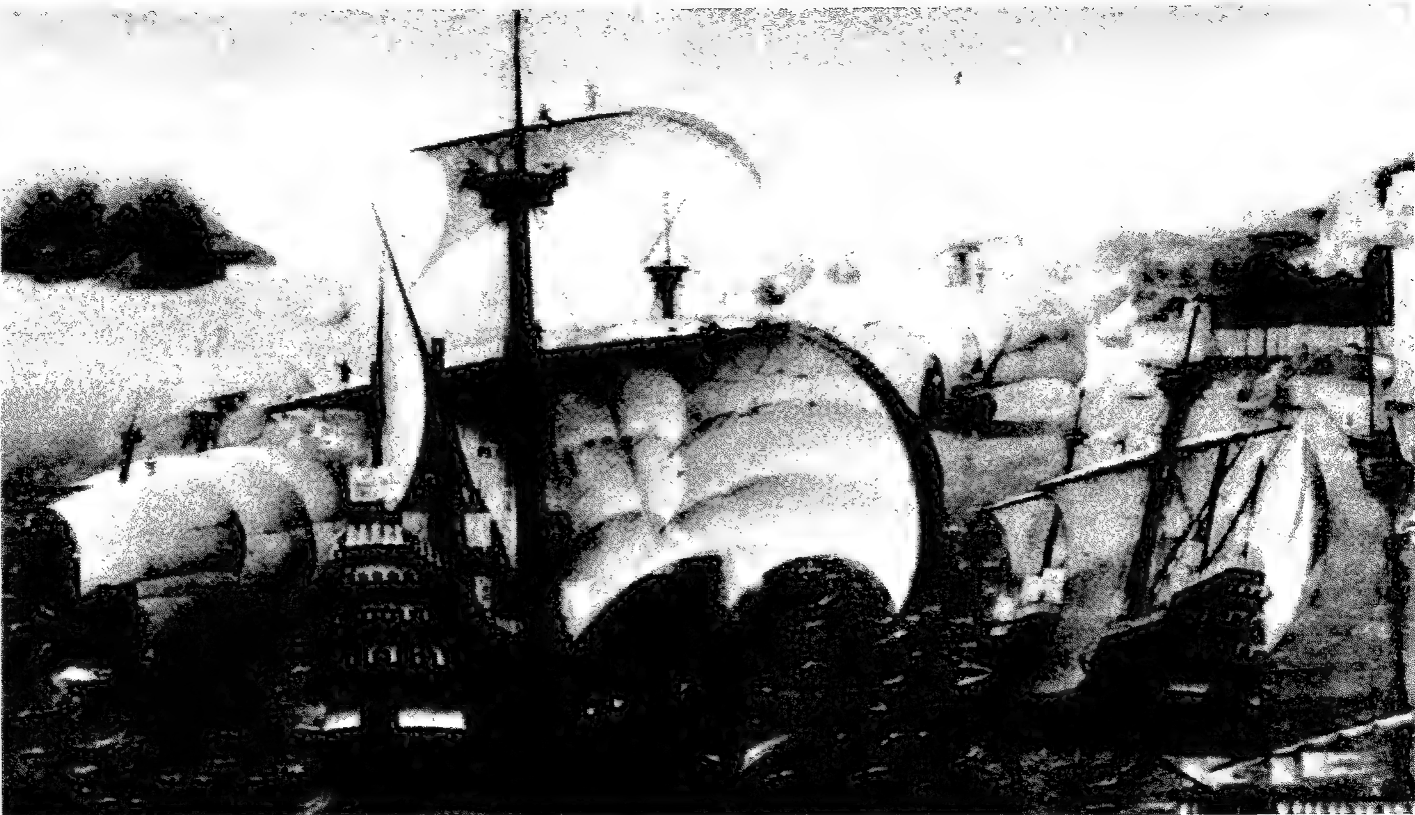
لم يكن لدى البرتغاليين أي مركب بدون مدافع أو بنادق أو بارود، فكانت كلها مزودة بالأسلحة وكانت معظمها من صنع البرتغاليين أنفسهم، خصوصاً المدافع والبنادق والمسدسات.



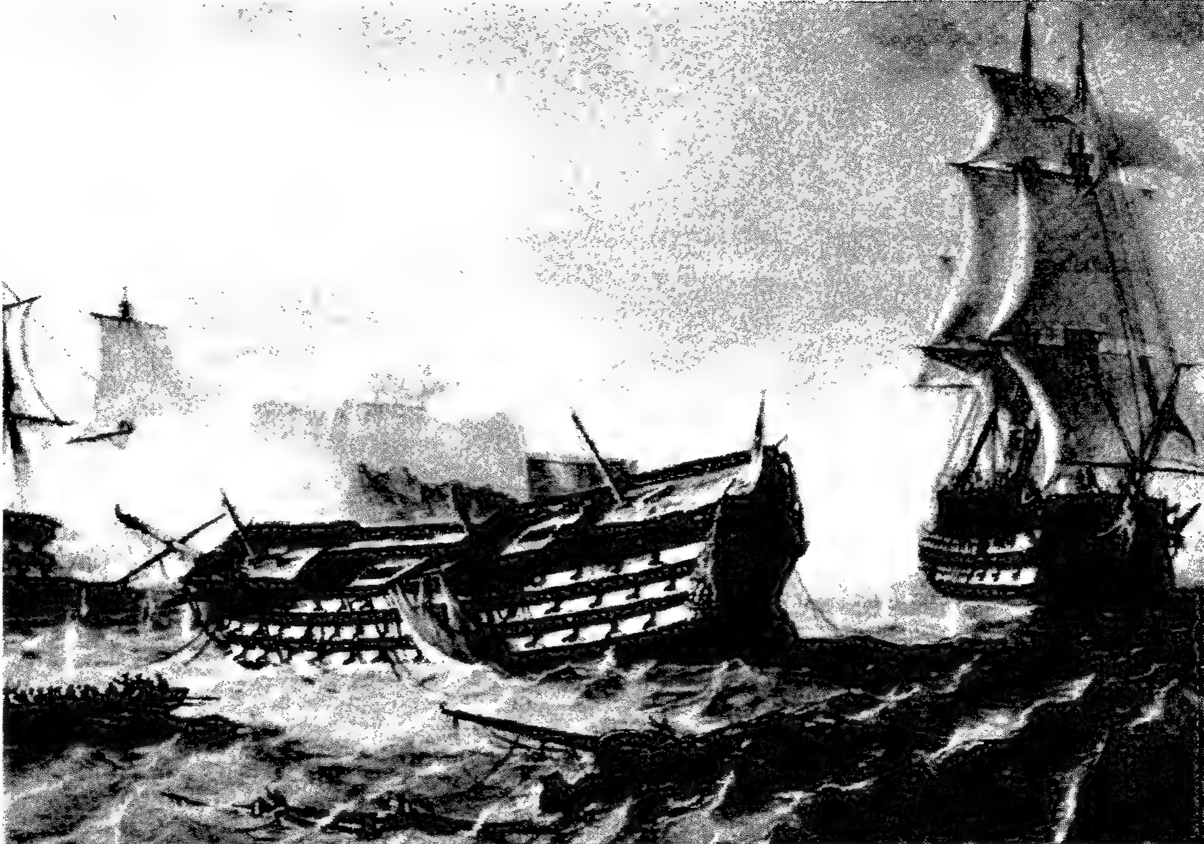
بعض الأسلحة من البنادق والمسدسات التي تعود إلى العصر البرتغالي



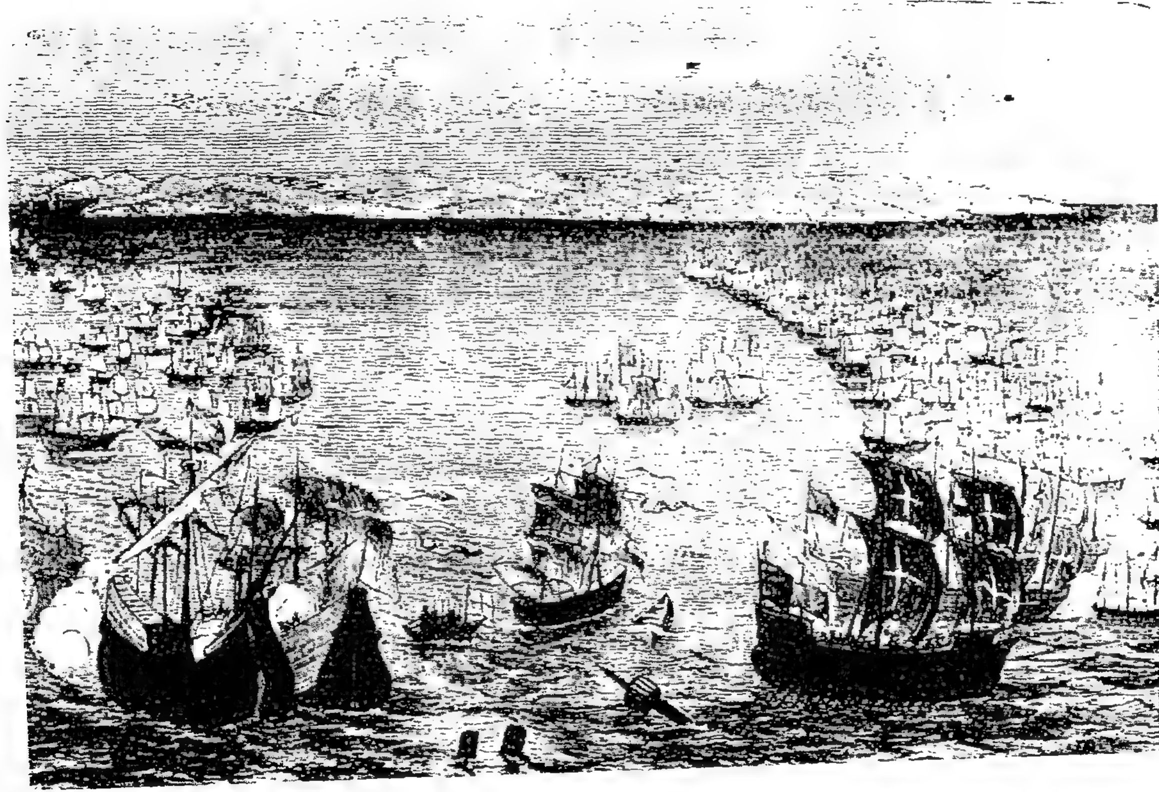
أنموذج من مراكب الخليج، هل تأثر بالبرتغال..؟



نماذج من السفن الحربية والتجارية التي استخدمت في القرن السادس
عشر الميلادي ، وقد استخدمها البرتغاليون والأسبان

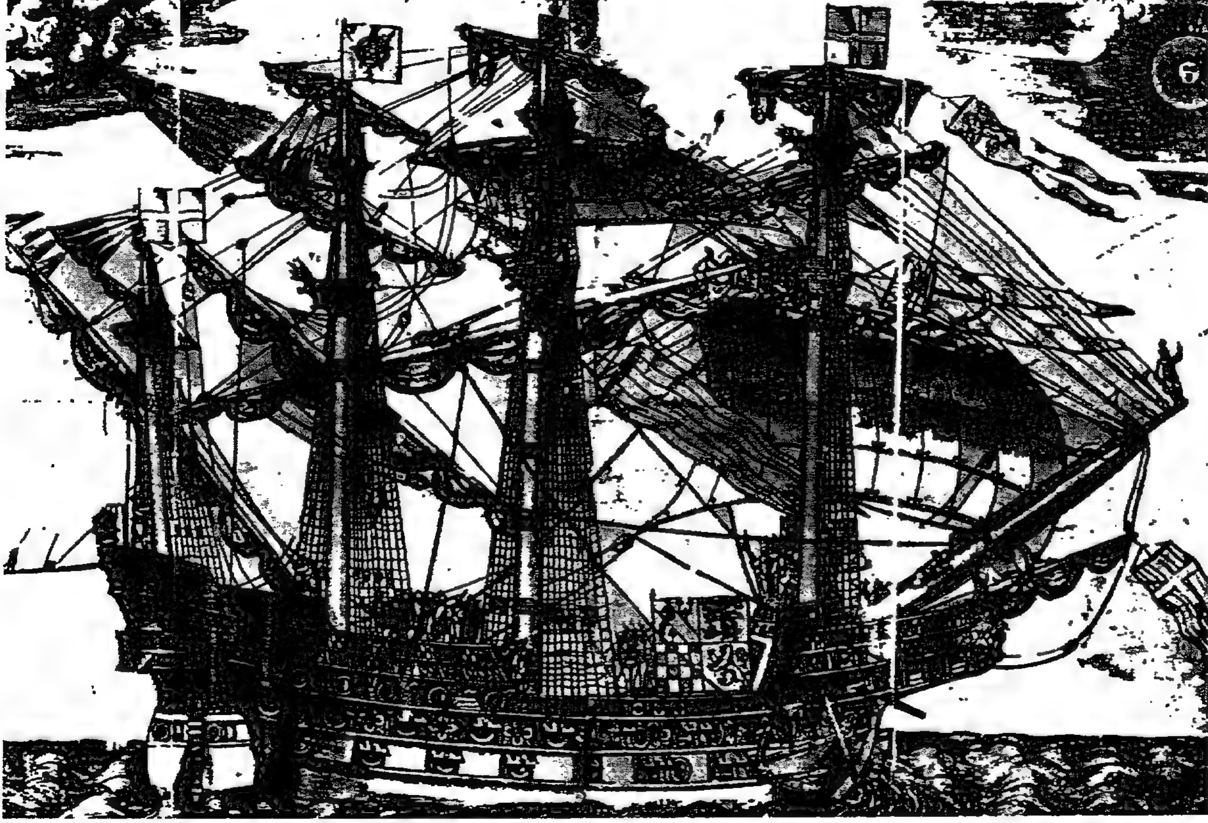


كثير من السفن البرتغالية شهدت مثل هذه الخاتمة في مياه الخليج



الارمادا الأسبانية تواجه السفن الإنجليزية

نموذج للحروب البحرية لذلك العصر وهذا الرسم يعود للفترة البرتغالية سنة ١٥٨٨ م



صورة تعود لعام ١٥٨٧ م لسفينة إنجليزية كانت مشاركة

في حرب الارمادا البحرية.

ونـنقل هنا بعـضـاً من صـور الأسلحـة برواية المؤرخين لتلك الفـتـرةمن خـلال النص التـالي الذي كتب سنة ١٥٤١ م :

(انطلق الرجال الأربعمئة الذين تحمسوا لاحتمال استشهادهم باسم المسيحية في التاسع من تموز / يوليو ١٥٤١ م ، وقد حملوا معهم عشرة مدافع دوارة و ١٠٠٠ بندقية وإمدادات وافرة من البارود والطلقات تحملها البغال ، وصحب المقاتلين حدادون ونجارون وصانعو دروع وأحذية ، ونافخو أبواق ، وقارعو طبول وكان هناك أيضاً ١٥٠ عبداً)[1].

أول بندقية (أم فتيلة) :

صنعت في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي واستعملت في الحرب أول مرة سنة ٧١٣ هـ في اليـمن ثم سنة ٧١٦ هـ – ١٣١٦ م وبعدها بمدة من الزمن صنعت أم صلبخ، وبعد فترة وجيزة صنعت الرومي. وهذه البنادق الثلاث فقط استعملت بالبارود ، وبعد هذه البنادق الثلاث توالت البنادق على هذه المنطقة ومنها :

المالطي والصميعة والصمعاء وأم ميزر والليكر والوكر والمستحية وأم ركبة والخديوي والورور والشرفا والفولند والخميسي ونصف خميسي والفلسي ونصف فلسي والمشرخ ونصف مشرخ والسكتون ونصف سكتون والدش والمانيا وحشرداء والبرنو ودبل سكتون والكند والسوجريه .. الشووزن نصف وثلث وربع، أي مكسرة أو أم نشح والهطفا وأم عشر وأم خمس .

الأسماء الثانية المكررة وغيرها من الأسماء :

أم شرم العرقية ، مرقب ، الجبري ، أم قدح ، مراكبية ، أم قمعة ، أم ديك ، أم حبة ، أم مسمار ، أم كشف ، السلطانية أم الثامة ، وغيرها من الأسماء .

الأسماء الثالثة المكررة :

أم عسكري ، أم تاج ،أم تاجين ، وأم هليل ، أم مركب ، وأم مركبين ، أم أسد ، أم نمر ،

---

(١) إمبراطوريات الرياح الموسمية، ص٣٣٩.

الآشوريون والبابليون وغيرهم واستمر استعماله من قبل المسلمين حتى القرن العاشر الهجري[١] .

ومن أسماء السيف والكتارة :

أبو العقارب ، أبو القوارب ، المرفس ، سيف القدر ، سيف أبو ظهر ، أبو الزبايب، أبو الداوني ، أبو حافر ، أبو العرو ، الحقبيبي ، الخزيمي ، المستجي ، والمسمم ، أم الضروس ، أم الضلوع ، المشار ، أم القرون ، الصقال ، والسلالة والوارد والحدباء والشيجة وأبو الفحول ، أبو الفلاية ، أبو المسايل من ١ إلى ٧ وسيف الجوهر والبرقة ، وأبو فتق ، أبو مقطار ، أبو حربة ، أبو سن ، أم حدين، هذه هي السيوف المحلية المتكررة وغيرها من السيوف . . . مكررة الأسماء [٢] .

السيوف العربية :

المهند – أو الهندواني – ذو الفقار ، المشرفي ، السيف اليماني ، القردة اليمانية ، الحسام، الصارم ، الفيصل ، الصمصام [٣] ، الحكم، وغيرها من السيوف [٤] .

أسماء السكاكين :

البيشق ، الضلع ، القراعة ، المسحل ، وغيرها من الأسماء ، على أنها تصنع محلياً أو تستورد ويضع لها عظم الجمل .

البلطة :

إذا كانت صغيرة تلقب باليز وإذا كانت كبيرة (بالطبر) أما النشاب والكنانة تستعمل

(١) السيوف (السابق) الصفحة نفسها، ويمكن الرجوع إلى هذا الكتاب لدراسة كل ما له علاقة بالسيوف في العصرين المغولي والتيموري وكذلك بداية العصر الصفوي المعاصر للعثماني فترة بحث هذا الكتاب .

(٢) رواية عبد الله بن عسكور .

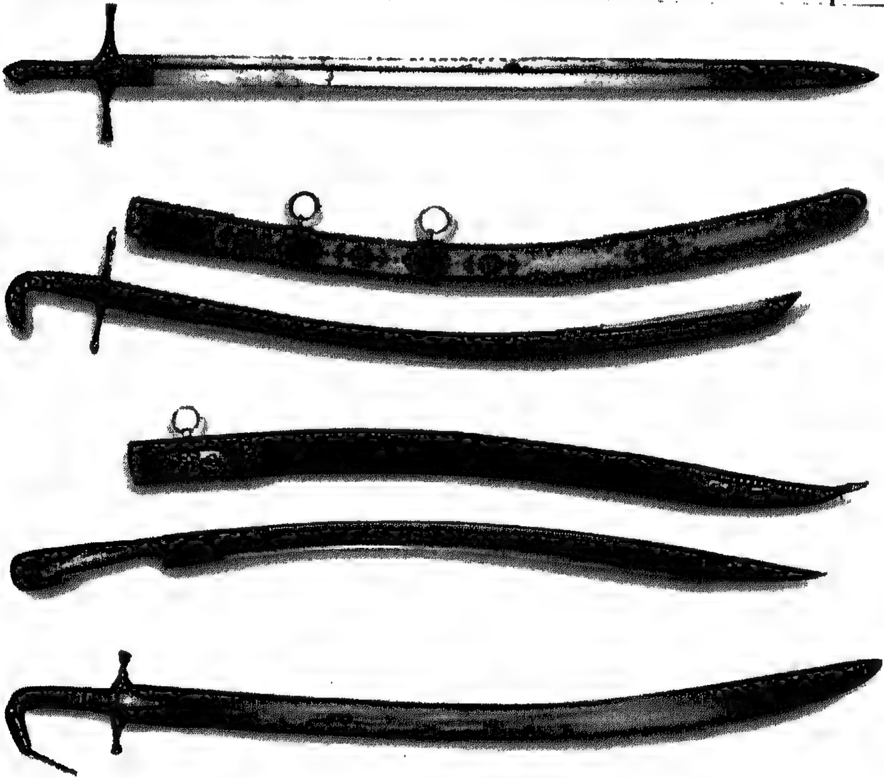
(٣) والصمصامة : سيف لعمرو بن معد يكرب الزبيدي .

(٤) كان الرسول (ﷺ) يملك عدة سيوف ومن أسمائها : الرسوب ، وذو الفقار والقضب والحتف والبتار والمعصوب والقلعي ومأثور الفجار .

من الأشجار وعسق النخيل ، أما الكنانة فهي من الخشب ويلف عليها جلد الماعز .

السهام :

لعبت السهام في معارك العصر البرتغالي دورها ، فكانت الرماح والسهام تصنع محلياً وأعوادها من قصب البامبو الذي كان يزرع محلياً قديماً أو يجلب من الصين في بعض الفترات . على أن السهام والرماح الخطية المنسوبة لمدينة الخط أي القطيف كانت معروفة في صدر الإسلام وكان الحدادون يضيفون الرؤوس الفولاذية ، وقد كانت القطيف تصدر هذه الأنواع من الأسلحة .



بعض السيوف التي تعود إلى العصر البرتغالي

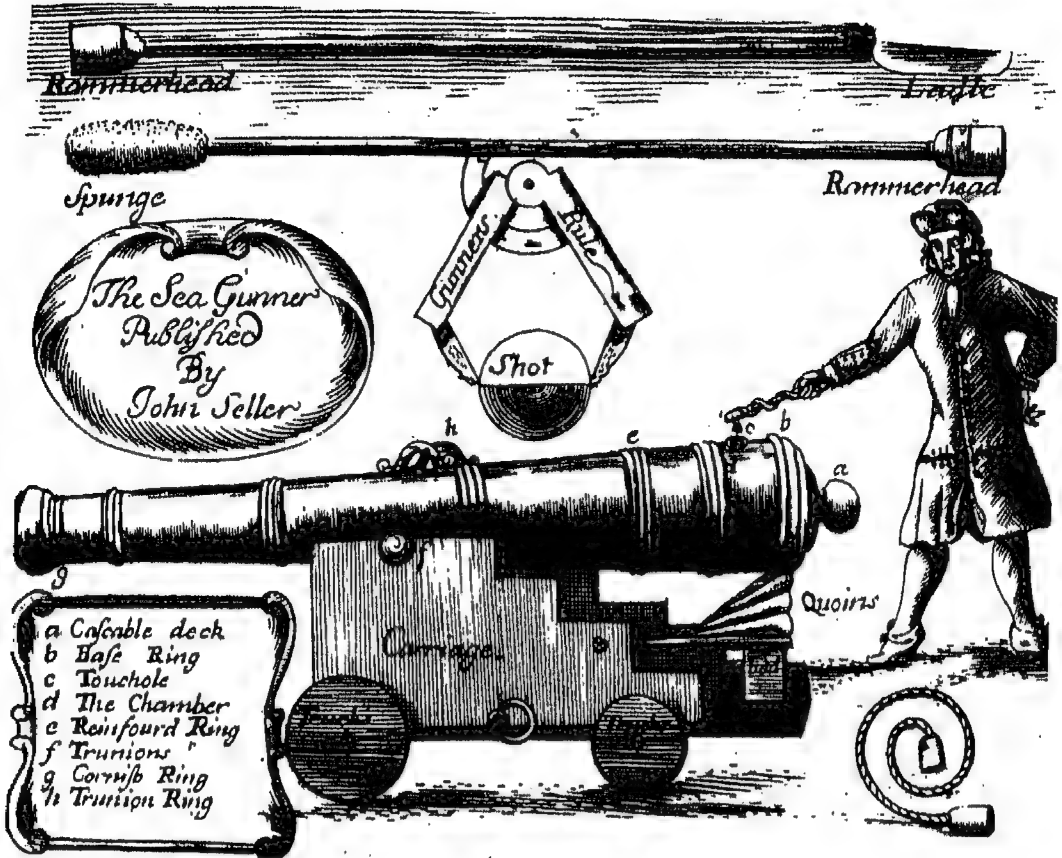
المدافع :

كانت العرب تعرف المنجنيق ، وعندما أحضر المستعمر الأوربي (البرتغاليون) المدافع صغيرها وكبيرها قام العربي واستفاد من هذه الأسلحة الحربية فصنع مثلها صناعته البدائية واستخدمها إلى جانب ما أخذه من البرتغاليين عندما خاض الحروب معهم .

وكان يستعمل له القذائف الحديدية بحرق الفتيلة التي تؤدي نارها إلى حرق البارود فتنطلق (القُلّة) لتسقط أي جدار أمامها أو تخرق السفينة كما تخرق الرصاصة الجسد وكانت هذه المدافع أو ٩٠ ٪ منها تدعى أم فتيلة ومن أسمائها : (المصلبخ) و (الرومي) .



مدفع يعود للعصر البرتغالي



تفاصيل لمدفع متحرك على قاعدة خشبية ذات أربعة دواليب وكان شائع الاستعمال في السفن الحربية والتجارية في العصر البرتغالي.

الأحوال السائدة قبل قدوم البرتغاليين :

كانت منطقة القطيف - كإحدى دويلات بحر القطيف - الذي يعرف اليوم بالخليج العربي أو الخليج الفارسي تعيش عصراً ذهبياً في الملاحة والتجارة خلال الفترة التي سبقت مجيء البرتغاليين إلى بحار الشرق ، بل يمكن أن نطلق مصطلح العصر الذهبي للملاحة العربية الإسلامية في البحار الجنوبية على الفترة التاريخية الممتدة من أواسط القرن الثامن الميلادي حتى أوائل القرن السادس عشر ، أو على وجه التحديد بعد سنة ٧٥٠ ميلادية ، إلى سنة ٩١٣ هـ - ١٥٠٧ م وهو عام وصول البرتغاليين إلى مياه الخليج [١] .

خلال تلك الفترة التي تبلغ زهاء ثمانية قرون كان الخليج العربي واحداً من أهم المعابر التجارية في آسيا ، عن طريقه كانت تمر منتجات الهند والصين وغيرها إلى أسواق فارس والشام والجزيرة العربية ، كما تعبره السلع الواردة من أوروبا وفارس وبلاد العرب إلى الهند والشرق الأقصى ، وقد ازدهرت مناطق كثيرة كالبصرة والبحرين وسيراف وقيس وبوشهر وهرمز وغيرها حيث حققت قدراً كبيراً من الثروة والرخاء[٢] .

وكانت التجارة القادمة من الشرق الأقصى تسلك أحد طريقين : إما طريق الخليج العربي المتجه شمالاً والمتصل بالعراق والشام وإما طريق البحر الأحمر ومصر ، ثم تنتقل إلى أوربا بوساطة التجار الإيطاليين من أهالي جنوة والبندقية وفلورنسا الذين كانوا يحتكرون توزيع تجارة الشرق في مختلف أنحاء أوروبا .

---

(١) يرى فريق آخر أنه كان سنة ١٥٠٥ م ومنهم أمين سعيد في الخليج العربي في تاريخه سياسي ونهضته الحديثة، ص٢٨ ، وانظر أيضاً : الوثيقة ع ١٢ ، س ٦ ، عم ١ ، ص ٤٨ ، ج ١ - ١٤٠٨ هـ ذ ١ /١٩٨٨ م وهناك من يرى أنه سنة ١٥٠٣ وانظر في ذلك الوثيقة ع ١٥ ، س ٨ ، ١٢ -١٤٠٩ هـ ، ١٥١ ، والحقيقة انهم أرسلوا جاسوساً برتغالياً سنة ١٥٠٣ م هو زار فارثيما الذي كتب تقارير عن المنطقة مهد السبل لها ، كما أرسلوا جاسوساً آخر هو دوراتي باربوسا سنة ١٥١٨ م ، وفعل كما فعل سابقه ، وانظر تفاصيل ذلك لدى السير ويلسن في كتابه ص ١٩٤ .

(٢) صفحات من تاريخ البحرين ، ج٢، ص١٠٤ .

ولكن الأوروبيين لم يكونوا سعداء بهذا الوضع ، بل سخطوا على هذه التبعية الاقتصادية التي تحني جباههم للمسلمين في الشرق .فقد كانت الاضطرابات والأزمات السياسية في المشرق الإسلامي تؤثر في تدفق التجارة إليهم تأثيراً شديداً ، مثال ذلك ما أحدثه غزو المغول لفارس والعراق على يد تيمورلنك في عام ١٢٥٨ م من انقطاع في تجارة الخليج العربي ، وما كانت تتعرض له القوافل المحملة بالبضائع التي دفع ثمنها الأيوبيون من ضياع ونهب وسرقات على طول الطريق ، بالإضافة إلى ذلك كان حكام مصر والشام أو المماليك يفرضون ضرائب باهظة على التجارة المارة ببلادهم كما كان تجار جنوة والبندقية يبالغون في أسعار وساطتهم التجارية مقابل حمل بضائع الشرق من موانئ البحر المتوسط إلى الأسواق الأوروبية ، كل ذلك كان يرفع أثمان هذه البضائع ويجعلها باهظة يئن منها المستهلكون الأوروبيون .

ولما كانت طرق التجارة تقع على هذا النحو تحت السيطرة الإسلامية لذلك تاق الأوربيون للبحث عن طريق آخر يصلهم ببلاد الشرق مباشرة ، ولم يكن هناك سبيل إلى شق طريقهم داخل الأراضي الإسلامية إلا بالقوة ، فقد كانت الحروب الصليبية التي شنها الغرب المسيحي على الشرق الإسلامي قد انتهت بالفشل ، وشعر الغربيون بعد محاولات دامية أربت على العشر وامتدت عدة قرون أن من المستحيل عليهم مواجهة هذه الكتلة الإسلامية التي تغلق الطريق في وجه المجتمعات المسيحية للوصول إلى الشرق وخيراته الوفيرة. كان هذا كما يقول توينبي ، هو التحدي الكبير الذي كانت تواجهه أوربا في أواخر عصورها الوسطى ، فماذا كانت استجابة الغرب المسيحي لهذا التحدي؟ .

لقد تمثلت هذه الاستجابة في تمكن الشعوب الغربية المسيحية المطلة على المحيط الأطلسي وخاصة البرتغال من اختراع طراز جديد من السفن الشراعية العابرة للمحيطات قادرة على البقاء في البحر عدة شهور دون حاجة للجوء إلى الموانئ للتزود بالمؤن والماء. وكان هذا اختراعاً مدهشاً في فن الملاحة البحرية في أوائل القرن الخامس عشر وبفضله استطاع الغربيون أن يحتكروا مقدرة التفوق الساحق في أعالي البحار طوال ما لا يقل عن ٣٥٠ عاماً

تالية [1] .

وبهذه السفن تمكن البحارة البرتغاليون الذين تمرسوا على الملاحة في أعماق المحيطات من إحراز عدة إنجازات سريعة وباهرة ، فقد اكتشفوا جزر ماديرا [2] (١٤٢٠م) والآزور (١٤٣٢م) ووصلوا إلى رأس فردي (١٤٤٥ م) وخط الاستواء (١٤٧١ م) وهبطوا على الجانب الغربي للمحيط الأطلسي ، ثم تمكنوا من اكتشاف رأس الرجاء الصالح في أقصى الطرف الجنوبي للقارة الأفريقية ببعثة بحرية قادها الملاح البرتغالي باتلميودياز Barthlemeo Diaz ، ولكنه لم يتمكن من الوصول إلى ساحل أفريقيا الشرقي بسبب العواصف العنيفة فقفل راجعاً ، وكان اكتشاف طريق الرجاء الصالح والطريق إلى الهند ودول آسيا في أربع رحلات عبر السنوات ١٤٩٢ ، ١٤٩٣ ، ١٤٩٦، ١٤٩٨ ، ١٥٠٢ ، ١٥٠٤م [3] ، وتلاه فاسكو دي جاما Vasco De Gama الذي وصل إلى الساحل الشرقي لأفريقيا وارتقاه إلى ماليندة ومن هناك أرشده الملاح العربي أحمد بن ماجد الذي يعرف هبوب الرياح الموسمية عبر المحيط الهندي إلى كلكتا على الشاطئ الغربي للهند (١٤٩٨م)، وتعتبر رحلة فاسكو دي جاما هذه من أشهر الرحلات الكشفية في التاريخ ، فقد ضمنت للبرتغاليين التفوق الملاحي العالمي على المسلمين والأوربيين معاً ، وفتحت الباب نحو مزيد من التوسع البرتغالي فسيطروا على (زنجبار) ١٥٠٣ م، و (سيلان) ١٥٠٧ م، ووهران عام ١٥٠٩ و(سومطرة وغوا) ١٥١٠ م، وطرابلس وآسفي ١٥١٠م ومضايق (ملقة) و(أمبوان) (١٥١١م) ثم اندفعوا شرقاً في المحيط الهادئ حيث رفعوا علمهم في كانتون (١٥١٦ م) عاصمة الصين وشاطئ اليابان (١٥٤٢ – ١٥٤٣)، ووصلوا إلى (ماكاو) ١٥١٧م ، وهكذا راحت هذه الإمبراطورية التجارية تشاطر العرب

---

(١) صفحات من تاريخ البحرين ، ج٢ ص ١٠٥ ، (نصاً مضافاً إليه) .

(٢) مازالت جزراً برتغالية وعاصمتها اليوم فونشال وارخبيل هذه الجزر تبعد ١٠٠٠ كيلو متر عن الأراضي البرتغالية .

(٣) انظر أوروبا ص ١٧٠ ، وانظر أيضاً Portugal : PP.XXV-XX VI، وكذلك : تقسيم الإمبراطورية العمانية ص١٥ .

تجارة التوابل ، ففي آب ١٥٠٣ م كانت السفن البرتغالية تحمل ٢٠٠٠٠٠ كنتال من البهارات القادمة من ساحل مالابار في الهند وراح البرتغاليون يزيدون ويضاعفون إنتاج التوابل ، فمن عشرة آلاف طن سنوياً يقفز إلى ٢٠ ألف طن لم تنقطع عن طرق التموين وقد كان البهار يباع في (أنفرز) عبر وسيط ملك البرتغال .

وهكذا تمكن البرتغاليون في حركة خاطفة استغرقت أقل من قرن واحد من انتزاع السيادة البحرية في المحيط الهندي من أيدي العرب وتطويق المسلمين في البحار الجنوبية، وبالرغم من أن البرتغاليين فقدوا فيما بعد معظم أو كل إمبراطوريتهم البحرية والتجارية في الشرق لحساب الهولنديين والإنجليز والفرنسيين وهم منافسوهم الغربيون ، إلا أن العرب لم يتمكنوا من استعادة سيادتهم على البحار الجنوبية بعد ذلك أبداً .[1]

المراكب العربية في الخليج في أثناء الغزو البرتغالي عام ١٥٠٠ م :

يقول الكابتن تشالز لوكير الذي زار مسقط سنة ١٧٠٦ م ، ما نصه : « تطور هذا الميناء كثيراً على أيدي العرب الذين انتزعوه من القبضة البرتغالية . فكان العمانيون يمتلكون أربعاً وعشرين سفينة تجارية وإحدى سفنهم تحمل ٧٠ مدفعاً ، وليس في أسطولهم سفينة تحمل أقل من ٢٠ مدفعاً ، ومع صعوبة الحصول على البارود فإن العرب أكثر الناس سخاء في كل المناسبات وتجدهم يرفعون راياتهم الحمر بخيلاء على كل صواري سفنهم»

تلك شهادة أحد الأوروبيين عن الملاحة في الخليج ، وهناك شهادة أخرى من أحدهم، هو هاملتون ، فقد قدر الأسطول العماني سنة ١٧١٥ م بـ(سفينة واحدة ذات ٧٤ مدفعاً واثنتين بـ ٦٠ مدفعاً وواحدة ذات ٥٠ مدفعاً وثماني عشرة سفينة أصغر حجماً تحمل ما بين ١٢ – ٣٢ مدفعاً لكل منها ، وبعض سفن الترانكي « هذا النوع من السفن غير متداول الآن » أو السفن ذات المجاديف التي تحمل من ٤ –٨ مدافع لكل منها) .

---

(١) صفحات من تاريخ البحرين ج ٢ ، ص ١٠٥ ، وانظر أيضاً الشعوب الإسلامية ص ١٢٩ وما بعدها .
وانظر كذلك : المسألة الشرقية (دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية ١٢٩٩–١٩٢٣)،ص٣٨

بينما قدّر السالمي قوة الأسطول العماني في ذلك العصر بأربع وعشرين إلى ٢٨ سفينة حربية تحمل أكبرها ٨٠ مدفعاً ضخماً وتدعى (الملك) [١] وهذا يعني أن بناء السفن قد تطوَّر عند أبناء الخليج وما عمان إلا صورة لباقي موانئ الخليج.

السفن التركية في العصر البرتغالي :

لم ترث الدولة العثمانية أي نوع من التقاليد البحرية في البحر الأبيض المتوسط أو في أي مكان آخر نزل به العثمانيون ، فالدولة السلجوقية الكبرى والدولة السلجوقية في قونية بسطتا نفوذهما عن طريق الحروب البرية؛حتى إنّ المناطق الساحلية قد فتحوها من ناحية البر. ومع هذا فبعض الدويلات التركية التي تكونت في آسيا الصغرى كانت على سواحل آسيا الصغرى مثل إمارة آدن ولكن الإمارة العثمانية بالذات بحكم موقعها الجغرافي في بادئ الأمر لم يكن لها حاجة إلى قوة بحرية. وفي أثناء حملات العثمانيين في شبه جزيرة البلقان كانوا يعتمدون على مراكب يستأجرونها من اليونان. وكانت هذه الفتوحات في أغلبها على حساب إمبراطورية العرب وكانت أملاكها برية. ولذلك فقد تمكن العثمانيون من إسقاط هذه الدولة دون حاجة إلى قوة بحرية على النحو الذي غزوا به الأفلاق والبغدان والمجر، إنما الدولة التي احتاج العثمانيون في محاربتها إلى بحرية كانت الدولة البيزنطية نفسها على ضعفها البحري والبندقية وجنوة – وكل من هاتين الدولتين الأخيرتين كان لها أسطول بحري قوي يرجع تاريخه إلى الحروب الصليبية التي مكنت لهما التجارة في البحر الأبيض المتوسط الشرقي ، وكانت قوة البندقية وجنوة تنحصر في أسطولهما ، لهذا كله كان من اللازم للسلاطين العثمانيين بناء أسطول بحري في حربهم مع هاتين الجمهوريتين وللاحتفاظ من ناحية أخرى بأملاك الدولة العثمانية التي فتحتها ، أما الدولة البيزنطية فكان أسطولها قد اضمحل شأنه شأن كل أجهزة الدولة . أما جنوة فكانت حليفة بيت باليولوجاس الدائم في نزاعه مع الصليبيين ، بينما وقفت البندقية في صفهم وأدى النزاع بين الجمهوريتين إلى اضمحلال بحرية جنوة ؛ لذا فحين فحين ظهرت البحرية العثمانية في

---

(١) أوروبا ص ١٧٠ و ٢٤٤ .

الليفانت لم يكن منافسها الخطير الأسطول البيزنطي أو الجنوي بل الأسطول البندقي وحده ويمكن القول، إنَّ الأسطول العثماني قد بني خصيصاً لمحاربة البندقية ، وكان أول من أنشأ نواة الأسطول العثماني الحربي السلطان مراد الثاني ليطرد البنادقة من بعض الأملاك الساحلية في شبه جزيرة البلقان ، ولم تتجه أنظار العثمانيين إلى فكرة الأسطول قبل مراد لأن أملاكهم على الرغم من سعتها كانت في الواقع تشمل عدداً قليلاً جداً من المدن الساحلية ، فلما سقطت الدويلات التركية غير العثمانية في عهد بايزيد الأول بأيديهم اتجهت أنظارهم إلى أهمية الأسطول ، ولكن مشروع إنشائه تعطّل بسبب غارة تيمورلنك ، وكان من الطبيعي أن يفكر مراد الثاني الذي أتى بعد هذه الغارة في إنشاء الأسطول (١) .

ومن الممكن تقسيم تاريخ الأسطول العثمانية منذ نشأته حتى منتصف القرن السادس عشر إلى مرحلتين :

المرحلة الأولى .تبدأ أولاً، من سقوط القسطنطينية حتى أواخر القرن الخامس عشر (٢) وكان أبرز خواص هذه الفترة تحويل البحر الاسود إلى بحيرة عثمانية ، وقد حدث هذا أولاً بتدمير ولاية طرابزون ، وهذه الولاية أُسست أولاً على يد أسرة كمنينة بعد طردهم من القسطنطينية على يد الصليبيين وظلت بعد ذلك مستقلة عن أسرة باليولوجاس .

وثانياً : بإخضاع خانات القرم وملحقاتها ، كما تتميز هذه الفترة بأن نشاط الأسطول انحصر في المناطق الساحلية في البلقان والجزر المحيطة بها (٣)

أما **المرحلة الثانية** فتبدأ في عهد السلطان سليم الأول ، والتي بدأت إبان حروبه مع الصفويين في فارس والمماليك في مصر ؛ إذ كان يخشى أن يؤدي انشغاله في هذه الحروب إلى قيام أعدائه في الجبهة الغربية بهجوم دون أن يكون مستعداً لهم بحرياً ، لذلك أصدر

---

(١) الوثيقة ، ع ١٣ ، س ٧ ، ١٢/١٤٠٨ هـ - ٧/١٩٨٨ م ، ص ٤٠ .

(٢) الدولة العثمانية والشرق العربي ، ص ٨١ و ٨٢ (نصاً معدلاً) .

(٣) لمزيد من المعلومات انظر تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ،ص٢٩٤,٢٩٥

أوامره المشددة إلى ضباط البحرية بعدم الالتحام مع العدو. وأخذ في الوقت نفسه يجهز لبناء سفن أكبر وأقوى مما عرفه الأسطول العثماني في تاريخه الأول ، وقد بلغ عدد السفن في عهد سليمان زهاء ٣٠٠ سفينة ، لكن الأسطول العثماني فيه من المساوئ، منها :

١ ــ كان يفتقر إلى تجربة تجارية، تُعَدُّ العمود الفقري، الذي مكن الأساطيل اللاتينية المعادية في البحر وأمدها بقوة فائقة .

٢ ــ فقدان روح الأمانة في الإدارة وهي آفة قدّر لها أن تستمر جيلاً بعد جيل .

٣ ــ قلة الخبرة في القباطنة الذين تولوا قيادة الأسطول بعد خير الدين .

وقد تعددت سفن الأتراك في العصر البرتغالي ، فكان بعضها يبنى في تركيا أو في مصر (السويس) أو في البصرة أو غيرها من ولايات الدولة العثمانية ، ونذكر من هذه الأنواع :

١ ــ القادرغة .

٢ ــ القاليون .

٣ ــ الغراب .

٤ ــ الباستاردة .

٥ ــ القاليتة .

٦ ــ البرشة .

القطيفيون ومقاومة الاحتلال البرتغالي :

لقد كانت القطيف في مقدمة المناطق التي وقعت في صد هذا العدوان حيث قاومت الاحتلال البرتغالي [١] .إذ لم يتعود الأهالي على وجود أناس أوربيين يدينون بدين غير الإسلام وهم في نظرهم كفار حتى لو كانت ديانتهم سماوية فهم غزاة وكفرة ، إلى جانب أن البرتغاليين أعطوا انطباعاً سيئاً إذ إن تدمير القلاع وقتل الأبرياء سمة عرفوا بها، وهناك

---

(١) الدولة العثمانية والشرق العربي ، ص ٨٢ و ٨٣ .

آلاف الشواهد من أفعالهم تدينهم بذلك ، ومما هو معروف بأنه لاشيء كالظلم يثير النفوس، ويبعث الحماسة في الصدور ويجمع كلمة الشعب ويوحد بين عناصره وطوائفه فينهض لقتال عدوه والثأر لكرامته . ولقد كان العدوان البرتغالي وما صحبه من قتل وتخريب للمراكز والأسواق والبيوت الآمنة وتدميرها وإغراق السفن مصحوباً بتحطيم الاقتصاد [١] وغيرها من الأمور ،كل هذا أثار الحماس عند أبناء الخليج الغيارى ومنهم القطيفيون حيث اندفعوا إلى ميادين الجهاد بإرادة قوية وعزيمة حديدية للذود عن حياض الوطن [٢] . يشير جمال زكريا في كتابه إلى هذه النقطة عن بسالة القطيفيين بقوله :

(وبالرغم من الانتصار الذي أحرزه البرتغاليون والهرمزيون في البحرين إلا أنهم لم يتمكنوا من التقدم نحو القطيف ، وذلك لقوة المقاومة العربية والخوف من استدراجهم إلى داخل الجزيرة العربية)[٣] .

قلاع القطيف أيام الاحتلال البرتغالي :

ضمت القطيف مجموعة من المدن والقرى الساحلية حيث كانت قلاعها شامخة بالصمود تصد كل معتد وغاز أثيم وقد اندثرت بعض هذه القرى لكن بعضها بقي وهو معروف اليوم، نذكر منها [٤] :

---

(١) القطيف واحة على ضفاف الخليج ص ٢٢٥ . وانظر ايضا : ساحل الذهب الاسود ، المص١٧٢ ، وأيضا : منطقة الأحساء عبر أطوار التاريخ ص ١٥٤ و ١٥٥ .

(٢) الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة ، ص ٣٠ .

(٣) الخليج العربي، دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأوروبي الأول ١٥٠٧- ١٨٤٠ ،ص٧٣و٧٤،وكذلك تاريخ الخليج ص٧٩ .

(٤) ذكر محمد سعيد المسلم في كتابه (القطيف واحة على ضفاف الخليج) ص ٢٢٥ أن دن المحصنة بالقلاع من بينها الدمام و هو خطأ حيث إن الدمام لم تكن موجودة أساساً وليس لموضعها ذكر بتاتاً في القرن العاشر الهجري .

م	المدينة	موقع القلاع وصفتها
١	سيهات	قلعة بها أربعة أبراج في كل زاوية برج وبها ثلاث بوابات في كل بوابة برجان، تلف المدينة. تصدعت سنة ١٢٥٨ هـ وأعيد ترميمها في العام نفسه ، إلى جانب برج على الساحل لحماية السفن ، تساقطت جدرانه وأزيل سنة ١٤٠٠ هجرية
٢	عنك	قلعة واحدة بها برج مربع ، هدمت وليس لها أثر اليوم .
٣	القطيف	مدينة محصنة بها ٧ أبراج إلى جانب برج بحري يدعى برج أبو الليف قصفه طراد برتغالي سنة ١٨٧٧ م .
٤	العوامية	خمسة أبراج حول المدينة المحصنة ، ثلاثة أبراج منها مقابلة للجهة الغربية
٥	صفوى	مدينة محصنة لها برجان هما برج العين وبرج البحر
٦	دارين	مدينة محصنة لا نعرف عن أبراجها شيئاً في تلك الفترة الزمنية
٧	تاروت	مدينة محصنة على أطرافها برج واحد إلى جانب تحصينات صغيرة حول السور وللغرب من المدينة حصن منيع به أربعة أبراج ، يعد أرفع مكان في منطقة القطيف عامة، ومنه تتم مراقبة السفن .

ولقد كانت القلاع موجودة منذ القدم في المنطقة وذكرت ذات يوم أنه :

درج بعضهم على تسمية القلاع في المنطقة على أنها قلاع برتغالية فيقال القلعة البرتغالية بعنك وهكذا ولا أدري هل هذا تزوير للتاريخ أم جهل به ؟ والحقيقة أن البرتغاليين جاؤوا إلى المنطقة كغزاة سنة ٩٢٧ هـ وطردهم القطيفيون سنة ٩٧٨ هـ في حرب شعواء ضد الاحتلال(١) ، وقد ذكر ذلك المؤرخ محمد سعيد المسلم (٢)، وكما هو معروف بأن أي غاز لأي منطقة لا يكون مستعداً للبناء بقدر الهدم وهذا يعني أنهم لم يبنوا قلاعاً،

(١) من محاضرة تحت عنوان (الجوانب المفقودة في تاريخ مناطق القطيف) القيناها في مسجد القوع بأم الحمام بتاريخ ٢٧ رمضان ١٤١٩ هـ .

(٢) القطيف واحة على ضفاف الخليج ، ص ٢٢٥ .

ولا سيّما أن الفترة التي مكثوها في القطيف كانت ٣١ عاماً، وخلال تلك العقود كانت القطيف تموج بالتوتر ضد الغزاة ، ولكنني لا أستبعد ترميمهم القلاع من جراء القدم أو القصف المدفعي ليستقيموا فيها وقد رأيت في قلعة تاروت ترميماً قديماً على البناء الأساسي ، وإذا كانت هذه القلاع برتغالية فهذا يعني أنه لا يوجد لدى أبناء المنطقة قلاع وحصون للحماية في تلك العهود هذا مناقض للواقع ، فقد كانت المناطق محصنة تماماً ضد أي غزو. وقد ذكرت في كتابي (من تاريخ جزيرة تاروت) [١] أن التاروتيين رمموها في ٦ / ١ / ٩٥١هـ والقلعة موجودة في أواخر القرن الرابع الهجري كما ذكرت في الكتاب نفسه بأن أكبر شيوخ بني عامر وهو أبو عاصم بن سرحان الذي كان حاكماً للقطيف قتل فيها في ربيع سنة ٦٤١ هـ على يد الأتابك أبي بكر السلغري، وهناك أدلة تاريخية تفيد بأن القلاع في منطقة القطيف قد بنيت بسواعد أهالي القطيف أنفسهم وذلك للدفاع والذود عن حياض الوطن العزيز ضد كل معتد .

وهناك كثير من الكتّاب ذكروا أن القلاع في المنطقة معروفة قبل البرتغاليين وأنها قديمة بعيدة الأثر [٢] .

---

(١) من تاريخ جزيرة تاروت ، ص ١٣٦ وأيضاً ص١٠٨ .

(٢) وانظر في ذلك مجلة الوثيقة ع ١ س ١ – ٩ / ١٤٠٢/٢ هـ ص ١١٦ وما بعدها. وانظر أيضاً: الوثيقة ع ٨ ، س ٤ ، يناير ١٩٨٦ م ، ص ص ٢٠١ – ٢٠٧ وخاصة ص ٢٠١ من مقال بعنوان

By. N. P. Silv: Remarks on the History of Bahrain During the portuguese period



سور القطيف حيث يصطف رماة البنادق - صورة تعود لعام ١٩٣٧ م



جانب من قلاع جمارك القطيف - صورة تعود لعام ١٩٤٧ م



FORTALEZA DE CATIFA قلعة القطيف كما رسمها لازارو لويس وهي جزء من خريطة الجزيرة العربية وأمامها خليج تاروت وفي منتصفه جزيرة تاروت والنهير الممتد من منتصف خليج تاروت الى القطيف من خيال الرسام، وغير معروف في الواقع وهذا الرسم يعود لعام ١٥٦٣ م، لاحظ راية القطيف ، إنها تختلف عن راية قطر.



برج سيهات البحري الذي يحمي المراكب عند دخولها إلى خور سيهات

صورة تعود للخمسينات الميلادية 1955م



جانب من قلعة القطيف ويرى دروازة البحر بين البرجين   الصورة تعود لعام ١٩٣٧ م



قلعة تاروت كانت هدفاً للمدافع البرتغالية سنة ٩٥١ هـ - ١٥٤٤ م .

الباب الرابع

العثمانيون في المنطقة.

بدء الاحتلال البرتغالي.

الصراع في القطيف.

العثمانيون.

الجبريون.

البرتغاليون.

الصفويون.

حكام القطيف المعاصرون للبرتغاليين :

سلطان علي بك قائد سنجق القطيف : (أجرى مفاوضات مع البرتغاليين وأعاد أسراهم مع غنائم الحرب التي كسبوها وكانوا أكثر من ٧٠ مقاتلاً) [١].

شهدت القطيف عدة حكام في تلك الفترة الزمنية سواء كانوا محليين أو كانوا معينين من قبل الأتراك أو حكاماً بالتناوب في القطيف ، ونذكر منهم :

١- السلطان مقرن بن أجود بن زامل انتهى حكمه سنة ٩٢٧ هـ - ١٥٢١ م ، وكان حاكماً للبحرين والقطيف والأحساء حيث قتله البرتغاليون في أثناء احتلالهم البحرين .

٢- علي بن أجود لمدة شهر .

٣- ثم ابن أخيه ناصر بن محمد بن أجود حكم ثلاث سنوات (٩٢٨ - ٩٣١ هـ) (١٥٢١ - ١٥٢٥ م) ولناصر أخ آخر هو الشيخ يحيى .

٤- ثم تنازل عن الحكم لقطن بن علي بن هلال بن زامل لقاء مبلغ من المال فمات بعد سنة من الحكم أي في سنة ٩٣٢ هـ .

٥- ابن سابق الذكر لعدة أشهر وقد تنازل لغصيب .

٦- قطن بن قطن تنازل إلى غصيب بن زامل بن هلال (استعان بالسلطان راشد) [٢] إلى سنة ٩٣٣ هـ - ١٥٢٦ م .

٧- السلطان راشد بن مغامس بن صقر بن محمد بن فضل ، سنة ٩٣٣هـ وسمي سلطان الشرق وكان حاكماً للقطيف والأحساء والبصرة (انتزعها من الفرس سنة ٩٣١ هـ) وبعد أن احتل البحرين [٣] عيّن أخاه محمداً والياً على البصرة .

---

(١) مجلة الوثيقة البحرينية ، ص ٣٩ ع ١٧ .

(٢) ساحل الذهب الأسود ، ص ١٧٠ .

(٣) كتاب البحرين ص ٦٥ .

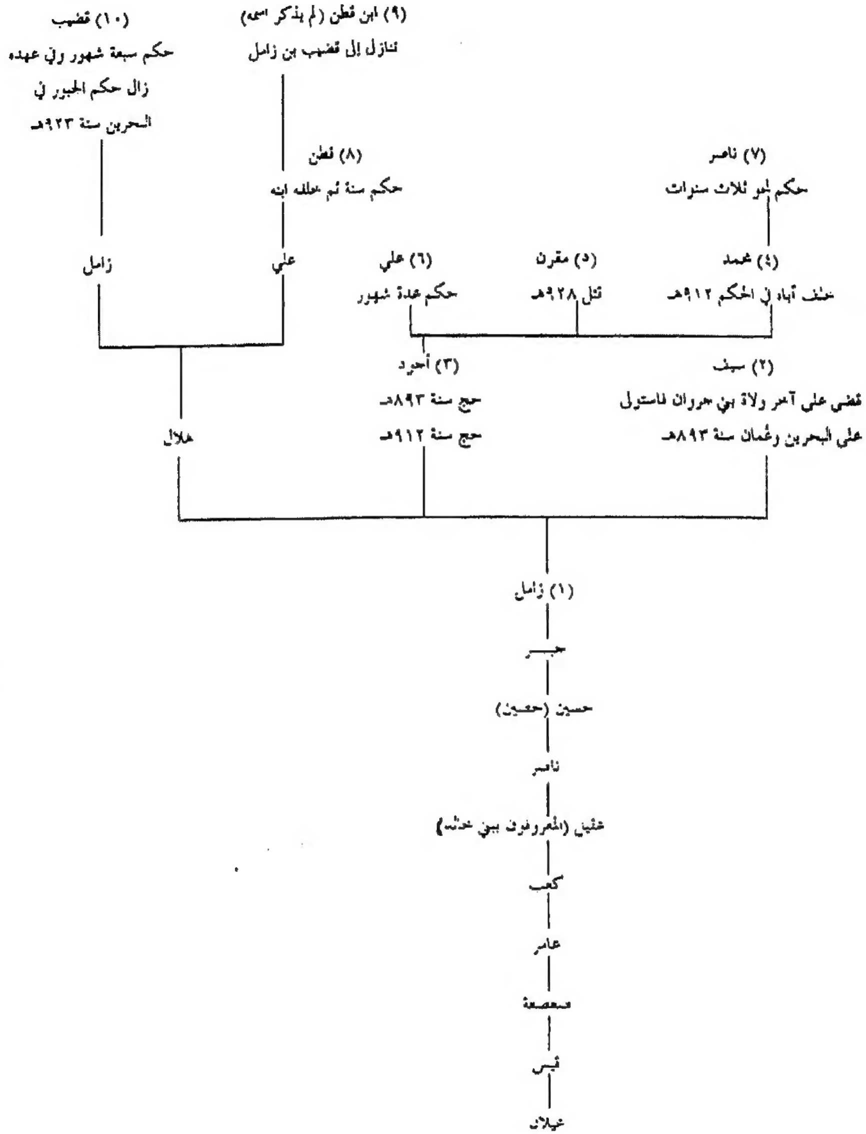
٨- ابن راشد سابق الذكر .

٩- السلطان مانع ملك الأحساء وقد استولى على القطيف سنة ٩٤٦هـ - ١٥٣٩ م وضمها لسلطانه .

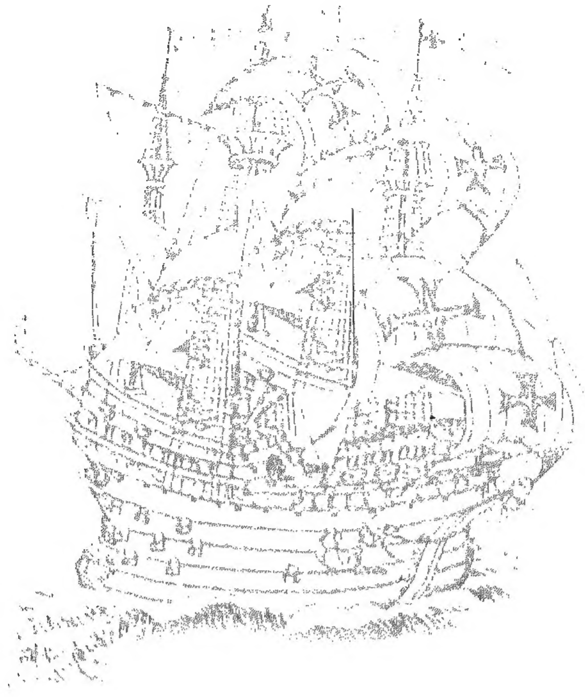
١٠- مقرن بن غصيب منيع بن سالم وقد هرب إلى العراق سنة ٩٦٦هـ - ١٥٥٨ م [١]

(١) صفحات من تاريخ الأحساء ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

شجرة حكام الجبور [1]



(١) المصدر : أبا حسين ، علي : الجبور عرب البحرين أو عربان الشرق ، الوثيقة ع ٣ س ١ ، ١٩٨٣ .



هذا الكتاب

مساحة تاريخية مترامية الأطراف ، زمناً وأرضاً ، جالَدَ فيها العرب عوادي الحدثان، على مدى مئة وتسع عشرة سنة، من دون أن يغمض لهم جَفنٌ أو تفتر لهم عزيمة، وأثبتوا للتاريخ أنّهم يمتلكون الأرض ولا تمتلكهم، وقد قدّموا لها طيّب النجيع، سقياً ورعياً ، وهم يصونون طهارةَ ماء خليجهم من دنس الأرجاس، أسهمت فيه (القطيف) وقلاعها على مدى أربعة عقود، ولقّنت فيه البرتغاليين درساً قاسياً، وأغرقت أطماعهم في بحر جهاد أبنائها العرب المسلمين.

إنه تسجيل أحداث لتاريخ القطيف الذي يحاول فيه (الدرورة) ومن خلاله إعادة صياغة الوقائع التاريخية لأحداث الخليج، وإزاحة غبار الزمن المتراكم فوق صراخ الأطماع الاستعمارية، وجهاد أبنائها عن الماء والتراب الذي مافتئ يُعدُّ كنزاً، يغري لمعانه الابصار، وفي كلّ حين.



منشورات المجمع الثقافي

Cultural Foundation Publications

ابوظبي ـ الإمارات العربية المتحدة ـ ص. ب 2380 ـ هاتف : 6215300

ABU DHABI - U . A . E . - P .O. BOX : 2380 - TEL. 6215300 Cultural Foundation

Email:nlibrary@ns1.cultural.org.ae

http://WWW.Cultural.org.ae